هم عطشى

فمن يسقيهم شراب الإيمان

وتليه خطبة الشيخ علي عبدالرحمن الحذيفي
إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

أبو طلحة محمد يونس بن عبد الستار



(00966-4) 8368382- 8380537



Mobile : 05 333 22 86

e-mail: k4arab@k4arab.com

ح أبو طلحة محمد يونس عبدالستار ، ١٤٢٣هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
عبدالستار ، أبو طلحة محمد يونس
هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان - المدينة المنورة
٣٣٩ ص ، ٢٥ سم
ردمك : ٩ - ٣٩١ - ٤٣ - ٩٩٦٠
١ - الدعوة الإسلامية ٢ - الإسلام - دفع مطاعن أ. العنوان
ديوى ٢١٣ ١٤٢٣/٥٦٧٢
رقم الإيداع : ١٤٢٣/٥٦٧٢
ردمك : ٩ - ٣٩١ - ٤٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولي : ذو الحجة ١٤٢٣هـ
مطابع الوحيد - مكة المكرمة

عنوان الطلب
ص ب : ١١٠١ - المدينة المنورة
ت ٨٣٦٨٣٨٢ / ٠٤ - ٥٣٧ ٨٣٨٠ / ٠٤
جوال ٠٥ ٣٣٣ ٢٢٨٦ أبو طلحة

قال أبو طلحة

الإنسان مركب من الخطأ والنسيان ، فما وقع في كتابنا هذا من الخطأ فهو مني ومن الشيطان الرجيم والذي أرجوه من القراء الكرام أن يقوموا بواجبهم بالنصح حتى نستدرك ما وقعنا فيه ، ونتعلم منهم فليس المرء يولد عالماً وفوق كل ذي علم عليم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى الإسلام (سلطان الأديان وناسخها)

✪ قد دعا إليه رب العزة والجلال حيث قال:

﴿ والله يدعوا إلى دار السلام ﴾ يونس: ٢٥

✪ ودعا إليه أفضل الخلق من الأنبياء والرسل عليهم السلام:

قال تعالى: ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ النحل: ٣٦.

✪ وقال الله تعالى في صفة نبينا صلى الله عليه وسلم:

﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ﴾ الأعراف: ١٥٧.

✪ ووصف الله الأمة بما وصف به نبيها حيث قال:

- ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران: ١١٠.
- وقال تعالى: ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ التوبة: ٧١.

✪ فإذا كان رب العزة والجلال دعا عباده إلى الإسلام

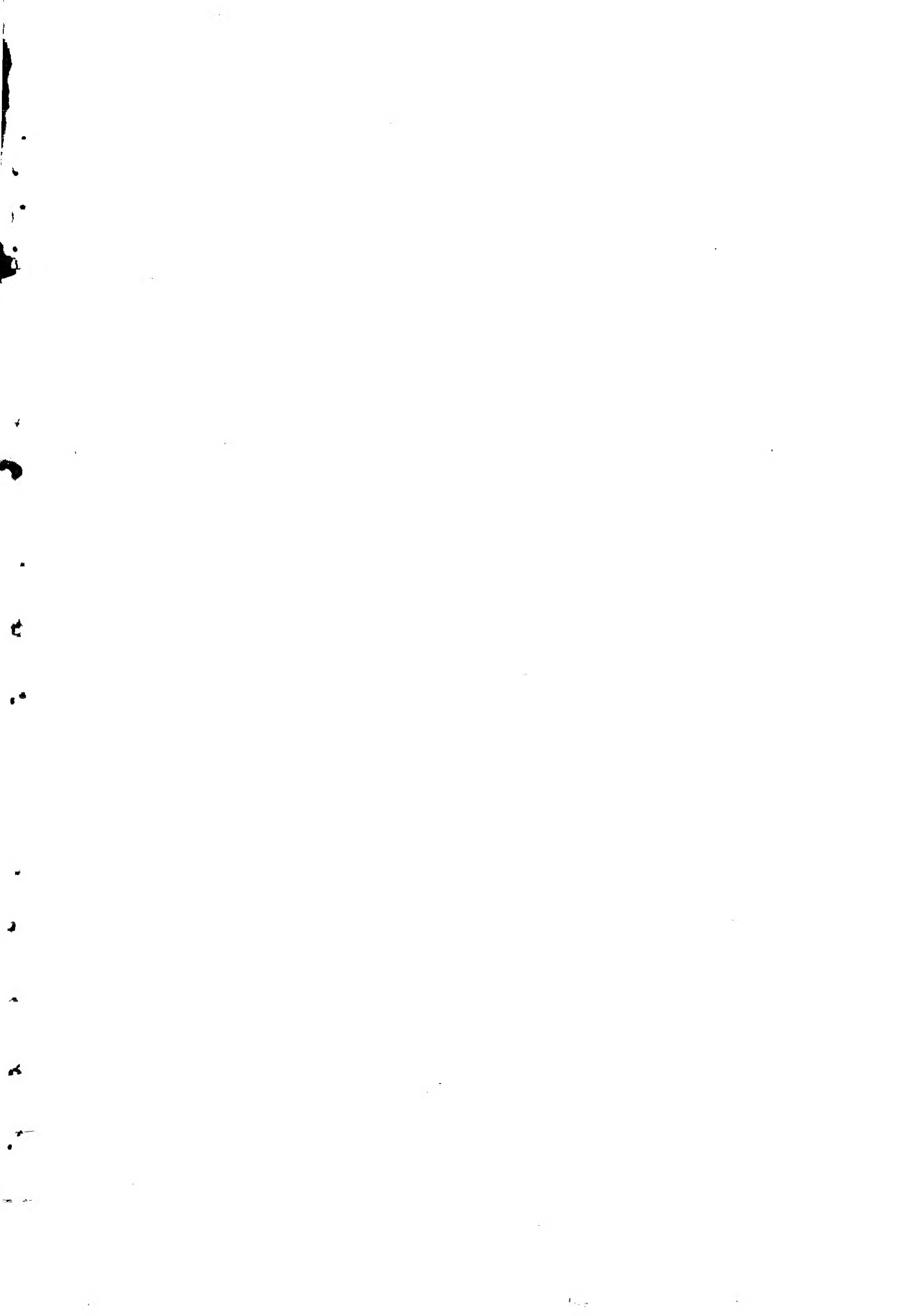
✪ ودعا إليه صفوة الخلق وسيد البشر صلوات ربي وسلامه عليه

✪ ودعا إليه كل من سبقه من الأنبياء عليهم السلام أشرف البشر

✪ ودعا إليه كل من تبعهم من المؤمنين والمؤمنات على هدى وبصيرة

- ويقول رب العزة والجلال: ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين ﴾ فصلت: ٣٣

فهل للإقتداء والتقليد موضع أرفع من هذا ؟



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
رسـوله الكـريم وعلى آله وصحبه أجمعين

إهـــــداء و إنتســـاب

إلى من أخذ بيدي وأنار لي سبيل الدعوة إلى الله

ذلـك الشخص الكريـم الداعيـة إلى الله ، الـذي وطـأ بقدميـه مشـارق الأرض ومغاربها في سبيل الدعـوة إليـه سبحانه ، المحبوب إلى الجميـع مـن الأقـارب والأجانب ، والمحب للفقراء أكثر من الأغنياء ، واصل الرحـم ، معين الضعيـف المنقطع ، قريُ ضيوف الرحمن ، المعروف بـ (**ملك عبد الحق سراج الدين**) ـ رحمه الله ـ كان أحد الأخيار الوجهاء بمكة المكرمة ، جميل في خلقِه وخُلقه لـن أنساه أبدا .. غـيَّر مسـار حيـاتي .. أخــذ بيـدي وعرّفـني بأبجديتـها .. وأضاء لي سبل السلام بمنّـه وكرمه سبحانه .

أذكر أني كنت أدرس في كلية حكومية في مدينة فيصل أباد بباكسـتان قسم العلـوم الطبيعيـة والتـاريخ ، وأثنـاء ذلـك أرسلتُ رسـالة إلى أخي الكبـير محمد يوسف عبـد السـتار ـ حفظـه الله ـ نزيـل مكـة المكرمـة سـنة ١٩٧٢م ، أظهرت فيه شغفي بتعلم العلوم الشرعية ، وبدوره ذكر ذلك للشخص المذكـور ـ وهــو خالي من حيث القرابة ـ وكأنه كان ينتظر ذلك منـذ زمـن ، بـل كـان يتمنى للمسلمين أن يدخلوا في السلم كافة .

وبعد عدة أشهر أتى إلى مدينة فيصل آباد (باكستان) ونـزل بمنزلنـا فرحاً مستبشرا ، وخاطب أمي قائلاً : جئت لآخذ إبنـكِ هـذا لكي يكون قـرة عين لي ولكِ ـ وأشار إليّ ـ وذكر لها فضيلة تلك الأم التي تبعث بولدها في سبيل طلـب الحـق والعلـوم الشـرعية ، وذكـر مشـجعاً لهــا قصــة موســى عليه السلام وأمه التي تركته في عون الله ومدده في عهد أظلم خلق الله فرعون

حين ألقته في اليم (نيل مصر) بأمر الله سبحانه قال الله عز و جل :

(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليهِ فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني) القصص : ٧ .

فلما سمعت أمي بذلك رحبت بالفكرة وقالت وعيناها تذرفان : أرى أن مجيئك إلى بيتي سبب في تحقيق أمنيتي واحمد الله على ذلك ، فخالي ـ رحمه الله ـ لم ينتظر قدوم سنة دراسية جديدة ، وإنما سجلني في الترم الأخير من السنة الجارية في جامعة دار العلوم فيصل أباد مؤسسها **الشيخ المربي المشفق المفتي الداعية الكبير زين العابدين ـ حفظه الله ـ** وكانت تربط به علاقة محبة وصداقة وقرابة ، وتعتبر هذه الجامعة من أقدم الجامعات وأشهرها في باكستان ، وبدأت دراستي وأتممتها في ست سنوات والحمد لله ، وكان يتحمل مصاريف دراستي ، ويعطف علي وكأني من أحد أولاده ، وكان يسأل عني وعن دراستي من أساتذتي من حين إلى آخر .

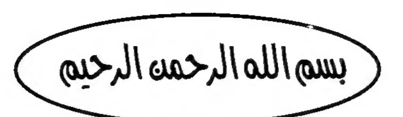
وهو الآن ليس بيننا .. ولكنه في قلبي .. أذكره دوماً ـ رحمه الله ـ لقد صار جزءا من دعواتي من ذاك اليوم إلى الآن ، و(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وإحسانه هذا قد جعل مثواه في قلبي ، وبلغ مبلغ النقش ، فصار لا يغيب ، ومثلي في ذلك كقول الشاعر :

لقد رسختْ في الصدر مني مودّة
لِلَيلى أبتْ آياتها أن تغيّرا

فحق له أن أقول فيه كما قال أحدهم : **(وليس يوصف ما أخبرت عنه بالقيل)** هذا ما أظنه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحد وهو يتولى السرائر يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وبدوري ومن قبيل الوفاء أهدي إليه وإلى جميع أساتذتي ومربي وحِبي الشيخ زين العابدين ثواب أحب الكتب إلي من أعمالي المتواضعة : (هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان) . راجياً من الله الكريم أن يتقبلني وأعمالي ، إنه سميع مجيب .

أبو طلحة محمد يونس عبد الستار



مقدمة الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من اصطفاه الله رحمة للعالمين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . **أما بعد** .

فحينما تجلت رحمة الله تعالى على العالم ، وأراد الله له الهداية ، بعث المصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه -داعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً . ليبلغ الدعوة ، وبذلك - والله - استنارت الدنيا بهذا النور الإلهي ، وسطعت شمس الهداية بالدعوة الربانية : دعوة الخير والحق ، على يد هادي البشرية ومنقذها من الضلال وهاديها إلي النور والسعادة ، الذي كانت دعوته ورسالته ﷺ عامة كما قال سبحانه : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ رحمة عامة شاملة مباركة ، رحمة في الدنيا والآخرة .

ولقد سعدت البشرية التائهة ، بالدعوة إلى الله ، التي قام الرسول ﷺ بتبليغها على خير وجه . وسلك أصحاب رسول الله ﷺ طريقه في تبليغ الدعوة ودرج المسلمون في عصورهم الزاهية على ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم من العناية بالدعوة الإسلامية : الدعوة إلى الله ، فكانت لهم السعادة والسيادة ، وتكونت الأمة الإسلامية في أوج عظمتها وسيادتها وعزتها ، فقهرت الفرس والروم ، وزلزلت عروش الأكاسرة والقياصرة ، ودانت لهم ا لبلاد بفضل الله ونصره وتمكينه ثم بسبب دعوتهم إلى الله .

ولما ترك المسلمون دعوة الإسلام وأهملوها وابتعدوا عن مصدر عزهم ومجدهم ، وأهملوا كتاب ربهم ، وفقدوا صلتهم بأخلاق القرآن وآدابه وهدايته وتشريعاته المباركة مالت الراية الإسلامية ، وتمزقت الدولة العظيمة بسبب تهاون المسلمين في دعوتهم وبمؤتمرات الأعداء من الصليبين الذين توصلوا إلى تحطيم

الطود الشامخ وذلك إبعاد المسلمين عن دعوتهم وعن مصدر عزهم ومجدهم وسيادتهم ، ثم جاء المستعمرون وأذنابهم من بعض المستشرقين يفسدون في الأرض فساداً .

✪ فعلينا أيها المسلمون ! العودة إلى مصدر عزنا وشرفنا ، وقد كان من رحمة الله بالإنسانية أن جعل دعوته شاملة لسائر الناس ، ودائمة على مر الزمان كله ، وبث فيها من التعاليم ما يضمن لهم تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة . (مقتبس من كتاب مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر) .

واعلم يقيناً أيها الداعية إلى الله : أن البشر في حاجة شديدة إلى دعوة الله هذه ، وبدونها لا استقرار ولا سيادة ولا سعادة ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، لأنها وضع خالق البشر الذي يعلم مصالح عباده في الدنيا والآخرة : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ الملك : ١٤ . فالأنبياء والرسل الكرام - عليهم السلام - أرسلهم الله لأجلها ، فهي دعوة وشريعة صالحة لكل زمان ومكان ولكل عصر ومصر . يقول شاعر الشرق محمد إقبال رحمه الله تعالى :

یہ نغمہ فصلِ گل لالہ کا نہیں پابند
بہار ہو کہ خزاں لا الہ الا اللہ

✪ معناه والله أعلم : أن هذه الكلمة أي «لا إله إلا الله» ﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾ إبراهيم: ٢٥ ، لا تحتاج إلى فصل من الفصول : الربيع والخريف والشتاء والصيف . بل مهما كان من المواسم فعليكم أن تهللوا وتبلغوا ولا تسوفوا فيه وقولوا للناس : «لا إله إلا الله محمد رسول الله» تفلحوا . اهـ .

إن الإنسان يظلم نفسه ظلماً حينما يبتعد عن تعاليم الدعوة الإسلامية ، فرغم أن الإسلام دين ميسر مطهِّر مطهِّر يطهّر الأبدان والأرواح من الأوساخ الشركية والبدعية ، وهو على قدر طاقة البشر وفي مصلحتهم ، رغم ذلك ، فإن كثيراً من الناس قد أعماهم الهوى - **إن تسألوني عن الهوى فأنا الهوى**
وابن الهوى وأخو الهوى وأبوه -
والدنيا والنفس والشيطان ، ولعب بهم الضلال فوقفوا من الدعوة الإسلامية (دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام) موقف الترك أو المعارضة والمجادلة والمحاربة

وبعد ذلك عاشوا في اضطراب وتنازع وقلق وحيرة ، ونحن نتقدم بالدعوة الإسلامية لسائر البشر من أجل تحقيق سعادة أصيلة وشاملة للناس أجمعين ، لأنه لا خلاص في غيرها ولا سعادة في سواها .

✪ فيا إخوتي في الله ! لا يخفى على أحد من المسلمين اليوم أن تشتتهم الحالي كفاية لخذلانهم ، فعلينا أن نرجع إلى ربنا ، ونترك الاختلاف في المسائل العلمية الفرعية ، لكي لا تتوسع الجروح والقروح في الأمة المجروحة .

للأسف ! صارت حالة أكثر المسلمين اليوم : أنهم لا يعرفون حال من يقودهم . ولا يدرون أين يذهبون ؟ بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم ، قيل : فإلى أين؟ قال : لا أدري . ونعم ما قال الشاعر :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فهذا هو حال أكثر المسلمين اليوم أنهم لا يدرون إلى أين ذاهبون؟ فبهذا السبب : صار كلامهم ظلمة ، وعملهم ظلمة ، ومدخلهم ظلمة ، ومخرجهم ظلمة ، والله أعلم بمصيرهم يوم القيامة ، ءإلى وادي الظلمات والنيران؟ أم إلى وادي الفردوس والجنان ؟

✪ هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان ؟ ومن يعين هؤلاء الغارقين الغائصين في بحر لُجِّيٍ يغشاهم ظلام من فوقه ظلام ، ومن فوقه سحاب الظلمات والأهواء ، بعضها فوق بعض ، وهم رافعوا أيديهم ورؤوسهم في بحر الظلام ، ولا يظهر منهم إلا الأصابع يشيرون بها كأنهم ينادون : الغوث الغوث ! أيها المسلمون ! نحن الغارقون ، وأنتم تختلفون إلى الآن فيما بينكم ألا تدركون ؟

✪ إخوتي في الله ! فهل إلى رجوع من سبيل؟ بأن نترك الاختلاف والمناظرة والمجادلة في الجزئيات ، ونلقيها في سلات الاختلاف ، فإن ظرفه واسع ، ونجنح للسلم ، ونستبق إلى الخيرات ، ونختار أسلوب الاستفسار والإستفهام الذي تنحل به الاختلافات ، وتذهب به الأسقام ، لكي نخرج نحن ، ونُخرج إخوتنا الغارقين في بحار الظلام والثبور ، إلى النور والحبور والسرور ، بإذن الله الودود الغفور ، وما ذلك على الله بعزيز .

✪ **أيها المسلم : كن مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر**، وكن سحابا ثقالا متراكما في السماء ، تحمل ماء الرحمة والوفاء ، ومن ثَمَّ انظر إلى البلاد الميتة المحرقة للمسلمين في أنحاء العالم ، ثم امطر عليهم مطر الخير والرحمة والبرد ، حتي تُطفأ النار الموقدة من جهة أعدائنا وأعداء الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

✪ وكن شمساً كالتي تَسبَح في الفلك وتطلع على هذه الجهة في وقت وتنِّور بنورها وضوئها أهل الشرق ، من كانوا وحيث كانوا في البر والبحر ، ثم تغرب عنهم لتطلع على جهة أخرى ، فتجري في الفلك ، وتنور بنورها وضوئها أهل الغرب والشمال والجنوب في أوقات مختلفة ، حتى تعمّ بنورها جميع أهل الأرض ومن عليها .

فهذا هو شأن المؤمن الذي نوّر الله قلبه بنور الإيمان ، والذي محياه ومماته لله رب العالمين ، يسيح في الأرض كالشمس ، و يطلع على هذه الجهة في وقت ، وينوّر بنور إيمانه أهل الشرق مَن كانوا وحيث كانوا في البر والبحر ، ثم يطلع على جهة أخرى ، ويسيح في الأرض وينوّر بنور إيمانه أهل الغرب والشمال والجنوب في أوقات أخر ، حتى ينور بنور إيمانه جميع أهل الأرض ، ليكون الدين كله لله ، فهذا هو معنى قول الشاعر الذي يصف المؤمن من أهل الإيمان باللغة الأردية ويشبههم بالشمس في جريها وإيصال نوره وضوئه إلى أهل الأرض ومن عليها . يقول رحمه الله :

زمیں میں اہلِ ایماں صورتِ خورشید جیتے ہیں
اِدھر ڈوبے اُدھر نکلے اُدھر نکلے اِدھر ڈوبے

✪ قال أبو طلحة : بل وشأن المؤمن أعلى وأولى وأبقى وأرفع وأدوم وأخلد من الشمس ، لأن المؤمن الحقيقي يستفاد من نور إيمانه وتتنور به القلوب المظلمة بعد موته وبعد إقباره في الأرض ، ويخلد في الجنة أبد الآباد بإذن الله ورحمته ، ولا يموت فيها قط بعد موتته الأولى . والشمس ليست كذلك ، فلا يستفاد من نورها ولا من ضوئها ، بعد تكويرها وإظلامها ، ولا خلود لها في

الجنة بل ولا دخول لها وقد قال تعالى : ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ الإنسان : ١٣ ، قال القرطبي رحمه الله : [فالمعنى لا يرون فيها ـ أي في الجنة ـ شمسا كشمس الدنيا ولا قمراً كقمر الدنيا] .

✪ وذكر صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» في تفسير قوله تعالى : ﴿إذا الشمس كوّرت﴾ التكوير : ١ :

✪ [وقيل : معنى ﴿كوّرت﴾ ألقيت من فلكها في النار ، وقد ورد «إن الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة» (أخرجه البزار في مسنده عن أبي هريرة مرفوعا انظر الدر المنثور : ٦ / ٣١٨) .

✪ثم قال : [فإلقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ، ولكن لإزدياد الحر في جهنم] اهـ ما ذكره صاحب «تنوير الأذهان»] . **والله أعلم بالصواب** .

سبب أختياري لموضوع الدعوة

قال أبو طلحة : اتصل بي أحد الأمريكان بواسطة الهاتف قبل ثلاث سنوات من كتابة هذه الأسطر ، وذلك بعد صلاة العصر إذ كنت بمقر عملي بمطابع الرشيد بالمدينة النبوية (**على صاحبها أفضل الصلاة والسلام**) ، فبدأ يتكلم معي – باللغة الإنجليزية والعربية – بصوت فيه شيء من آثار البكاء والسرور كأنه وجد ضالته ، فبدأ يسأل عن كتابي «جبال الذنوب وسيل الغفران» وغيره من مؤلفاتي :

✪ **وقال** : والله يا أبا طلحة ! قد وجدتُ مافقدتُ في هذه الديار الأجنبية الضالة ، وتذكّرتُ ما نسيتُ من ميراث آبائي وما أمرنا به المصطفىٰ صلوات الله وسلامه عليه ، وصالحت ربي بعد أن نقضتُ العهود الطائلة ، ورجعتُ إلى باب مولاي بتوفيق منه سبحانه – والحمد لله – بعد أن عصيته عشرين سنة وبارزته في السر والعلن ولا أبالي ، وذلك بعد قراءة كتابك «**جبال الذنوب وسيل الغفران**» ثم كتابك «نور على نور في ذكر الله والصلاة والسلام على الرسول» ﷺ استعرتهما من أحد المسلمين في المسجد ، ووجدتهما منبع الخير والصلاح والفلاح وذلك لمن قرأهما بنية صادقة ، وكذلك وجدت فيهما قسطاً من السكون والطمأنينة والراحة ، وألفيت بعد قراءتي ليناً في قلبي القاسي المكدر .

✪ **وقال : إن العالَم الأمريكي** يمر بمرحلة حرجة في هذه الآونة بالرغم من وجود ناطحات السحاب ، والأموال الطائلة ، والدخل الكبير للفرد الأمريكي ، فهؤلاء والله - وأنا منهم - يجدون جميع أنواع الرَّوْح والراحة ما لا يتوفر لغيرهم ، ومع ذلك كله لا يجدون الراحة ولا حلاوة الحياة الحقيقية ، ولا طمأنينة لهم ، ولا إنشراح لصدورهم ، بل صدورهم ضيقة لضلالهم ، وإن لبسوا ما شاءوا ، وأكلوا ما شاءوا ، وسكنوا حيث شاءوا ، فكلهم في قلق وحيرة وشك ويبحثون عن الراحة والطمأنية ولا يجدونها ، وأنا واحد منهم أُقرّ بذلك أمامك ولكنني هداني ربي بفضله عز وجل ، ووجدت ضالتي بعد قراءة كتابك الذي قد مُلئَ من رحمة البارئ الواسعة ، وكانت هذه الرحمة التي كنت أبحث عنها في حياتي التي قد مضت أكثرها في غدراتي وفجراتي ، أعوذ بالله منها ولا حول ولا قوة إلا بالله .

✪ **وقال : والله لو تُرجم هذا الكتاب باللغة الإنجليزية** ووُزِّع على غير المسلمين في أمريكا وغيره من البلاد ، يقبلونه كالمستلذ الأعظم دونه كل مستلذ ، ويستفيدون منه كأحسن ما يستفيد أحد من شيء مرغوب ومطلوب ومحبوب إليه ، ولا هدية أعظم منها لهؤلاء الحيارىٰ في حياتهم الذين يبحثون عن السكون والطمأنينة ولا يجدونها قط ، وذلك حسب ما أرى في هؤلاء وما أقصر نظري لأنني كنتُ واحداً من هؤلاء المرتكبين للفواحش ما ظهر منها وما بطن أعاذنا الله من ذلك .

✪ **ثم قال** : أريد جميع مؤلفاتك يا أبا طلحة ! فكيف أجدها ؟ حسبتُ أنه أحد الزائرين أو المعتمرين نزل المدينة النبوية ، فسألته عن مقره في الفندق ورقم الغرفة وعن اسمه كذلك ؟ فقال : اسمي عبدالحميد وأتكلم معك من أمريكا في هذا الحين ، فتعجبتُ من رغبته في دين الله وعطشه الشديد إليه ومن كلامه الطويل على الهاتف . فكتبت عنوانه في أمريكا ورقم هاتفه وهو : (٠٠١٩١٦-٧٩٣-١٢٨٥٢) .

✪ **ثم بعد الفراغ من المكالمة** فكرتُ في الموضوع الذي جرى بيني وبين الأخ عبدالحميد ما يقارب ٤٥ دقيقة على الهاتف ، وعطشه الشديد

إلى دين الله ورغبته فيه وبحثه عن رحمة الله عزوجل وكيف يحصل عليها ؟

✪ **فتأوهتُ ألماً على ما نحن فيه المسلمين** والدعاة منهم خاصة ، فأين نحن من إبلاغ رسالات الله وقد قال تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾ آل عمران : ١١٠ .

✪ وورد في الحديث الصحيح عن سيد الأنبياء ﷺ «بلغوا عني ولو آية» مع أن الأمة عطشها شديد إلى دين الله ، وترغب في أن ترجع إلى رحمة الله ، ونحن جالسون في بيوتنا ، نائمون في نوم الغفلة ، واليهود والنصارىٰ يهوّدون وينصرِّون أمة محمد ﷺ المسكينة الفقيرة في ديارهم المدمرة بإستعمال المادة وبجنودهم المجندة المنتشرة في أنحاء العالم أجمع .

✪ فعزمت وقلت في نفسي مستغيثا بالله : أؤلف كتاباً في موضوع الدعوة وأهميتها في دين الله ، وواجب المسلمين والدعاة نحوها ، وغفلة الأمة عنها مع عطشها إلى سلطان الأديان (الإسلام) وأسميه :

(هم عطشىٰ فمن يسقيهم شراب الإيمان ؟)

فوفقني الله لهذا العمل السني بسبب أخي المسلم الأمريكي العطشان إلى رحمة الرحمن . وبدأت فكتبت في المرحلة الأولى ما يقارب ١١٠ صفحة في هذا الموضوع - والحمد لله على ذلك - .

ثم توقف العمل بسبب انشغالي في غيره من المؤلفات ، ولم يتيسر لي إتمام هذا الكتاب إلى فترة من الزمن .

✪ وهنا ينبغي أن لا أنسى ذكر أخي في الله «الشيخ عبدالقادر صادق» ـ جزاه الله جزاء الأبرار وأجر الأخيار وأطال المولى بقاءه بالعافية والمعافاة ـ وهو أحد الأخيار الوجهاء بطيبة الطيبة الذي مازال يشجعني على إتمام هذا الكتاب وذلك بعدما قرأ قصة الأمريكي المذكور ، حيث أهدى إليّ جهاز كمبيوتر لإكمال هذا الكتاب خاصة ولغيرها من المؤلفات عامة .

فها هو الكتاب بين يدي القاري قد وفقني الله لإتمامه والحمد لله حمداً لا انقطاع له ،، وليس إحسانه عنا بمقطوع .

وأود لو يوفق الله أحد أهل الخير بطباعته على نفقته الخاصة ابتغاء مرضات الله تعالى ، كما أتمنى أن يترجم كتابي «جبال الذنوب وسيل الغفران» باللغة الإنجليزية ويوزع على هؤلاء العطشىٰ في ديارهم نزولا عند رغبة المسلم الأمريكي .

✪ **وهذه دعوتي** لجميع المسلمين من كانوا وحيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها ، ولجميع الجماعات والمراكز الإسلامية والمكتبات بمختلف أنواعها الإذن بطبع جميع مؤلفاتي وترجمتها للغات المحلية بدون الرجوع إلى المؤلف مهما كانت تجارتهم مع الله أو مع الناس فلا مانع لدي من ذلك .

✪ نعم لو أراد أحد أهل الخير نشر بعض مؤلفاتي بسعر زهيد وقليل فعليه أن يرجع إلى المؤلف لأن أفلام جميع الكتب واللوحات (التي تسبب السعر الزهيد في نشر الكتاب مرة ثانية وثالثة) توجد لديه . والله الموفق .

✪واعلم أن الكتاب مشتمل على خمسة أبواب رئيسية : فالباب الأول مشتمل على أساليب أعداء الإسلام لطمس نور الإسلام على وجه الأرض ، والمشكلات الخارجية التي تنبع من خارج الدعاة ، وتأتي من قِبَل أعدائهم لتعوق دعوتهم .

وذلك ليعلم الدعاة مدى اهتمام أهل الباطل وجهودهم لنشر أديانهم الباطلة الضالة وكيدهم لطمس نور الإسلام من وجه الأرض ، ثم يقوموا (أهل الحق) أهل الإسلام ضد هؤلاء الكفرة الفجرة بأموالهم وأنفسهم لنشر دعوة الحق وإخراج الناس من الظلمات إلى النور . فهل من مدكر ؟

هذا وأسأل الله سبحانه أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعلنا ممن قال فيهم : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ ، وأن يتقبل منا وينفع به وينفعنا بما علمنا ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

أبو طلحة محمد يونس عبدالستار

المدينة النبوية

على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم

خطبة جمعة في مكانة الدعوة إلى الله سبحانه

لفضيلة الشيخ علي بن عبدالرحمن الحذيفي حفظه الله
الإمام والخطيب بالمسجد النبوي الشريف (بتاريخ ١٤/٦/١٤٢٣هـ)

الخطبة الأولى : الحمد لله البر الرحيم يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، أحمد ربي سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره وأثني عليه الخير كله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، العليم العظيم ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله ، دعا إلى الله على بصيرة وجاهد في الله حق جهاده ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً كثيراً .

أما بعد : فاتقوا الله أيها المؤمنون وأطيعوا الله ورسوله لعلكم تفلحون . واعلموا - عباد الله - أن أعظمَ نعمة أنعم الله بها على العباد وأكبر منة يمنُّ الله بها على من يشاء هي ما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ قال الله تعالى : ﴿ لقد منَّ اللهُ على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم ءاياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (آل عمران : ٦٤) ويقول تعالى ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ (الحجرات : ١٧) ويقول عز وجل : ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكّيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ (البقرة : ١٥١-١٥٢) ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم فمن أخذ بما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ وتمسك به فقد جمع الله له خيري الدنيا والآخرة ، ومن حرم ذلك (والعياذ بالله) فقد أحاط به الشقاء ، ونزل به البلاء ولا ينفعه ما نال من الحظوظ ولا يُجزي عليه شيئاً ما تمتّع به من الملذات ، قال الله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (هود : ١٥) ، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : «يؤتى بأنعم أهل الدنيا ويصبغ في النار ويقال له : هل رأيت نعيماً قط فيقول : لا والله ما رأيت نعيماً قط ويؤتى بأشد الناس بوساً في الدنيا ويصبغ في الجنة مرة ويقال له : هل رأيت بؤساً قط ؟ فيقول : لا والله ما رأيت بؤساً قط» .

أيها المسلمون : إن نعمة الحق التي حباكم الله بها ونعمة الدين التي منّ الله بها عليكم لا تكتمل ولا تتم إلا بالدعوة إلى الله على بصيرة ، ولا يبلغ المسلم الدرجة العالية إلا بالدعوة إلى الإسلام والإيمان ، وقد قدم الرب تبارك وتعالى الدعوة على

الاستقامة لعظم مكانة الدعوة وجميل أثرها وعموم نفعها للعباد والبلاد . قال تعالى ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرتَ ولا تتبع أهوائهم وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتاب وأمرتُ لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ (الشورى : ١٥) ففي هذه الآية المباركة جعل الله تكاليف الإسلام وواجباته قسمين : قسماً جعله الله لاستقامة وصلاح النفس وصلاح الحال ، وقسماً آخر : دعوة للناس وإحساناً إليهم ببيان الحق من الباطل والخير من الشر والتوحيد من الشرك ، وقد بدأ الله في الدعوة إلى الإسلام بنفسه وكفى بالدعوة إلى الله شرفاً أن يبدأ الله تعالى بدعوة الخلق إلى الدين الحق بنفسه قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة :٢٠٨) ومعنى الآية : ادخلوا في الإسلام كله واعملوا بدين الله ولا تتركوا منه شيئا . وقال تعالى : ﴿ والله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ (يونس : ٢٥) ويقول عز وجل ﴿ والله يدعواْ إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾ (البقرة : ٢٢١) .

والدعوة إلى الله تعالى سبيل الأنبياء والمرسلين وغاية قصدهم ومنتهى أملهم وأساس عملهم ، قال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ . (الأنبياء : ٧٣)

وقد قص الله علينا في كتابه من أنباء الدعاة إلى الله الذين خالطت بشاشةُ الإيمان قلوبَهم من أنباء الماضين ما هو مثل يُحتذى، وطريقةٌ مثلىٰ ، هذا مؤمن آل فرعون قال تعالى عنه : ﴿ وقال الذي ءامنَ يا قوم اتبعون أهدكُم سبيل الرشاد ﴾ (غافر : ٣٨) وقال تعالى عن صاحب ياسين : ﴿ وجاء من أقصَى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون ﴾ (يس : ٢١) فقتلوه ، وقال تعالى عنه : ﴿ قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ (يس : ٢٦-٢٧) قال قتادة : «لا تلقى المؤمن إلا ناصحاً لا تلقاه غاشاً» وانظر إلى هذا المؤمن كيف نصح لقومه في حياته وبعد مماته ، وقد روى مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قصة الغلام الذي كان في نجران ودعوته إلى الله وأنه قال للملك : اجمع الناس في صعيد واحد وخذ سهماً من كنانتي وارمني به وقل بسم الله رب الغلام فإنك إن قلت ذلك قتلتَني ، ففعل ذلك الملك فقتله ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، وقد ذكر الله تبارك وتعالى قصته في سورة البروج كاملة .

إن طبيعة الإيمان وميزته هي الانتشار والانطلاق والانتقال فما أن يستقر في قلب حتى يأخذ طريقَه إلى قلوب أخرى ، ولا يكون في بلد إلا انتقل إلى بلدان أخرى لأن الإيمان كالنور والضياء يخترق حنادسَ الظلام ، ولا يحصره مكان ، وهو كالهواء لا يختص بأحد دون أحد ، لأن كلاً محتاج إلى الإسلام والإيمان ، والمرءُ إذا لم تنبسط

أشعّةُ الإيمان في قلبه وتنطلقِ إلى القلوب المحرومة والمنحرفة ولم يدعُ صاحبه إلى الله تعالى فهو إيمان قد دبّ الموتُ في فروعه ، فقصّر صاحبُه فيما فرض الله عليه .

وانظر إلى مؤمني الجن لما آمنوا ولوا إلى قومهم منذرين دعاة ، وسيدُ المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وخاتمهم نبيُّنا محمد ﷺ قدبين الله تعالى مهمته ووظيفته بقوله : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً﴾ (الأحزاب : ٤٥ - ٤٦) وقد أمره الله تعالى أن يبين أن الدعوة إلى الله على بصيرة هي سبيله وطريقه وطريقة الذين يتبعونه ، قال تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾ (يوسف : ١٠٨) .

وأمة رسول الله ﷺ هي خاتمة الأمم ووارثة النبي ﷺ في الدعوة قال تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ (آل عمران : ١١٠) وكان كل من السلفِ رضيِ الله عنهم من هذه الأمة داعياً إلى الله على بصيرة ، حتى ملؤوا الأرض علماً ونوراً وهدى ورحمة وصلاحاً وسلماً ، فكان لهم من الثواب ما يجري إلى يوم القيامة كما قال رسول الله ﷺ : «مَن دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شئ ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل وزر من اتبعه ، من غير أن ينقص من أوزارهم شئ» . والرسول ﷺ كان إذا أرسل أمراءه في البلدان يأمرهم أولا بالدعوة إلى الله تعالى ، كما في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن قال له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فاعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإذا أطاعوا لك فاعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم» ويأمر أميرَ الغزو أولا أن يدعو المحاربين أولا إلى الإسلام لأن هذه الأمة هي أمة الدعوة إلى الله ، فإذا حفظت الدعوة حفظ اللهِ لها دينها ودنياها وآخرتها ، وإذا ضيّعت الدعوة تعرّضت للضياع في أمرها بمقدار ما ضيّعت من أمر الله تبارك وتعالى ، وقد رفع الله منار الدعوة إلى الله عز وجل ، وأنار سبيلها وأعلى درجةَ القائمين بها ، وأحاطهم برحمته وتأييده ، قال الله عز وجل ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ (فصلت : ٣٣) .

قال الحسن البصري رحمه الله : «هذا حبيب الله ، وهذا وليُّ الله ، هذا صفوة الله هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الأرض إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته وقال : ﴿إنني من المسلمين﴾ ، هذا خليفة الله .

وقد بيّن الله تعالى صفة الدعوة إليه لتعطي ثمارها ، وتُثبتَ جذورَها في القلوب ، بأن تكون الدعوة بالإقناع والموعظة بالترغيب والترهيب وبيان أدلة الحق وهدم أدلة الباطل قال الله عز وجل : ﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ (النحل : ١٢٥) ..... بارك الله لي ولكم ...

الخطبة الثانية : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه صلاة وسلاماً أبداً .

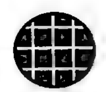
أما بعد : فاتقوا الله عباد الله ، وسارعوا إلى مرضاته ، واعملوا بما أمركم الله به ، وتفقّهوا في دينكم ، فإن من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، وادعوا إلى الله على بصيرة رجالاً ونساءً كلٌّ حسب استطاعته ، وإياكم ومخالفةَ ما تدعون إليه من الخير ، قال بعض السلف : من دعا إلى الله تعالى فعليه أن ينظر إلى هؤلاء الآيات الثلاث وأن يعمل بهن بنفسه : ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة : ٤٤) وقوله تعالى : ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ (هود : ٨٨) وقوله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ (الصف : ٢-٣) .

والدعوة إلى الإسلام هي بالبيان والحجة والإقناع ، وما الجهاد في سبيل الله إلا لأجل الدعوة إلى دين الله ، فلا يُكره أحد على الدين ، ولا يحال بين أحد وبين دين الحق ، قال الله تعالى : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة : ٢٥٦) وكما تكن الدعوة بالقول تكن كذلك بالعمل وبالقدوة الحسنة كما قال الله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ (الأحزاب : ٢١) فإن الأفعال من أعظم الأسباب لدعوة الآخرين ، وقد قال الله تعالى في بعض أهل النار فرعون وقومه : ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون﴾ (القصص : ٤١) فدعوتهم إلى النار هي بأفعالهم ، وقد قال النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم» رواه البخاري .

عباد الله ! إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ، ... الخ .



الباب الأول



أساليب أعداء الإسلام لطمس نور الإسلام

اقرأ وابك على حال إخوانك المسلمين في العالم

في أقليم السند (باكستان)

تنصير (٨) آلاف شخص في يوم واحد

ذكرت أحدث إحصائية للمجلة الدولية التي تصدر في أفريقيا وتتناول أبحاثاً عن التنصير ، إن مجموع التبرعات التي جمعت لأغراض كنيسة بلغ عام ١٩٨٩م / ١٥١ / مليار دولار في حين بلغ عدد المجلات والنشرات والدوريات النصرانية (٢٢٧٠٠) مطبوعة ، وتم توزيع (٧٢) مليوناً و(٥٥٢) ألف نسخة من الإنجيل .

وتقول وكالة الأنباء الإسلامية الدولية التي نقلت التقرير أن المنصرين يستخدمون في حركتهم ما يقرب من (١٩٠٠) محطة إذاعية وتلفزيونية .

وقال تقرير المجلة : إن (٣٠٠) ألف مسلم تقبلوا مبدأ التنصير في أفريقيا كما تم تنصير (٨٠٠٠) شخص في أقليم السند بباكستان في يوم واحد .

وجماعات التنصير ناشطة في باكستان وأفغانستان تحت مظلة الجمعيات الإنسانية الدولية .

وإذا كانت هذه الأرقام دقيقة وصحيحة فهي بدون شك كارثة حلت بالمسلمين وسط غيبتهم وإنشغالهم واختلافهم وتبدد جهودهم

في اقليم السند.

تنصير ٨ آلاف شخص في يوم واحد

ذكرت احدث احصائية للمجلة الدولية التي تصدر في افريقيا وتتناول ابحاثا عن التنصير. ان مجموع التبرعات التي جمعت لاغراض كنسية بلغ عام ١٩٨٩م /١٥١/ مليار دولار في حين بلغ عدد المجلات والنشرات والدوريات النصرانية /٢٢٧٠٠/ مطبوعة وتم توزيع ٧٢ مليونا و٥٥٢ الف نسخة من الانجيل.

وتقول وكالة الانباء الاسلامية الدولية التي نقلت التقرير ان المنصرين يستخدمون في حركتهم ما يقرب من /١٩٠٠/ محطة اذاعية وتلفزيونية.

وقال تقرير المجلة .. ان ٣٠٠ الف مسلم تقبلوا مبدأ لتنصير - في افريقيا كما تم تنصير ٨٠٠٠ شخص في اقليم السند بباكستان في يوم واحد.

وجماعات التنصير ناشطة في باكستان وافغانستان تحت مظلة الجمعيات الانسانية الدولية.

واذا كانت هذه الارقام دقيقة وصحيحة فهي بدون شك كارثة حلت بالمسلمين وسط غيبتهم وانشغالهم واختلافهم وتبدد جهودهم

الدعوة - ١٤١٢/٤/٢ - ٩

أساليب أعداء الإسلام لطمس نور الإسلام

اقرأ وَ ابك على حال إخوانك المسلمين في العالم

ذكر فضيلة الشيخ د/يحيى ابراهيم اليحيى حفظه الله في رسالته (مشاهدات في بلاد البخاري) وقال :

استخدمت الشيوعية الوسائل والأساليب في محاولة لطمس الهوية الإسلامية وتحويل المسلمين إلى ملاحدة ، فسلكت جميع الطرق وسخرت جميع قواها في هذا الغرض ، حتى ظن من لا يعرف ماهية هذا الدين بأنه لن يبق في هذه البلاد من يقول : الله ، الله ومن وسائلهم :

١ - الإستيلاء على كافة المساجد وتحويلها إلى متاحف ومستودعات وملاعب ومراقص وخمارات ومستشفيات ... الخ - ولا أقول هذا نقلا عن أحد بل وقوفاً عليها - ففي تركستان وحدها تم إغلاق أكثر من ست وعشرين ألف مسجد ، وجرى تحويل أكثر من سبعمائة مسجد في بلاد التتار ،وخمسمائة مسجد في بلاد القفقاز إلى مواخير وأندية وإسطبلات . (المسلمون في الا تحاد السوفيتي ١/٢٦)

٢- إغلاق جميع المدارس الإسلامية وتحويلها كالمساجد ، وكان قبل الثورة مثلا يوجد في بلاد بخارى وحدها أكثر من ثلاث مائة وستين مدرسة ، وقد فنيت تلك المدارس ولم يبق قائما الآن سوى خمسين مدرسة ، وقد جعلت متاحف ومسارح وغير ذلك .

وقد اطلعت بنفسي على مدارس في (خوارزم) في مدينة (خيوة) ودخلت مدرسة كبيرة مكتوب على بابها "مدرسة محمد أمين خان" بنيت سنة ١٢٧٥هـ وبجانبها عدة مدارس ، وللمدرسة منائر جميلة وقد كتب في مقدمة المدرسة "قد أوصل الله تعالى اختتام بناء هذه المدرسة التي هي خير المدارس في العالم سنة ١٢٧٥هـ

بأمر سلطان الزمان الغازي محمد أمين بهادر خان.." وهذه المدرسة ذات بناء شامخ عجيب ؛ وجمال يأخذ بالنفس ، ولما دخلت بوابتها مابين منارتين وجدت في الباب امرأة على مكتب فسألناها فقالت : هذا فندق ، ثم دخلنا فرأينا سلما ينزل تحت الأرض فسألت عن ذلك . فقيل هذه خمارة ، والموسيقي تضرب بين جنباتها ، ثم خرجت من المدرسة إلى مدرسة مجاورة فإذا فيها دار للسينماء ، وفي بوابة هذه المدرسة المتاحف .وهذه المدينة ما إن تدخلها إلا وتطالعك المدارس المشيدة ومنائرها العالية الجميلة وهي تبكى أطلالها وعمارها وروادها.

٣- حرق وإغراق جميع المصاحف والكتب ، وقد حدثني الثقات أن الشيوعيين جمعوا كأمثال الجبال من الكتب في بخارى وسمرقند وأحرقوها .

٤- منع اقتناء أي مصحف أو كتاب ، مما اضطر كثيرا من الناس إلى إحراقها أودفنها في الجدران ، أو حفظها على خوف وقلق عظيمين ، لأن من وجد في حوزته كتاب أو مافي حكمه مما يمت للعلم الشرعي أو اللغة العربية بصلة فهو معرض للمحاسبة ، ولهذا فالآن لا يكاد يوجد عند كثير من المسلمين اليوم مصحف ولاكتاب بل لاتجد في مساجدهم ذلك أيضا .

٥- من وسائل الشيوعيين في طمس الهوية الإسلامية نشر وطباعة الكتب الإلحادية والأدب الإلحادي .

٦- تسهيل الإنضمام إلى الحزب الشيوعي والتمتع بامتيازاته .

٧- تزييف التاريخ الإسلامي الخاص بالمنطقة ، فقد حاولوا تجهيل الأبناء جميعا في أن هذه البلاد تمت إلى الإسلام بصلة ، وإن ذكروا فتوحات المسلمين فإنهم يذكرونها على سبيل الغزو والسيطرة والإستعمار ، وإذلال شعوب المنطقة ، ولذلك كثيرا ما يوجد في شوارعهم رسوم وصور المكافحين الملاحدة الذين قاموا بمكافحة الإسلام في القديم والحديث .

٨- فرض اللغة الروسية ومحاربة الأحرف العربية ، وهذا شامل لجميع نواحي الحياة ، فاللغة الروسية مفروضة رسميا في المدارس والمعاملات وجميع الدوائر الحكومية حتى المزارع والمتاجر لأنها كلها تحت سيطرة الدولة فلا يمكن التخاطب على الأقل

كتابيا إلا بالروسية ، حتى أصبح كثير من المسلمين لا يستطيع أن يكتب بلغته الأصلية التي يتحدث بها .

٩- منع النساء من الحجاب الشرعي ، وقد أقيمت الإحتفالات الرسمية الإلزامية لحرق الحجاب ، حتى اعروا نساء المسلمين ، فأصبح أكثر نساء المسلمين اليوم يلبسن لباس الأوربيات .

١٠- تسخير نساء المسلمين في الأعمال المهنية الشاقة ، فحيثما توجهت نحو أي مزرعة تجد نساء المسلمين يمسكن بالمساحي لحراثة أرض الدولة . أما الشوارع فإن تنظيفها موكل إلى عجائز المسلمين فإلى الله المشتكى .

١١- تهجير الكفار إلى بلاد المسلمين ، ليمتزجوا بهم وكذا العكس ، ولهذا تجد الروس والكوريين وغيرهم قد سكنوا في أحياء المسلمين وقراهم ، وكل هذا مبالغة في طمس الهوية الإسلامية ، فأصبحت تجد المسلم وبجواره الروسي النصراني أو الملحد والكوري الوثني ، فالبلاد التي سكانها مسلمون هجروا منهم إلى بلاد النصارى ثم نقلوا من النصارى إليهم .

١٢- تهجير أقوام بأكملهم مثل مسلمي القرم ، فقد قام استالين بقتل عدد كبير منهم بالجوع ، ثم هجر مايزيد على ٢١٠ ألف إلى مناطق نائية في عربات الماشية فمات أكثرهم في منتصف الطريق ، حتى لم يبق في ديارهم واحد .

(المسلمون في الاتحاد السوفيتي ١/ ٢٥)

١٣- من مبالغة الشيوعية في طمس معالم الإسلام في الناشئة تغيير أسماء المسلمين ، حيث تجد اسم المسلم المتعارف عليه عند أهله وأقاربه غير الاسم الرسمي في الإثباتات الرسمية وهو الاسم المعتبر عند الدولة .

١٤- وضع أصنامهم في كل حي وشارع وناحية ، فما تدخل شارع ولا محلة ولا قرية إلا وتجد تمثال لينين أو غيره قد وقف على نصه مرتفعة ، ويعلم الله أنني ما دخلت قرية ولا مدينة ولاشارعاً إلا وأجد صور الملاحدة في شوارعها من القادة ، أو مايسمونهم بشهداء الحرية كالذين قتلوا في أفغانستان .

١٥- تسمية الأحياء والمدن والقرى والشوارع والمدارس وغير ذلك بأسماء رمز الحزب ، وهذا شامل لجميع المدن والقرى في طول البلاد وعرضها ، فمثلا يقولون : قرية لينين ، حي ماركس ، شارع ستالين وكذا ، فأصبح الطفل ينشأ لا يعرف سوى لينين واستالين وماركس وغيرهم من دهاقنة الإلحاد .

١٦- كتابة عبارات إلحادية عند نهاية المدن والقرى بدلا مما نكتبه نحن (تصحبكم السلامة أو الله يحفظكم) فيكتبون : (لينين معكم لينين يحفظكم) .

١٧- التعليم الإلحادي الجبري لجميع الجنسين ، ولمدة عشر سنوات ، يتعلم الطفل فيها إنكار الخالق وتفسير التاريخ تفسيرا ماديا ، ثم تؤكد ذلك وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية .

فالمسلم مجبور وملزم أن يدخل ولده وابنته المدرسة ، ولمدة عشر سنوات فيدخل الولد وعمره ست سنوات ويتخرج وعمره ست عشرة سنة ، فترة المراهقة كلها يعيشها بين الشيوعيين ، وبعد التخرج يختطف إلى سيبريا للتجنيد الإجباري مدة عامين ، كل هذه المدة في يد الملاحدة ليس في يد أبيه وأمه ، وإذا رجع إلى البيت فلا مصحف ولا كتاب ، إنما التلفزيون والمجلة التي تعلم الكفر والإلحاد فماذا ستكون حالة هذا الولد ؟!

(١٨) منع جميع شعائر الإسلام ، فكل مايخطر في البال من شعائر هذا الدين فاعلم أنه محظور في تلك الجمهوريات إبان الشيوعية .

(١٩) تسخير برامج الإعلام كلها لغرس الإلحاد والكفر ، فالتلفزيون مثلا في ثلاث قنوات : قناتان تبث من موسكو ، وقناة تبث من نفس الجمهورية ، فالمسلم حيثما وجه التلفزيون فهو بين هذه القنوات لا يتعداها .

(٢٠) الحظر على المسلمين في اتصالهم بالخارج ، ومنع المسلمين في الخارج من الاتصال بإخوانهم في الداخل ، ولم يقف الأمر عند هذه الحد ، بل إن هذا السور الحديدي الذي ضرب على المسلمين هناك شمل المنع من الاستماع إلى القنوات الإذاعية سوى الإذاعات المحلية ، فلقد شاهدت جهاز الراديو في الفندق - وهو يمثل الشيوعية في قمة تعصبها - وليس له مدير للمحطات ، كما هو عندنا تدير الموجة

لتختار أي محطة شئت ، وإنما هو عبارة عن مفتاح واحد تضغط عليه المرة الأولى فتخرج لك إذاعة موسكو ، والثانية إذاعة محلية ، فليس هناك مجال لأن تبحث عن محطة أخرى . وحتى بعد أن سمح بأجهزة الراديو المتطورة سلط التشويش على المحطات الأخرى .

(٢١) القضاء على العلماء والمشايخ ، وقد حدثني أستاذ في طشقند أن أباه كان يصلي بالناس ويعلمهم ،فاطلعتْ عليه المخابرات ـ الكي جي بي ـ حين خروجه لصلاة الفجر وبعد مساءلته وكان صريحا معهم ، فقدروا صراحته وقالوا سنخفف عنك العقوبة ونشفع لك عند مديرنا ، وفعلا خففت عنه العقوبة فأعطي مسافة من الشارع يقوم بتنظيفه ورشه بالماء كل يوم من قبل صلاة الفجر ، يقول : حتى أصيب والدي بالشلل من شدة البرد حيث كان عمره يناهز السبعين عاما وهذا عمله يومياً . هذه أخف عقوبة عند الشيوعيين لعلماء الإسلام ودعاته (يا معشر الدعاة) .

(٢٢) إجبار الطلاب على الإفطار في نهار رمضان ، ورغم هذه الحرب الشرسة ضد الإسلام فقد كانت الشيوعية تخشى من بقاء بعض المسلمين على إسلامهم وتمسكهم به ، فحدثني أحد الثقات قائلا : لما كنا ندرس في المدارس كان مدير المدرسة في صباح كل يوم من رمضان يمر بنا ، فيجبرنا على الشرب حتى في الأيام الشاتية ، وهذا الإجبار خاص بأولاد المسلمين .

(٢٣) إبادة المدن المحافظة على دينها مثل : مدينة خوقند في بلاد فرغانة ، فقد أبيدت هذه المدينة مرتين : في عهد القياصرة وفي عهد الشيوعيين البلاشفة .

(المسلمون في الاتحاد السوفيتي ١/ ٢٥)

(٢٤) استخدام الإرهاب عن طريق المخابرات في التجسس على الناس في بيوتهم ، ووضع مركز التفتيش عند مدخل كل مدينة وقرية ، حتى إنه ليخيل إليك ـ إذا قدمت إحدى القرى ـ أنك دخلت جمهورية أخرى ؛ فالفنادق مثلا لا تقبلك نزيلا عندها وليس معك تأشيرة لدخول هذه المدينة أو القرية ، ولقد دخلنا مدينة خوقند من وادي فرغانة في ساعة متأخرة من الليل فقصدنا الفندق وأبرزنا له الجوازات فلم يقبلنا

فقلنا له ولم ؟ قال : ليس معكم تأشيرة لدخول المدينة . فقلنا لـه أو ليست من مـدن أوزبكستان ونحن نحمل تأشيرة لدخول الدولة فلم يقبل . **فالمطلوب من الزائر أن يأخذ تأشيرة لجميع المدن والقرى .**

(٢٥) ربط الناس على مختلف طبقاتهم ومستوياتهم بالدولة عن طريق الاقتصاد الذي سيطروا على جميع وسائله وطرقه ، حيث تسيطر الدولة على جميع المزارع والمحلات التجارية ، والمصانع ، وسيارات النقل والأجرة ، والعمائر الكبيرة ، وجميع الثروات . ولا يملك الناس سوى بيوتهم وسياراتهم الخصوصية .

(٢٦) أثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها حاولت الدولة أن تظهر للوفود الرسمية التسامح ، فأذنت بإقامة مسجد في كل ولاية ، لا يتسع لأكثر من خمسمائة مصلي ، ولكن لا يجوز أن يدخلها من عمره أقل من خمسين عاما . وليت الأمر انتهى إلى ذلك بل إن الدولة هي الـتي تعين الإمام ويشترط أن يكون من الحزب أو من المخابرات ، وعليه أن يكتب التقارير عن كل داخل إلى المسجد .

وأنشأت كذلك إدارات دينية تحت إشرافها ، ومدرستين هما : مدرسة مير عرب في بخارى ، ومعهد البخاري في طشقند ، وكان المسؤولون عنها من فجار القوم وقد حدثني من درس في مدرسة مير عرب في بخارى أيام الشيوعية ، أنه كان يدخل عليهم المدرس ولما يصح بعد من الخمر .

حيال ذلك كله نشأت أجيال لا تعرف من الإسلام إلا إسمه ولا من القرآن حتى رسمه ، حيث تجد عددا كبيرا من المسلمين لم يسبق له أن رأى مصحف .

وبعد هذا العرض المجمل عن خطط الشيوعية في طمس نور الإسلام من قلوب الناس ، حيث لا مصحف ولا كتاب ، ولا عالم ولا داعية ، ولا مسجد ولا مدرسة . هل نظن أنه بقي في هذا الديار من يقول : الله الله ..؟ من يشهد : أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة .. ؟

ثم ذكر الشيخ يحيي اليحي حفظه الله في رسالته : (مشاهدات في بلاد البخاري) ص ٧٠ وقال :

إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون :

إن أعداء الإسلام رأوا في هذه المنطقة أنها من المناطق البكر التي يجب استغلالها ، وتنفيذ مخططاتهم فيها . وهنا أنقل لكم هذه الأخبار المؤلمة والقلب يكاد يتقطع ، والكبد تكاد تفطر ، فلقد تسابق أهل الكفر والزندقة إلى استثمار هذه المنطقة الجديدة في العالم كل يحاول التفرد بها عن غيره : اليهود ، النصارى ، القاديانية ، الإسماعيلية ، الروافض ، الصوفية الغالية : كالنقندية والقادرية والبكرية وغيرها : وكل قد نزل بثقله إلى استثمار هذه البلاد ، ونشر عقائدهم الفاسدة فيها ، ودول الكفر تحاول عزل هذه البلاد عن إخوانهم المسلمين في كل مكان، وتحذر حكامها من الأصولية كما يقولون.

النشاط الصليبي : لقد صليت الجمعة في مسجد (تخطباي) في طشقند ، وهي آخر جمعة من شوال ، فإذا وفد نصراني في داخل المسجد موفد من كلية الكنيسة في أمريكا لدراسة المنطقة دينيا وإقتصاديا وإجتماعيا ، ومدة هذه الدراسة ستة أشهر ، وكانوا يقومون بزيارة كل موقع ودخول كل تجمع ، وكانوا يسألون عن سر كثرة الشباب في هذا المسجد وعن سبب تكبيرهم أحيانا أثناء الدرس الذي يلقيه الإمام ، ولما سألناهم كم لكم هنا ؟ قالوا : أربعة أشهر وبقي لنا شهران .

وفي يوم السبت قدمنا المسجد لمقابلة الطلاب ، وأثناء خروجنا وجدنا على بابه عجوزا أمريكية ، فقلت لصاحبي ، سلها ولا تسألك ، فذكرت أنها دكتورة في جامعة (كولمبيا في نيويورك) ـ وللمعلومية أن هذه أكبر الجامعات التنصيرية ـ وقد قدمت هذه العجوز لنفس الغرض السابق ، ثم بادرتنا بالحديث وقالت : أنا أعرف أنكم من السعودية ، وقد سبقتمونا في تقديم الخدمات لهذه البلاد ، ولكننا سنقدم لهم كل مايريدون وما يطلبون .

وقد ذكر لي أحد الثقات : بأنه قد تنصر عدد من المسلمين في جمهورية قرقيزيا ، نتيجة الترغيب والإمداد بالأموال ، وتقول الإحصائيات بأن النصارى وزعوا أكثر من خمسين مليون نسخة من الإنجيل بجميع لغات الإتحاد السوفيتي ، وبجميع الأحجام والأشكال ، مقروءا ومسموعا .

والقناة الروسية تبث الدعوة إلى النصرانية في فقرات متعددة من برامجها ، (وجيمي سواقرت) وحدة يظهر في القناة الروسية التي تلتقط في جميع الجمهوريات - مدة ثلاث ساعات من يوم الأحد في كل أسبوع ، عدا البرامج النصرانية الأخرى .

ولقد تظافرت العديد من الدول النصرانية في دعم الكنيسة وبرامج التنصير في الإتحاد السوفيتي ، وقاموا ببناء الكنائس في مختلف الجمهوريات ، كما قاموا بترجمة الإنجيل بجميع لغات شعوب المنطقة ، حتى اللغة التي لا يزيد الناطقين بها عن مائة ألف ترجموا الإنجيل إلى لغتهم ، فلقد ترجم الإنجيل إلى لغة شعب (قرجاي) في بلاد القفقاز الذين لا يزيد عددهم عن مائة وستين ألفا .

وقد قاموا ببناء الكنائس في طاجكستان وداغستان وغيرهما كما افتتحوا المدارس التنصيرية في مدينة خولوا في أجاريا ، ويقدمون للطلاب السكر والدقيق والملابس ، وقد التحق بها عدد من أبناء المسلمين .(تقرير قدم إلى الندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٢هـ ص ٥)

أما من الناحية التجارية فقد قدمت وفود كبيرة من الاوربيين والأمريكان واليابان لاستثمار المنطقة ، والسيطرة على مواردها واستغلال ثرواتها ، وقد لاحظنا كثرة الوفود للغرض التجاري ، فما أن يفارق الفندق وفد إلا وينزله وفد آخر .

النشاط اليهودي : أما اليهود عليهم لعائن الله ... فقد شرعت إسرائيل في تمديد بعض المشروعات داخل هذه الجمهوريات ، وبدأ طيران شركة العال اليهودية رحلاتها إلى الجمهوريات ، وتقوم الآن بتنفيذ مشروع زراعي كبير بولاية فرغانة ، ومن المعلوم أن ولاية فرغانة هي من أكثر المدن تمسكا بالإسلام ، وأقامت عددا من المشروعات المشابهة في جمهورية قرقيزيا . (**تقرير إخباري عن الجمهوريات الإسلامية والأقليات المسلمة في الاتحاد السوفيتي تقدمت به لجنة البر الإسلامية ص١١**) .

وهذه قائمة ببعض أنشطتهم

(١) أول من وصل إلى المنطقة وفد من إدارة العمل الإسرائيلية ، الذي زار أوزبكستان في بداية عام ٩١م. وكان على رأس الوفد المدير العام لخدمة التوظيف ، وقد صرح الوفد بأن كثيرا من اليهود الذين هاجروا من أوزبكستان إلى إسرائيل يرغبون في تنمية العلاقات الاقتصادية بين البلدين .

(٢) وقعت شركتان إسرائيليتان (هما شركة أناب للتجارة والاستثمار المحدودة ، وشركة مركور) على اتفاقية مع اللجنة الإدارية لخوارزم أو بلاست لإقامة مشاريع لإنتاج النسيج .

(٣) قام وفد من جمهورية قرقيزيا بزيارة إسرائيل ، وتم الإتفاق على إنشاء جمعية تجارية إسرائيلية قرقيزية في بشكيك لإنشاء عدد من المشاريع في قرقيزيا .

(٤) تم الإتفاق على إنجاز عدد من المشاريع الصناعية على يد اليهودي السوفييتي والمؤلف المشهور شنعيز ايات ماتون الذي اتفق مع إسرائيل على إنشاء مصانع التالية في قرقيزيا :

- ☜ مصنع للسجائر
- ☜ مصنع انتاج العلب البوليثلين للمنتجات الغذائية
- ☜ إنشاء مزرعة نموذجية مساحتها ٢٠٠٠ هكتار بمساعدة إسرائيلية من الناحية الفنية .
- ☜ إنشاء مصنع لتعبئة الحليب .
- ☜ إنشاء شركة لتصنيع آلات الري .

(٥) قام وزير الزراعة الإسرائيلي ايتان بزيارة قرقيزيا وبحث معهم إقامة مشاريع في مجالات الري وانتاج القطن ، وصوامع الحبوب ، والبيوت المحمية ، وتربية المواشي .

(٦) أقامت جمهورية أذر بيجان اتصالات رسمية مع إسرائيل : حيث جرى توقيع بيان مشترك مع الوفد الإسرائيلي ، برئاسة الزير الصهيوني للعلوم والتكنولوجيا يوفال نيمان ورئيس أذر بيجان : مطالبوف ، حيث وقعا في باكو على اتفاقية رحلات جوية بين باكو وتل أبيب كل يوم أربعاء .

(تقرير قدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٢م ص ٢٥)

وفي منتصف عام ٩٢م قام رئيس جمهورية أوزبكستان : إسلام كريموف ، بزيارة إسرائيل ، عقد معها عدة اتفاقيات تعاونية ، وبعد رجوعه أغلق الإدارة الدينية ، ثم أحكم القبضة الحديدية من جديد على المسلمين ومنع من دخول المسلمين من بلاد الحرمين وغيرها إلى أوزبكستان ، وقام بطرد جميع من زار البلاد في نهاية الصيف سواء انتهت تأشيراتهم أم لم تنته !!

أما الإسماعيلية الأغاخانية : فتحاول الآن بناء مركز لهم يزيد تكلفته على مائة مليون دولار في سمرقند ، وإن دراسة المركز كلفتها مائتي مليون روبل .

أما القاديانية : فقد دخلت جمهوريات بحر البلطيق ، وقامت بنشر مذهبها بين المسلمين . الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام ، وقد حدثني أحد المسلمين هناك : إن القاديانية جاءتهم من بريطانية ، وأن المسلمين لا يوجد بينهم من يحسن الإمامة.

أما الروافض (الشيعة) : فلهم تاريخ أسود مع أهل السنة في تلك البلاد وبخاصة أيام الدولة الصفوية في إيران فقد أحس العثمانيون بالخطر على القفقاز بسبب اتفاق الشاه الصوفي الرافضي مع إيفان الرهيب عام ٩٧٨هـ على معاداة العثمانيين في القفقاز .

ابتدأ الروس بمناجزة بلاد القفقاز بعد الانتهاء من بلاد التتار ، وتم اتفاق الشاه الصفوي الشعي طهماسب .والقيصرالروسي إيفان الرهيب ، وبعد ضعف العثمانيين احتل الروس بلاد داغستان وسواحل بحر الخزر الغربية .

(تقرير قدم للندوة العالمية للشباب الإسلامي عام ١٤١٢هـ ص ١٤) .

وبعد انهيار الشيوعية نزلوا بثقلهم لمساعدة إخوانهم ، وبني ملتهم ، والسيطرة على أهل السنة والتأثير عليهم وقد ذكر لي مفتي وقاضي طاجكستان: بأن وزيرا رفيع المستوى زارهم وتبرع بتوسعة مسجدهم ، وقد اطلعت على هذه التوسعة وذكر لي أيضا أنه تبرع بمكافئة الطلاب في معهد الإمام الترمذي ، وهناك النشاط الإعلامي الذي تبثه إيران لهذه الجمهورية لكون اللغة الفارسية مشتركة بينهم .

وللمعلومية فإن كثيرا من أهل السنة لا يعلمون عن الشيعة شيئا ، ولا يتصورون خطرهم ، بل وجدت عددا كبيرا من الشباب يفتخر بهم لجهله فيهم .

هذه بعض جهود أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في ديار العلم والعلماء ، ولاشك أن مكر الكفار كبير وتخطيطهم دقيق كما قال تعالى : ﴿ وقد مكرو مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ (إبراهيم : ٤٦) . ولكن لنعلم أن مكر الكفار لا قيمة ولا وزن له إن تحرك أهل السنة والجماعة ، وبذلوا من أنفسهم في الدعوة إلى الله تعالى ، فإن هذا المكر سيتحول إلى ضعف وزوال إذا واجه أهل الله وخاصته ، كما قال الله تعالى : ﴿ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (النساء : ٧٦) وقال الله تعالى : ﴿ لن يضروكم إلا أذا وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾ (آل عمران : ١١١) .

فلا تخيفنا النصرانية بدولها ، ولا اليهودية ، ولا الطوائف المضللة ، إن قمنا بتبليغ وإرشاد إخواننا هناك ، وبذلنا ما نستطيعه من الجهد والمال في نشر الإسلام وإخواننا هناك هم الآن بأمس الحاجة إلينا ، والساحة ولله الحمد تتسع لكل العاملين ، فألله ألله لا تخذل جهة من أهل السنة الأخرى ، في أن تنشر خيرا ، بل يجب التنسيق بين جميع العاملين في حقل الدعوة من أهل السنة والجماعة ، وإن اختلفت وجهات النظر فالساحة واسعة ولله الحمد ، ولا يمكن أن تغطيها جهة واحدة أو جماعة واحدة ، فلا بد أن نسارع وأن نبادر في عرض الإسلام في صورته الصحيحة ، قبل أولئك المجرمين ، قبل أولئك المضللين ، قبل أولئك الزنادقة ، لنقدم ما نستطيعه لدين الله عز وجل في بلاد أئمة العلم وثقاته .(**انتهى ما ذكره الشيخ يحيي اليحي في هذا الباب**) .

الله الله .. بالأشـقـاء في بـورما

مجلة ختم النبوة (لندن) العدد الثاني شوال عام ١٤١٨هـ
بقلم معـالي الدكتور/محمد عبده يماني وزير الاعلام السعـودي (سابقا)

✪يقول الدكتور محمد عبده يماني حفظه الله : عدت من رحلة مؤلمة ومؤسفة حيث رأيت بنفسي أوضاع الإخوة المسلمين في بورما وأنواع البلايا والرزايا التي يعانون منها . والظلم الذي يقع عليهم ، والهجمة الوحشية التي تعلنها الحكومة الظالمة بكل صراحة ، وعلى الرغم من معاناة الكثير من الأقليات المسلمة في العالم إلا أن هؤلاء الناس وضعهم مؤلم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى وفيما يلي سرد لبعض أشكال المعاناة التي يعيشها المسلمون داخل «أركان» تحت ضغط حكومة الجنرال البوذي ني وين :

كان المسلمون هم الفئة الأكثر تضرراً من قرارات المصادرة والتأميم مع بداية الحكم العسكري الشيوعي الذي أطاح بالديمقراطية في ١٩٦٢هـ حيث شمل التأمين ومصادرة جميع أراضي وممتلكات المسلمين حتى الحوانيت الصغيرة المخصصة لبيع الأرز في حين أن التأمين كان للشركات والمصانع الكبيرة بالنسبة للفئات الأخرى .

✪ تغير الأوراق المالية الكبيرة من فئة ٥٠ و ١٠٠ بدون سابق انذار وكان المقصود بالطبع ضرب مصالح المسلمين الذين كانوا يشكلون عصب التجارة في منطقة أركان .

✪ منع المسلمين من الإنضمام لعضوية الحزب الوحيد المصرح به حزب البرنامج الاشتراكي البورمي أي الحزب الشيوعي الحاكم .

✪ بداية تنفيذ الخطة الرامية إلى تفريغ أركان من المسلمين خلال عشرين عاماً من ١٩٦٣م مع زيادة الضغوط على المسلمين لإجبارهم على الهجرة خارج البلاد وتوطين البوذيين في بيوتهم وأراضيهم .

✪ مصادرة أوقاف المسلمين وأراضيهم وممتلكاتهم وتحويل المساجد

التاريخية إلى حظائر للخنازير أو ثكنات للجنود البوذيين يدخلونها بأحذيتهم ويشربون الخمر فيها .

✪ اعتقال المسلمين الأبرياء وتعذيبهم في المعتقلات .

✪ حرمان المسلمين من حرية السفر والتنقل في داخل البلد أو خارجه .

✪ اجبار المسلمين على القيام بالأعمال القسرية دون أجر كتعبيد الطرق وحفر الخنادق في المناطق الجبلية للقوات البورمية .

✪ منع المسلمين من ممارسة التجارة والاستيراد والصناعة التي اصبحت حكراً على البوذيين .

✪ انتهاك حرمات النساء المسلمات واجبارهن على خلع الحجاب والعمل بمعسكرات الجيش بدون أجر .

✪ مصادرة وتدمير المساجد والمدارس الإسلامية ومقابر المسلمين وانتهاك حرماتها .

✪ اعتقال علماء المسلمين وشيوخهم إلى آجال غير محدودة بلا أدنى مبرر .

✪التمييز العنصري في كل دوائر الحكومة من المسلمين واجبار العدد القليل ممن تقلدوا وظائفه في عهد الإستعمار البريطاني على الإستقالة من وظائفهم .

✪ عدم السماح للمسلمين بالمشاركة في الندوات والمؤتمرات الإسلامية العالمية والسفر للخارج حتى لو كان لأداء فريضة الحج .

✪ وضع العقبات أمام تعليم أبناء المسلمين في المدارس والجامعات ومنعهم من السفر للدارسة بالخارج .

✪ عدم السماح للمسلمين بتكوين جمعيات أو أحزاب سياسة أو هيئات إغاثية ومنع الهيئات الدولية والإغاثية من العمل في أركان .

✪ منع ذبح الأضاحي .

✪ عدم السماح للمسلمين بفتح المدارس بأي شكل من الأشكال .

✪ إنشاء مستوطنات جديدة في مناطق المسلمين .

✪ محو الآثار الإسلامية في أركان ومحاولة إبرازها كبلد بوذي خالص .

✪ ترويج الثقافة البوذية بين الشباب بالقوة والسلاح .

✪ عدم السماح للمسلمين بالعلاج في المستشفيات الحكومية ومنع الرعاية الطبية والتعليم المجاني .

✪ إجبار الشباب المسلم على تغيير الاسم الإسلامي والتسمي باسم بوذي ومنعهم من ارتداء الثياب الإسلامية والعمائم ومنعهم من إطلاق لحاهم .

✪ بموجب قانون الهجرة والجنسية الصادرة في ١٩٨٢م تم تجريد كل أفراد الروهنجا من صفة المواطنة ومن الجنسية البورمية وذلك في محاولة لترسيخ مفهوم أنهم أغراب (أو «كالا» كما يطلقون عليهم) وأنهم دخلوا بورما (أركان في الواقع) بطرق غير مشروعة .

✪ تتخوف السلطات البورمية من التنامي السكاني للشعب المسلم الروهنجي في أركان ويعتقدون أنه سوف يضر بمصالحهم وخططهم ويعتقدون بأنه لا سبيل هناك لمنع المسلمين من أن تقوم لهم قائمة على أساس دين إلا بإكراههم على ترك شعائر دينهم وإجبارهم على اعتناق (الحضارة) البوذية والاندماج فيها ، وللوصول إلى هذا الهدف بدؤوا باتخاذ قرارات جديدة ضد المسلمين في الأقليم ومنها .

✪ عدم السماح للشباب المسلم بإطلاق لحاهم ، ومنع لبس الحجاب وتستر المرأة .

✪ الحضور الإجباري لجميع البنات المسلمات غير المتزوجات إلى قيادة القوات المسلحة والعمل لمدة ٦ شهور تحت رعاية افراد قوات حرس الحدود (ناساكا) .

✪ اجبار الفتيات المسلمات على الزواج من البوذيين .

✪ التضييق على المساجد والمدارس الدينية .

✪ وبعد ... فإن مسلسل اغتصاب الفتيات والنساء المسلمات ما يزال مستمراً ... وما يزال نظام عمالة السخرة مستمراً . ومن يطلق لحية لا يقبض أجر عمله حتى يحلقها ولا يسمح له بركوب وسائل النقل العامة أو القوارب ...

وما يزال مسلسل تمزيق الحجاب عن النساء المسلمات مستمراً في الطرقات العامة وفي وضح النهار .

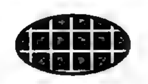
✪ إن الوضع في أركان وفي مخيمات اللاجئين الروهنجا في بنغلاديش يتطلب حلولاً عاجلة وجهوداً فورية جبارة من الهيئات العالمية والحكومات الإسلامية والمنظمات الخيرية الإغاثية فالوضع خطير جداً .

✪ يكفي أن نعلم أن الفيضانات الأخيرة التي ضربت بنغلاديش في مايو الماضي عام ١٩٩٥م ، دمرت ١٨ مخيماً للاجئين ولم يبق إلا مخيمات معدودة .

✪ يكفي أن نعلم أن بنغلاديش نفسها هي واحدة من أكثر دول العالم فقراً وإنها تضطر أحياناً لإقتسام الغوث الدولي القليل الذي يصل إلى هؤلاء اللاجئين .

✪ ✪ إن الواجب يحتم على كل فرد مسلم : العمل بقدر استطاعته من أجل مناصرة الحق والدفاع عن الدين والعرض وبخاصة إذا طلب منا ذلك وعملابالحديث الذي رواه البخاري ومسلم : «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها : «نصر المظلوم» . وعملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله» أي لا يترك نصرته لقوله عز وجل : ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر﴾ الأنفال : ٧٢ .

✪ ✪ وختاماً فإن هذه البلاد الفقيرة يعيش فيها المسلمون أصعب الظروف وأقساها ويحرمون من ممارسة أبسط حقوقهم الإنسانية ولا بد من وقوفنا معهم وعونهم كما أ ن الوقت قد حان لعمل جاد من قبل الدول العربية والإسلامية والمؤسسات السياسية للضغط على المؤسسة السياسية الظالمة في بورما لإعطاء هؤلاء الناس أبسط حقوقهم كما أن من واجب المسلمين أن يعينوهم بكل لون وبأي امكانية ، وأن نتجه إلى الله سبحانه بالدعاء بأن يخرجهم من هذه الأزمة الخانقة ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ إبراهيم : ٤٢ . انتهى



المشـكلات الخـارجيـة

نريد بها المشكلات والعقبات التي تنبع من خارج الدعاة ، وتأتي من قِبَلِ أعدائهم لتعوق دعوتهم . ويمكن إجمال العقبات الخارجية في عدة أمور أساسية ، هي :

✪ (١) **مكرُ الأعـداء المستمـر بالمسلمين ، وكيـدهـم لـهـم** ، وتخطيطهم الدائم للقضاء على الدعوة الإسلامية .

وهو سنة من سنن الله الثابتة في هذه الحياة ، ومَعلَمٌ من معالم الصراع بين الحق والباطل في تاريخ الدعوة .

قال تعالى : ﴿ ويمكرون ويمكرُ اللهُ ، والله خيرُ الماكرين ﴾ الأنفال : ٣٠

وقال تعالى : ﴿ بل مكرُ الليل والنهار ، إذ تأمروننا أن نَكفُرَ بالله ﴾ سورة سبأ : ٣٣ .

وقال تعالى : ﴿ وقد مكروا مكرهم ، وعند الله مكرُهم ، وإن كان مكرُهم لتزول منه الجبال ﴾ إبراهيم : ٤٦ .

وقال تعالى : ﴿ وقد مكر الذين من قبلهم ، فلله المكر جميعاً ﴾ سورة الرعد : ٤٢ .

كما قال تعالى : ﴿ إنهم يكيدون كيداً • وأكيدُ كيداً • فمهِّل الكافرين أمهلْهم رويداً ﴾ الطارق : ١٥-١٧ .

وقال تعالى : ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ المائدة : ٨٢ .

✪ (٢) **تعـاون الأعـداء فيمـا بينهـم عـلى تطبيق المكـر** ، وتنفيذ تلك المخططات ، وتداعيهم على المسلمين .

قال تعالى : ﴿ وكان في المدينة تسعة رهطٍ يفسدون في الأرض ، ولا يُصلحون • قالوا : تقاسموا بالله لنُبَيِّتَنَّه وأهلَه ، ثم لنقولنَّ لوليِّه ما شهدنا مَهلِكَ أهله ، وإنّا لصادقون • ومكروا مكراً ، ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون • فانظر كيف كان عاقبة مكرهم ، أنا دمّرناهم وقومَهم أجمعين • فتلك بيوتهم

خاوية بما ظلموا ، إن في ذلك لآية لقوم يعلمون ● وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ النمل : ٤٨-٥٣ .

وجاء في الحديث الشريف : «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكَلَةُ إلى قَصعتها ، فقال قائل : ومن قلّةٍ نحن يومئذ ؟! قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولَينزِعَنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوَهْنَ ، فقال قائل : يارسول الله ! وما الوَهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» (الحديث رواه أبو داود وأحمد ، انظر «عون المعبود» كتاب الملاحم رقم (٥) (١١ / ٤٠٤) وانظر «الفتح الرباني» (٢٤ / ٣١-٣٢) .

✪ (٣) **تنوع أساليب الأعداء في مواجهة الدعوة والدعاة** ، فمن مواجهة صريحة مكشوفة ، إلى محاولة احتواء لها ولأصحابها بأساليب عديدة ، إلى مخادعة وإستدراجٍ لهم إلى مواقف مقصودة ، وهكذا في القديم والحديث .

وكلما استنْفَذوا أسلوباً ، أو ثبت لهم فشلُه ، اختاروا أسلوباً جديداً مناسباً وطوروا أساليبهم باستمرار .

✪ (٤) **قوة وسائلهم المادية ، وتسخيرهم العلوم الحديثة** ، والدراسات العلمية في سبيل تحقيق أهدافهم ... فمن مراكز أبحاث ودراسات لأحوال العالم الإسلامي ، ونفسيّات زعمائه ، وتطورات مواقفه ... إلى صناعات ثقيلة ، وأسلحة مدمرة ، وسباقٍ في التسلح لا يقف عند حد ، إلى عقد مؤتمرات ومعاهدات واتفاقات فيما بينهم وبين الدول الضعيفة ... ...

إلى غير ذلك من مشكلات وعقبات تواجه العالم الإسلامي ، وتعوق مسيرة الدعوة الإسلامية . (المدخل إلى الدعوة ص ٣٦٧) .

وقال السيد محمد قطب رحمه الله : إن الفطرة ذاتها قد مسخت فلم تعد هي فطرة الإنسان . يقول الله تعالى : ﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّن يمشي سويا على صراط مستقيم﴾ الملك : ٢٢ .

ولما كان الاستعمار الغادر يعلم علم اليقين أن الإسلام لو عاد إلى نفوس المسلمين ، وحملوه كما حمله أسلافهم مع تكاليفه وتعاليمه الكاملة ، لعادت معجزة الإسلام الأولى مرة أخرى ، وفتح المسلمون مشارق الأرض ومغاربها

ولـم يعـد للاستعمـار مـكان في الوجـود فـانحسر واندحر وخاب وخسر .

لذا أخذ المستعمرون يبذلون كل الجهود لإشاعة الفساد في المجتمع الإسلامي العظيم ، وزرع الشكوك في العقول الإسلامية ، وقتل الطموح في نفوس المسلمين ، وبث الفرقة والشقاق في الصف الإسلامي ، حتى تعاونت جميع أجهزة الاستعمار من دعائية وسياسية واقتصادية لتحقيق أهداف الاستعمار.

(مقتبس من كتاب «مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر) .

سطور من كتاب البوسنة

بقلم حسين أحمد النجمي – المجلة العربية عدد شهر شوال ١٤١٤هـ

شعبٌ يبادُ وأمّةٌ تتمزقُ ... ومآذنٌ بدم الضحايا تغرقُ
ومدافع القصف الرهيب تدك ما ... شادتهُ أيدي المؤمنين وتحرقُ
والصربُ يهدمُ ما بنتْه يدُ الهدى ... والهيئة السفلى هناك تصفّقُ
والعالمُ المأفون يرقبُ صامتاً ... ورئيس هيئته غرابُ ينعق
يدعو إلى سلم ولكن فعله ... حقدٌ على دينِ الحنيفة ينطق
ما رقَّ للطفل الصغير دماؤهُ ... سالتْ ودمعة حزنه تترقرقُ
ما رقَّ للثكلى وقد سقطتْ على ... شلو الرضيع وقلبُها يتمزّقُ
خلطتْ دماءَ صغيرها بدموعها ... يغتالُ آهتها زفيرٌ محرقُ
والمجرمون السادرون وحقدهم ... ملأ القلوب فليس فيهم مشفقُ
لم يرحموا شيخاً تعاظم حزنه ... وأمضّه الليل الطويلُ المطبق
والمسجد المهدومُ يشهد غدرهم ... محرابهُ بدم الشهادة يعبقُ
وربُما سراييفو التي قد أسكتوا ... فيها الأذان فقلبها لا يخفقُ
تبكي وتندبُ نفسها في حسرةٍ ... حتّام أبقى في السرابِ أحدِّقُ
رسموا الصليب على صدور نسائنا ... وبنوا الكنيسة من جماجم من بقوا
أو ليس لي في أمتي من يروني ... في قسوة العطش الرهيب ويغدقُ
ما بال قومي قد غدت راياتهم ... معقودة لكنها لا تخفقُ

قذفتْ بماضيها العريق ولم يعد | يزهو بعزتها الحصانُ الأبلق
كبتْ الخيولُ على مشارف مجدها | وأذلّها علجٌ لئيمٌ أخرقُ
وتنكبتْ دربَ الفلاحِ وقادها | أهلُ الهوى حيناً وحيناً عفلقُ
تركوا كتاب الله خلفَ ظهورهم | ومضى يُخدرُهم عدوٌ أحمقُ
حكموا بشرعِ عدوِّهم ما راعهمْ | من زيفهِ حقدٌ وخبثٌ موبقُ
باسم التحضُّر خالفوا دين الهدى | وإلى تقاليد العدو تسابقوا
جعلوا البطولة للذي أحيا لهم | ليلَ الغواية يحتسيه ويسفقُ
نثر الزهور على قبور آبائنا | ومضى يغنّي للنساء ويعشق
يا أمتي ماذا أقول وفي فمي | لهبٌ وفي عينيَّ حزنٌ مطرق ؟
أم أن شمسَ النصر سوف تشعُ من | خلف السدودِ وفي الظلام ستشرقُ ؟
يا أمتي إن طال ليلكِ فاصبري | فالأرض خصبٌ والفروع ستورقُ
والفجرُ من أرضِ الجزيرة قادمٌ | حيث الرسول وعطر وحي يعبقُ
فالله قد وعدَ العبادَ بنصره | إن ينصروه ووعدُ ربي يصدقُ

كتبه : حسين أحمد النجمي ● أبها

هذه نبذة من جهود أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأساليبهم في بعض بلاد المسلمين ، ولا شك أن مكر الكفار وتخطيطهم دقيق ودقيق جداً كما قال تعالى : ﴿وقد مكروا مكرهم وعندالله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾ إبراهيم : ٤٦ .

واعلم يقيناً أن هذه المشكلات مشكلات قديمة ، واجهت الدعوات الإلهية في جميع مراحل تاريخها ، فما من رسول ولا نبي عليهم الصلاة والسلام إلا وقد واجهه وقومَه المؤمنين معه مثلُ هذه المشاكل وكانت العاقبة للمتقين .

هذا ونبدأ في موضوع الدعوة إلى الله مستمدين من الله التوفيق .

الباب الثاني

وفيه ستة فصول

الفصل الأول : تعريف الدعوة

الفصل الثاني : أهمية الداعي وفضله

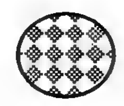
الفصل الثالث : أهمية تبليغ الدعوة وشرف القيام بهذا العمل

الفصل الرابع : صفات الداعية إلى الله (هام جداً)

الفصل الخامس : تعريف المدعو ، وحقوقه على الداعية

الفصل السادس : أهمية العمل الصالح في الإسلام

✪ متى تعمل إذا لم تعمل اليوم ؟



الفصل الأول

✪ **تعريف الدعوة** : لغة مأخوذ من الدعاء وهو النداء لجمع الناس على أمر وحثهم على العمل له ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ (يونس : ٢٥) (من أسس الدعوة وآداب الدعاة ص ٦) .

✪ **الدعوة في الاصطلاح** : عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا به ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة إلى الله أن يعبد العبد ربه كأنه يراه (مجموع الفتاوى : ١٥ / ١٥٧,١٥٨) .

وهذا التعريف اشتمل على الدعوة إلى أركان الإسلام وأركان الإيمان وركن الإحسان . **وعرفها بعض المتأخرين فقال** : إن الدعوة هي : إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين (ينظر الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ، للدكتور أحمد أحمد غلوش ص ١٠) .

فالدعوة إذن : جمع الناس على الخير ودلالتهم على الرشد بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، كما قال تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ آل عمران : ١٠٤ .

✪ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى ٢٨/١٢١: (الدعوة)** : [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين ، فإن رسالة الله : إما أخبار وإما إنشاء .

ثم قال رحمه الله : وقوله تعالى في صفة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ الأعراف : ١٥٧ ، هو بيان لكمال رسالته ؛ فإنه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أمر الله على لسانه بكل معروف ، ونهى عن كل منكر ؛ وأحل

كل طيب ، وحرم كل خبيث ، ولهذا روي عنه ﷺ أنه قال : «إنما بعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق»

وقال في الحديث المتفق عليه : «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة ؛ فكان الناس يطيفون بها ويعجبون من حسنها ؛ ويقولون : لولا موضع اللبنة ! فأنا تلك اللبنة» . فبه كمل دين الله المتضمن للأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر ، واحلال كل طيب وتحريم كل خبيث .

وأما من قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض الطيبات ، كما قال : ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾ النساء : ١٦٠ وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث ، كما قال تعالى : ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾ آل عمران : ٩٣ .

وتحريم الخبائث يندرج في معنى «النهي عن المنكر» كما أن احلال الطيبات يندرج في - الأمر بالمعروف - لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه ، وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم إلا للرسول صلى الله عليه وسلم الذي تمم الله به مكارم الأخلاق المندرجة في المعروف ، وقد قال الله تعالى : ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ التحريم : ١٧ فقد أكمل الله لنا الدين ، وأتم علينا النعمة ، ورضي لنا الإسلام دينا .

وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها حيث قال : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله﴾ . آل عمران : ١١٠ ، وقال تعالى : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة : ٧١ ، ولهذا قال أبو هريرة : كنتم خير الناس للناس ، تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة .

فبين سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس : فهم أنفعهم لهم ، وأعظمهم إحساناً إليهم ؛ لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر من جهة الصفة والقدر ، حيث أمروا بكل معروف ونهوا عن كل منكر لكل أحد ، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ، وهذا كمال النفع للخلق]

انتهى قول ابن تيمية رحمه الله .

الفصل الثاني

✪ [**أهمية الداعي وفضله** : **فالداعي** : «هو المبلِّغ للإسلام ، والمعلّم له ، والساعي إلى تطبيقه» ، فهو القائم بالدعوة ، قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً • وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيراً ﴾ الأحزاب : ٤٥-٤٦ .

✪ يمكننا الوقوف على أهمية الداعي وفضله من عدة جوانب :

١ – **من حيث موضوعه الذي يدعو إليه** : فهو داعية إلى الله ، يدعو إلى رضائه وجنته ، قال تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ، وقال إنني من المسلمين ﴾ فصلت : ٣٣ .

وقال تعالى : ﴿ ويا قومِ مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار • تدعونني لأكفرَ بالله وأشرك به ما ليس لي به علم ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ﴾ غافر : ٤١-٤٢ .

٢ – **من حيث وظيفته** : فإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف وأعلاها وأولاها وأحلاها على الإطلاق : لأنها عمل صفوة الخلق وسيد البشر سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه ، وعمل من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أشرف البشر . وعمل من تبعهم على هدى وبصيرة .. وإن عظم الوظيفة تدل على عظم صاحبها .

قال تعالى : ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ النساء : ١٦٥ .

وقال سبحانه : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومَن اتبعني ... ﴾ يوسف (عليه السلام) : ١٠٨ .

٣ – **من حيث أجره وثوابه** : فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير ، والفضل العظيم ، فقد جاء في الحديث الشريف : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه ، لا ينقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه ، لا ينقُص ذلك من آثامهم شيئا» (صحيح مسلم رقم : ٢٦٧٤) .

✪وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من دل على خير فله أجر مثل أجر فاعله» (صحيح مسلم في الإمارة : ١٣٣) .

✪وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : ذكر لرسول الله ﷺ رجلان : أحدهما عابد ، والآخر عالم ، فقال رسول الله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض - من الإنس والجن وجميع الحيوانات - حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» (رواه الترمذي ورواه الدارمي عن مكحول مرسلا كما في المشكاة كتاب العلم) .

✪وجاء في الحديث الآخر قوله ﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه : «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكونَ لك حمر النّعم» (البخاري مع الفتح رقم : ٣٧٠١ ، وصحيح مسلم رقم : ٢٤٠٦) .

إلى غير ذلك من النصوص الشرعية التي تبين عظيم ثواب الداعية على عمله] (المدخل إلى علم الدعوة ص ١٥٣-١٥٤ ، تأليف محمد أبو الفتح البيانوني) .

✪وقال في «أصول الدعوة» ص ٣٠٧ - ٣٢٤ : [الداعي الأول إلى الله تعالى بعد أن أنعم الله علينا بالإسلام هو رسولنا الكريم محمد ﷺ قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ﴾ الأحزاب : ٤٥ - ٤٦ ، وقد كرر القرآن الكريم الخطاب إلى الرسول الكريم ﷺ يأمره بالدعوة إلى الله والإستمرار عليها وعدم التحول عنها ، فمن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ وادع إلى ربك إنك لعلى هدىً مستقيم ﴾ الحج : ٦٧ . وقوله تعالى : ﴿ وادع إلى ربك ولا تكونن من المشركين ﴾ القصص : ٣٦ ، وقوله تعالى : ﴿ قل إني أمرتُ أن أعبدالله ولا أشرك به ، إليه أدعو وإليه مآب ﴾ الرعد : ٣٦ ، وقد ظل ﷺ يدعوا إلى ربه تبارك وتعالى حتى أتاه اليقين من ربه وصار إلى جواره الكريم راضياً مرضياً فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء .

✪ الدعوة إلى الله وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام :

والواقع أن الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعاً (عليهم الصلاة والسلام) ، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس ، فكلهم بلا استثناء دعوا أقوامهم ومن أرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله وإفراده بالعبادة على النحو الذي

شرعه لهم ، قال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ الأعراف : ٥٩ .

✪ وقال تعالى عن هود عليه الصلاة والسلام : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ هود : ٥٣ . ✪ وعن صالح عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ الأعراف : ٧٣ .

✪ وعن شعيب عليه الصلاة والسلام قال تعالى : ﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ... ﴾ الأعراف : ٨٥ .

✪ وهكذا جميع الرسل دعوا إلى الله ، وإلى عبادته وحده ، والتبرؤ من عبادة ما سواه جل وعلا . قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ النحل : ٣٦ ، فرسل الله هم الدعاة إلى الله ، وقد اختارهم الله لحمل دعوته وتبليغها إلى الناس] .(أصول الدعوة إلى الله ، ص ٣٠٧) .

[✪ **الأمة شريكة لرسولها (ﷺ) في وظيفة الدعوة إلى الله :**

✪ ذكرنا في الفقرة السابقة أن الداعي الأول إلى الله تعالى في هذه الأمة هو رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وذكرنا الآيات الكريمة التي تأمره عليه الصلاة والسلام بالدعوة إلى الله ، وهذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعاً ، لأن الأصل في خطاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم دخول أمته فيه إلا ما استثنى ، وليس من هذا المستثنى أمر الله تعالى إليه بالدعوة ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية وشرفها أن أشركها مع رسوله الكريم ﷺ في وظيفة الدعوة إليه ، وهذا التشريف والتكريم لا يستفاد فقط من الخطابات الإلهية لرسوله ﷺ بالدعوة إليه كما ذكرنا ، وإنما هو صريح الآيات الكثيرة في القرآن ، قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ آل عمران : ١١٠ ،

✪ فهذه الآية الكريمة أفادت معنيين : الأول خيرية هذه الأمة ، والثاني أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي وظيفة رسول الله ورسل الله جميعا (عليهم الصلاة والسلام) ، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة إلى الله وحده والبراءة من الشرك

بأنواعه . بل إن القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلى الله ، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلى غيره ، قال تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ التوبة : ٦٧ (قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة : ٤ / ٤٧ : فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقاً بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعاء إلى الإسلام) . وأضف إلى ذلك أن الله تبارك وتعالى بهذه الآيات وصف الأمة الإسلامية بما وصف به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال تعالى عن رسوله ﷺ : ﴿ يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ﴾ الأعراف : ١٥٧] . (أصول الدعوة إلى الله ، ص ٣٠٧)

✪من هو المكلف بالدعوة إلى الله ؟

ومما ذكرنا يتضح بجلاء أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم ، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية مكلف بهذا الواجب ، ذكراً كان أو أنثى فلا يختص العلماء أو كما يسميه البعض رجال الدين بأصل هذا الواجب لأنه واجب على الجميع وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته . ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً قول ربنا جل جلاله : ﴿ قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ يوسف : ١٠٨ . فأتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنون به يدعون إلى الله على بصيرة أي على علم ويقين ، كما كان رسولهم صلى الله عليه وآله وسلم يدعوا إلى الله على بصيرة ويقين] . (واجب الدعوة إلى الله) .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية ٢ / ١٩٥-١٩٦ : يقول الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم : أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقه ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعوا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي شرعي) . اهـ .

وفي الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «فليبلغ الشاهد الغائب» صحيح البخاري ١ / ٦٢-٦٣ ، ويدخل في معنى الشاهد : كل مسلم علم من الإسلام شيئاً» .

✪ والدعوة إلى الله وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة كما قلنا قد تؤدى بصورة فردية ، وقد تؤدى بصورة جماعية ، وإذا أردنا الدقة في التعبير قلنا : إن هذا الواجب يؤدى على طريقين : الأول : بطريق فردي وذلك بأن يقوم به المسلم بصفته فرداً مسلماً ، والثاني يؤدي هذا الواجب أو جانباً منه بصفته فرداً في جماعة تدعو إلى الله ، يدل على هذا كله قول الله تبارك وتعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ آل عمران : ١٠٤ .

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، وإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه . وذلك أضعف الإيمان» .

والواقع أن تجمع الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة جماعية يكون ضرورياً كلما كانت مهمة الدعوة جسيمة كما لو أريد نشر الدعوة إلى الله في المجتمعات الوثنية الجاهلية التي عشعش فيها الشيطان وباض وصد أهلها عن سبيل الله وأركسهم في حمأة الشرك كما في الأقطار الوثنية في أفريقيا ونحوها فإن مثل هذه الأقطار تحتاج إلى جهود كبيرة جداً ومنظمة لنشر الدعوة إلى الله ، وتعليمهم أمور الإسلام مما لا يقوى عليه جهد فرد ولا جهود مبعثرة لبعض الأفراد . ويؤيد هذا التبشير بالإسلام على شكل جماعي ماجاء في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر من يسلم بالتحول إلى دار الهجرة ليضم جهده إلى جهود المسلمين وتوجيهها التوجيه السليم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . كما أننا نجد في قوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ المائدة : ٢ ، دليلاً على مشروعية الدعوة الجماعية بل ووجوبها إذا كان البر لا يمكن تحصيله بدون ذلك ، وقد أشار الإمام أبو حنيفة على ما رواه الجصاص عنه إلى ضرورة الإجتماع على الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتوجيه الجهود الجماعية لتحقيق هذا المقصود . (أصول الدعوة إلى الله ، ص ٣٠٩) .

✪ [**شبهات واعتراضات** :

✪قد يتوهم البعض أن واجب الدعوة إلى الله لا يلزمه لأنه ليس من العلماء ، وأن هذا الواجب واجب كفائي يجب على العلماء فقط لا على الجميع كل بحسبه بدليل قوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ آل عمران : ١١٠ .

✪**والجواب على ذلك** أن تفسير هذه الآية الكريمة كما نقلناه عن ابن كثير في الفقرة السابقة «أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه» .

✪وجاء في تفسير الرازي بصدد هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ منكم ﴾ قولان : أحدهما : أن ﴿ من ﴾ هاهنا ليست للتبعيض لدليلين : الأول : أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ والثاني : هو أنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إما بيده أو بلسانه أو بقلبه ، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس ، إذا ثبت هذا فنقول : معنى هذه الآية : كونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ، وأما كلمة ﴿ من ﴾ فهي للتبيين لا للتبعيض كقوله تعالى : ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ﴾ الحج : ٣٠ .

✪ثم ذكر الرازي القول الثاني وهو أن ﴿ من ﴾ للتبعيض لأن (في القوم من لا يقدر على الدعوة ولا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ثم قال عن أصحاب هذا القول : إن هذا التكليف مختص بالعلماء لأن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمنكر فثبت أن هذا التكليف متوجه إلى العلماء لا على الجهال والعلماء بعض الأمة) من تفسير الرازي ٧ / ١٧٧-١٧٨ .

✪والواقع أن القول الذي ذكره الرازي أصح لما استدل به أصحابه وهو على ما ذكره ابن كثير بعبارته الدقيقة التي ذكرناها ، إذ جعل الوجوب على كل فرد مع لزوم وجود فرقة متصدية لشأن الدعوة إلى الخير] . **(أصول الدعوة إلى الله : ٣١١)**

الفصل الثالث

أهمية تبليغ الدعوة وشرف القيام بهذا العمل

[قال العلماء : إن مصدر الإسلام ، ومشرع أحكامه ومناهجه : هو الله تعالى فهو وحيه إلى رسوله الكريم ﷺ باللفظ والمعنى (القرآن الكريم) وبالمعنى دون اللفظ (السنة النبوية) . فالإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافاً جوهرياً عن جميع القوانين والشرائع الوضعية لأن مصدرها الإنسان ، أما الإسلام فمصدره رب الإنسان ، (الله أكبر) وإن هذا الفرق الهائل بين الإسلام وغيره لا يجوز إغفاله مطلقاً ولا التقليل من أهمية دعوة الناس إليه حتى يكون الدين كله لله .

✪والدعوة إلى الله - كما قلنا - هي وظيفة المرسلين الذين اختارهم الله تعالى لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس ، ولهذا فهي من أشرف الوظائف وأهمها لأن الرسل هم أشرف خلق الله وأحبهم إليه سبحانه ، فوجب أن تكون وظيفتهم بهذه المنزلة الرفيعة . ذلك لأن الدعوة هي دلالة الناس على الخير ، وجمعهم على كلمة الحق ، ووقوفهم في وجه الظلم والطغيان ، وأي عمل أشرف وأنبل وأي غاية أكرم وأعظم من هذا العمل وتلك الغاية ؟؟؟

✪ولقد علّمنا رسول الله ﷺ كيف نحمل الدعوة إلى الناس ، وكيف نبلغها ، ومن المعلوم أن الرسالات ختمت برسالة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأنه لا نبي بعده ﷺ ، فتحتم أن يقوم العلماء بهذا الواجب فهم مسئولون عنه بين يدي الله . والرسول ﷺ حمّل العلماء هذه الأمانة الضخمة ، وورّثهم العلم لا ليخبئوه في صدورهم ولا ليحتفظوا به لأنفسهم ولكن لينتفعوا به وينفعوا غيرهم قال ﷺ : «بلغوا عني ولو آية» (البخاري كتاب الأنبياء رقم : ٥٠ ، وأحمد ٢ / ١٥٩) .

وقال ﷺ : «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه ، فرب مبلَّغ أحفظ من سامع» (ينظر ابن ماجه المقدمة : ١٨) .

✪وإن العالم اليوم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب ينتظر «الدعاة»

المخلصين خلفاء محمد ﷺ ، لينيروا الأرض بالدعوة الحقة : دعوة الإسلام كما أنارها أجدادهم من السابقين الأولين ومن تبعهم .

إن العالَم اليوم ينتظر الدعاة المخلصين ليشرحوا لهم كيف ساد آباؤهم الدنيا ، وكيف نشروا دعوة الحق ، وكيف ملؤا الدنيا عدلا ونوراً وسرورا وحبورا وحضارة وعلماً ، وكيف كانوا خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله ، فهل من مجيب ؟!!] (من مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص ٦٧-٦٨ بتصرف يسير) .

✪وذكر محمد بن سيدي في كتابه [الدعوة إلى الله ص ٥١ » : أهيمة الدعوة وشدة الحاجة إليها فقال : والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من الأهمية بمكانة لا تدرك ، وكيف لا ؟ وهي وظيفة النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين ، فهي من الأمور التي لا غنى للبشرية عنها قديما وحديثاً ، فدعوة الرسل عليهم الصلاة والتسليم تنقذ الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومن عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق ، ودعوة غير الرسل من علماء الأمة تبين للعباد معالم الدين ومزاياه ، وتوضح لهم ثمرة الإيمان بالله التي هي سعادة الدارين ، وتدعوهم إلى التمسك بمبادئه وتنهاهم عما ينكره الشرع وتأمرهم بمعروفه على ضوء ما جاءت به الرسل من عند الله ، فدور الدعاة غير الرسل لا يقل أهمية عن دور الرسل عليهم السلام ، ولم يزل الناس قديماً وحديثاً محتاجين إلى الدعوة ولا سيما في عصرنا هذا الذي شاع فيه الإلحاد وانتشر في أقطار المعمورة ، وعم بلاد المسلمين بحيث صار فيها المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ذاع القول بإنكار الخالق سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً وفشا القول بخلق الطبيعة ، فالحاجة إلى الدعوة الآن لا تقل أهمية عن الحاجة إليها زمن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالناس قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا فاقدي الأخلاق في غاية السذاجة والإنحلال والإباحية تعمهم الفوضى عيشهم السلب والنهب ، يعبدون الأحجار والأشجار والكواكب وغير ذلك، يصنعون تماثيل بأيديهم ويعبدونها ، ثم بعد مدة يتركونها ويصنعون غيرها ويعبدون ذلك الغير برهة أخرى من الزمن ، وهكذا .

وقد كانت العرب قبل الإسلام طوائف متنازعة ، وقبائل متباغضة وذوي ديانات مختلفة متنافرة متعادية ، وكانوا نحلاً متحاسدة ... إلى غير ذلك من

مساوئهم ، وكذلك اليهود والنصارى كانوا في غاية التنافر والتحاسد والتباغض والإختلاف في الأديان كما حكى الله عنهم ذلك في كتابه في قوله : ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾ البقرة : ١١٣ . وقال في شأن ديانتهم : ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله ، وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ التوبة : ٣٠ ، هكذا ، فقد أدى اختلاف القبائل إلى تفكيكهم وذهاب وحدتهم .... الخ .

✪ وقد جاء الإسلام الحنيف فأصلح العالم في عقيدته وفي سياسته وفي إجتماعه وفي أخلاقه ووفر له الأمن ودله على سبل الخير ونصر المظلوم ووقف في وجه الظلمة والمعتدين ونشر ألوية الحق والعدل وجعل من العرب الممزقين الآثمين اللاهين الضعفاء المنبوذين أمة قوية الجانب ذات إرادة صلبة وعزيمة قوية وذات بنيان متين أسس على التقوى والتوحيد والعدل والعمل الصالح ... فانطلقتْ بالإسلام شرقاً وغرباً تجاهد في سبيل الله وتنشر الحق وتفرق هام الباطل أنّى وجدته فقضت على الوثنية العربية وعلى المجوسية الفارسية وعلى الطغيان الصليبي الروماني ، وأعادت إلى الناس الأمن ، وحققت فيهم العدل ، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وما ذلك إلا بفضل الله والدعوة الإسلامية وإخلاص الدعاة في سبيل الله تعالى ، هذه الدعوة التي أعادت للإنسان كرامته رجلا كان أو امرأة ، ودفعته إلى العمل النافع ، فانطلق على هدى يقيم المدنيات ويشيد الحضارات على أمتن الأسس وأفضلها . هذه الدعوة التي حققت المجتمع الفاضل المتعاون على الخير والبر والمتحاب على التقوى والفلاح ، والذي جعل مقياس الإنسان فيه بالتقوى والعمل الصالح الذي يظهر منه : ﴿إن أكرمكم عندالله أتقاكم﴾] الحجرات : ١٣ (انتهى) .

✪ [فليحرص الداعية على أن يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة فيدرس سيرته لتمكنه من الوقوف على الأساليب التي كان يدعو بها الناس وليتعلم الصبر من السيرة العطرة لأنه لا بد من عقبات تواجه الدعاة ، وطريق الجنة محفوف بالمكاره والصعوبات ، وطريق النار مزين بالملذات والشهوات .

ولقد وصى لقمان ابنه فقال : ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه

عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾ لقمان : ١٧ ، فالداعية مادام يتعرض للناس لا بد له من مواجهة العقبات ولا بد له - ليصل إلى النجاح - من الصبر والثبات .

إن على الدعاة في مرحلة التنفيذ أن يتذكروا واجبهم وما تحمله رسول الله ﷺ وهو يدعوا إلى الله ، حتى بلغتنا الدعوة صافية نقية ، وليوقنوا أن الله معهم يسددهم ويوفقهم] (أنظر كتاب أسس الدعوة وآداب الدعاة ص ٣٩ وما بعدها تأليف الدكتور محمد السيد الوكيل) .

✪[وإن أكبر مهمة دينية في هذا العصر وأعظم خدمة وأجلها للأمة الإسلامية هي دعوة السواد الأعظم للأمة وأغلبيتها الساحقة إلى الإنتقال من صورة الإسلام إلى حقيقة الإسلام ، فلمثل هذا فليعمل العاملون ، ويبذلوا جهودهم ومساعيهم في بث روح الإسلام في جسم العالم الإسلامي ، ولا يدخروا في ذلك وسعاً فبذلك يتحول شأن هذه الأمة ، وفي نتيجته شأن العالم بأسره ، فإن شأن العالم تبع لشأن هذه الأمة ، وشأن الأمة تبع لحقيقة الإسلام ، فإن زالت حقيقة الإسلام من أئمة المسلمين فمن يدعوا العالم إلى حقيقة الإسلام .

✪قد أصبحت حياتنا اليوم جسداً بلا روح لأن السواد الأعظم للأمة مجرد عن الروح ، فارغ عن الحقيقة ، فكيف تعود الروح والحقيقة في الحياة الإنسانية مرة أخرى ؟! .

✪ليس العالم الإسلامي اليوم بأشد إفتقاراً إلى شيء منه إلى حكومة تمثله تمثيلاً صحيحاً على أساس الدعوة والهداية ، والنصيحة والخدمة ، فإن الإسلام لا يؤثر في عقول الناس ، ولا يشفي المتفحصين حتى تكون له رقعة في الأرض ، تتمثل فيها حياته ، وتتجلى فيها مدنيته واجتماعه ، وتظهر فيها نتائج دعوته وتعاليمه ، فإذا كان ذلك ولو في رقعة صغيرة كان على الإسلام إقبال عظيم لم يعهد من قرون .

✪**وليس العالم الإنساني بأقل افتقاراً** من العالم الإسلامي لمثل هذه الحكومة التي شعارها الهداية والإصلاح ، لا الجباية والكفاح ، فإن الإنسانية العليلة جريحة لا يسعفها اليوم إلا قيام هذه الحكومات التي تؤسس على أساس الفضيلة والدين ، واحترام الإنسانية ، وإيثار الأرواح على الأرباح ، والأخلاق وكسب الرجال على كسب الأموال ، فإذا تأسست هذه الحكومة - مهما كانت صغيرة

ومهما كانت مواردها ضعيفة - كان ذلك حادثاً غريباً يستحق كل تنويه وإشادة ، وقام كبار السياسين وأصحاب اليراع وقادة الفكر يشيرون إليها بالبنان ويضربون بها الأمثال ، ويألّفون عنها مؤلفات ، وأصبح الناس يأوون إليها كما يأوي الغرقى إلى جزيرة في البحر ، لينعموا في ظل حكومتها ، وينفضوا عنها غبار الظلم والفتن ، ويتنفسوا من متاعب المدنية المعقدة المزورة ، والحكومات الجابية الجائرة ، ولكانت هذه الحكومة غرة في جبين الدهر ، وشامة بين الحكومات والدول].

(أنظر كتاب الإسلام : ص١٢١ ، ١٢٢ تأليف العلامة أبي الحسن الندوي رحمه الله) .

✪ **أما الدولة التي شعارها الهداية** : فمهمتها الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومعيارها تحسن أخلاق الجمهور وسمو روحهم وتحليهم بالفضائل وإقبالهم على الآخرة وزهدهم في الدنيا والقناعة في المعيشة واجتنابهم المحرمات والمعاصي وتنافسهم في الخيرات ، ولو كان ذلك على حساب نيتها وخسارة ماليتها فتنصب الوعاظ وترسل الدعاة ، وتشجع الحسبة ، وتمنع الخمور وتنكر على الفجور وتحروا الملاهي والمعازف ، وتطارد المستهزئين والخلعاء وتمنع كل ما يفسد على الناس عقيدتهم وأخلاقهم ويفسد الحياة المنزلية ، وتغص في حكمها المساجد ، وتقفر الحانات ، ويزدهر الدين والتقوى ، وتضمحل المعاصي والجنايات ، ويقوم أهل الدين والصلاح ، وينشطون ويتحمسون ، ويتوارى الفجار والملحدون وينكمشون . ويكون ما وصفه الله تعالى : ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ الحج : ٤١ .

هؤلاء : فمن يدعوهم إلى الله ؟

✪ فمن ينقذ هؤلاء الذين هبطوا إلى مستوى الحيوان ويخرجهم من الظلمات إلى النور:

✪ هذا الشاب الذي نكث شعره وأسدله ، ولبس الكعب العالي والملابس الملتصقة بوسطه ومشى يتكسر ويتخلع كالبنت الخليعة . أليس يحتاج إلى الدعوة إلى الله جلت عظمته .

✪وهذه الفتاة المترجلة التي تدخن وتشرب الخمر وتلبس ملابس الفتى وتتشرد معه في مجاميع الهيبز . أليست تحتاج إلى الدعوة إلى الله ومن يخرجها من الظلمات إلى النور .

✪(الهيبز) هم جماعة متحررون يبيحون التحلل من كل القيود الدينية والأخلاقية والتقليدية في المظهر والسلوك ، وبذلك يدّعون التحرر .

✪وهذه الفتاة تبيت مع الكلاب ومربي الكلاب على فراشها بالحرية ولا تبالي . هل هي «إنسانة» ؟. أليست تحتاج إلى الدعوة إلى الله ؟

✪وهذا التاجر العالمي للمعاصي والذنوب ، وشريك السوق الدولي في الآثام والحوب يسهر مع فتاة (كافرة) أومع ابنة أخيه المسلم (المسلمة) فيفعل به ما يفعل في حين يطلب الأبرار من الغفار العفو والمغفرة هل هو «إنسان» ؟ أليس يحتاج إلى الدعوة إلى الله ؟ فمن ينقذه من بحر الظلمات التي بعضها فوق بعض ؟ ✪ ليته يعقل ويفكر هذا الذئب البشرى آنذاك أنها مثل بناته أو بنات أخيه المسلم أو المؤمن .

✪ فانتبه أيها الغافل على مكافأة الأعمال وقصاصها ، فمن ظَلم ظُلم ، ومن ضحك ضحك ، وكما تدين تدان. وصدق الله العظيم : ﴿ وكذالك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ الأنعام : ١٢٩ وقال بعض االشعراء :

وما من يد إلا ويد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

حكي أنه كانت إمرأة صالحة ، وكان زوجها يصوغ الحليّ ، ولها رجل سقاء يدخل بيتها منذ ثلاثين سنة لا ينظر إليها ، فدخل يوما وشد على يد الزوجة فلما جاء زوجها قالت له : هل وقع منك اليوم ذنب؟ قال : امرأة اشترتْ مني سواراً فقبضتُ على يدها ، فقالت : قد وقع القصاص في زوجتك كما فعلتَ في امرأة أخيك المسلم ، فلما كان من الغد جاء السقاء يعتذر ، فقالت له : لا بأس عليك ، إنما الفساد من زوجي . ويؤيد ذلك قول القائل : • «اعفوا عن نساء الناس تعف الناس عن نسائكم» . المجموعة الزاهرة لأمين مرشد (ص ١٣٠) .

واعلموا أيها الناس كما أن وبال الشر يعود على صاحبه ، فكذلك منفعة

الخير تعود على فاعله فكيف لا وقد قال تعالى : ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ الرحمن : ٦٠ .

وحكي أن امرأة وضعت لقمة في فم سائل ، ثم ذهبت إلى مزرعة ، فوضعت ولدها في موضع ، فأخذه الذئب ، فقالت : يا رب ! ولدي : فأخذ رجل عنق الذئب ، واستخرج ولدها من غير أذى ، ثم قال : هذه اللقمة لتلك اللقمة ، التي وضعتها في فم السائل» فكل يرى صنعه في الدنيا أيضاً . ذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٣٧٥ .

✪**أيها التاجر العالمي للمعاصي والذنوب !** ويا شريك السوق الدولي في الآثام والحوب ، هل أنت «إنسان» ؟

للأسف : قد اخترت حرفة التجارة القذرة ، وبئس ما اخترت لنفسك من التجارة مع الشيطان عدو الإنسان ، ويا خيبة ! من كانت تجارته بالذنوب ، ويا له حسرة ! لا تنقضي أبد الآباد . ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ﴾ العلق : ١٤ ، و ﴿إِنَّ الله لاْ يَخْفىٰ عَلَيْهِ شَيءٌ فِيْ الأرضِ ولاْ فِيْ السَّماءْ﴾ آل عمران : ٥ .

✪[و هذه النساء الكاسيات العاريات المتبرجات في الطريق بكل زينة يستعرضن أجسادهن لكل نظرة جائعة وسعار مجنون . فمن ينقذهن من ظلمهن أنفسهن ؟

✪وهؤلاء الرجال الذين لا يغارون على أعراضهم ولا على نسائهم ولا بناتهم ولا أخواتهم ، ولا على أعراض الآخرين ، لأن قضية العرض كلها لا تخطر لهم على بال ، هل بقي لهم من شيء من فطرة «الإنسان» ؟ فمن يغار على هؤلاء الرجال والنساء : بنات أمّنا حواء ويدعوهم إلى الله ؟

✪وصفوف غيرها وصفوف من الانتكاس إلى مستوى الحيوان ، بل أسوأ من الحيوان ، ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ الفرقان : ٤٤ هل تعتبر في عداد «الإنسان» ؟

لقد تجاوز الفساد حدود الأخلاق . ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ..﴾ الروم : ٤١ . إن الفطرة ذاتها قد مسخت فلم تعد هي فطرة الإنسان] . (ما بين القوسين من كتاب علم التوحيد لسيد محمد قطب) بتصرف يسير .

✪ فمن يقوم بإصلاح هذا الفساد الطويل العريض في خير أمة أخرجت للناس الذين كان من وصفهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ فهل من مجييب ؟

الفصل الرابع

صفات الداعية إلى الله

[الشخصية الكاملة يبدأ كمالها من ذاتها ، وتعبر عنه بصلة قوية بالله ، وصلة قوية مع الناس ، وهذه بعض الصفات التي يجب أن يتمتع بها الدعاة :

✪ **صلة الداعية بالله** : الداعية مرشد إلى الخير ، وموجه نحو الهدى ، وكل هدفه أن يعرف الناس بربهم الخالق ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة . وعليه هو أولا أن تمتن صلته بالله في يقين وقوة ويجعل إيمانه قائما على التفرغ الكامل لمولاه ، والارتباط المطلق به ، والتوكل الراسخ عليه ، والتسليم التام لكل ما يأتي به من غير ارتياب - أو حرج - لتكون الدعوة بذلك نابعة في قوله وفعله وكل ذلك سهل ميسور (انظر كتاب الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها تأليف الدكتور أحمد أحمد غلوش) .

والدعاة إلى الله يجب أن يتحلوا بصفات تتناسب وجلال مكانتهم إذ هم ورثة الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) والمؤدون عنهم وحاملوا رسالتهم وتلك المكانة الرفيعة التي تقصر دونها أعناق السادة والرؤساء ولا تطاولها منزلة الملوك والحكام ، لا بد أن يكون أصحابها في أسمى مراتب الأخلاق وأرقى درجات الكمال الإنساني ولا يعني هذا أن الدعاة معصومون لا يخطئون ولكن المقصود أنهم أقل خطأ من غيرهم ، وإن وقع منهم الخطأ بادروا بالتوبة والاستغفار فليس هناك معصوم بعد الأنبياء ، وليس هناك إنسان لا يخطئ إلا أن يكون ميتاً لا حس ولا حركة له . والرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه قرر تلك الحقيقة حين قال : «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» الترمذي : قيامة ٤٩ ، ابن ماجة : زهد ٣٠ . أحمد : ج٣ / ١٩٨] . «مستلزمات الدعوة : ص ٢١١» .

✪ يجب أن يتصف الداعية بصفات خاصة حتى يكون موضع الإجلال والتقدير من الذين يدعوهم إلى الله تعالى وهذه الصفات منها :

✪ العلم ✪ والعمل ✪ والإخلاص وهي من أبرز صفات الداعية

✪ وكـذلك الاستقامـة ✪ والعفـو والتسامـح ✪ والتـواضـع ✪ والعـفـة ✪والقوة والعزيمة ✪ والقناعة ✪ والصبر ✪ وقوة البيان ✪ والوقار والرزانة ✪ والتقوى ✪ والصدق ✪ والحلم ✪ والوقاية والحذر ✪ صحبة خيار الناس ✪ ومن أبرز صفات الداعية الأمانة وفقدانها أكثر في الداعي وغيره- إلا مـن رحم الله - ✪ومن صفات الداعية أن يتعاون مع غيره من الدعاة ، ويشاورهم ويتناصح معهم

✪ **نذكر بعض هذه الصفات بالتفصيل لأهميتها فيما يأتي :**

✪**الإخـلاص** : ومـا أدراك ما الإخـلاص ، فمن أهم أسباب نجاح الداعيـة في دعـوته : **الإخلاص ، الإخـلاص ، الإخلاص ، أيهـا الناس !** وهي من أبرز صفات الداعية.

ولذلك ذكره الله في القرآن كما قال تعالى : وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ البينة : ٥ .

ومن علامات إخلاص الداعية في دعوته تفاعله مع الدعوة وتحمسه لها ، وبذل أقصى ما يمكن من الجهد في تبليغها لأن من أخلص في شيء أعطاه كل ما يملكه من مال وفكر وجهد ، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة فقد أعطى الدعوة كل ما يملكه بل وحياته الشريفة.

[فينبغي للداعي أن يتحلى بالآداب الشرعية والإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى حتى يكون وارثاً نبوياً عالماً ربانياً ، وأن يعلم أنه لا يجتمع الإخلاص في القلب ، ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس ، إن ثمرة الإخلاص والاهتمام بنشر الدعوة لا بد أن يظهر في نفسك أيها الداعية أولا .

✪**وأهمها : الرجاء والخوف من الله تعالى** ، قـال الله تعالى : ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون ● أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ يونس : ٧-٨ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لو يعلم المؤمن ما عندالله من العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عندالله من الرحمة ما قنط من جنته أحد» رواه مسلم ، توبة : ٢٣] . (مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص ٢١٤-٢١٥) .

✪وفي أحكام القرآن للقرطبي ٢ / ٩٩ عند قوله تعالى : ﴿ ونحن له مخلصون ﴾ البقرة : ١٣٩ : [والإخلاص حقيقته تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ؛ قال ﷺ : « إن الله تعالى يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكي ، يا أيها الناس ! أخْلصوا أعمالكم لله تعالى ، فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له ، ولا تقولوا : هذا لله وللرّحِم ، فإنها للرّحم وليس لله منها شيئ ، ولا تقولوا : هذا لله ولوجوهكم ، فإنها لوجوهكم ، وليس لله تعالى منها شيئ » . رواه الضحاك بن قيس الفِهري قال : قال رسول الله ﷺ « ... فذكره ؛ خرّجه الدارقطني .

✪وقال رُوَيم : الإخلاص من العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عِوضاً في الدارين ولا حظاً من الملكين .

✪وذكر أبو القاسم القشيري وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : « سألت جبريل عن الإخلاص ما هو ؟ فقال : سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو ؟ قال : سرٌّ من سرّي استودعته قلب مَن أحببتُه من عبادي » (اللهم اجعل قلوبنا قلب من أحببته يا ذا الجلال والإكرام] انتهى قول القرطبي رحمه الله .

وذكر القرطبي في إحكام القرآن ٥ / ١١٨ مفسراً لقوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ... ﴾ الآية ٣٦ من سورة النساء : وقال :

✪ [فالآية أصل في خلوص الأعمال لله تعالى وتصفيتها من شوائب الرياء وغيره ؛ قال الله تعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ الكهف : ١١٠ .

✪ ✪حتى لقد قال بعض علمائنا : إنه من تطهّر تبرُّداً ، أو صام حِمْيَة لمعدته ونوى مع ذلك التقرب لم يُجزِه ؛ لأنه مزج في نية التقرب نية دنيوية وليس لله إلا العمل الخالص كما قال تعالى ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ الزمر : ٣ وقال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ البينة : ٥ .

✪ ✪وكذلك إذا أحس الرجل بداخلٍ في الركوع وهو إمام لم ينتظره ؛ لأنه يُخرج ركوعه بانتظاره عن كونه خالصاً لله تعالى .

✪وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرَك فيه معي غيري تركتُه وشركه» .

✪وروى الدار قطني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يجاء يوم القيامة بصُحُف مختمة فتُنصب بين يدي الله تعالى فيقول الله تعالى لملائكته : ألقُوا هذا ، وأقبَلوا هذا ، فتقول الملائكة : وعزتك ما رأينا إلا خيراً ، فيقول الله عز وجل - وهو أعلم - : إن هذا كان لغيري ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما كان ابتُغي به وجهي»].

✪ثم ذكر القرطبي في ٥ / ص ١١٩ من تفسيره وقال : [وفي سنن ابن ماجه عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة (رضي الله عنهم) قال : قال رسول الله ﷺ «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة لا ريب فيه ، نادى مناد : من كان أشرك في عمل عمله لله عز وجل أحداً ، فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» .

✪وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ونحنُ نتذاكر المَسيحَ الدجال فقال : «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيخ الدخال ؟» قال : فقلنا : بلى يا رسول الله ؛ فقال : «الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلّي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل» .

✪وفيه عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أخوف ما أتخوّف على أمتي الإشراك بالله ، أما إني لستُ أقول : يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفيه» خرجه الترمذي الحكيم .

✪وروى ابن لَهيعة عن يزيد بن أبي حبيب (رضي الله عنه) قال : سئل رسول الله ﷺ عن الشهوة الخفية فقال : «هو الرجل يتعلم العلم يحب أن يجلس إليه» .

✪ قال سهل بن عبدالله التستري رضي الله عنه : الرياء على ثلاثة وجوه ؛ أحدها أن يعقد في أصل فعله ويريد به أن يعرف أنه لله ، فهذا صنف من النفاق وتشكك في الإيمان . والآخر : يدخل في الشئ لله ، فإذا اطلع عليه غير الله نَشِطَ ، فهذا إذا تاب يزيد أن يعيد إلى جميع ما عمل . والثالث : دخل في

العمل بالإخلاص وخرج به لله ، فعرف بذلك ومُدحَ عليه وسكن إلى مدحهم ؛ فهذا الرياء الذي نهى الله عنه .

✪ قال سهل : قال لقمان لابنه : الرياء أن تطلب ثواب عملك في دار الدنيا ، وإنما عمل القوم للآخرة . قيل له : فما دواء الرياء ؟ قال : كتمان العمل ، قيل له : فكيف يكتم العمل ؟ قال : ما كلفت إظهاره من العمل فلا تدخل فيه إلا بالإخلاص ، وما لم تكلَّف اظهاره أحبّ أن لا يطلع عليه إلا الله . قال : وكل عمل أطلع عليه الخلق فلا تعده من العمل . وقال : أيوب السختياني : ما هو بعاقل مَن أحب أن يعرف مكانه من عمله .

✪ قلت - القرطبي - : قول سهل : «والثالث دخل في العمل بالإخلاص» إلى آخره ، إن كان سكونه وسروره إليهم لتحصل منزلته في قلوبهم فيحمدُوه ويجلّوه ويبَرُّوه وينال ما يريده منهم من مال أو غيره فهذا مذموم ؛ لأن قلبه مغمورٌ فرحاً بإطلاعهم عليه ، وإن كانوا قد اطلعوا عليه بعد الفراغ . فأما من أطلع الله عليه خلقه وهو لا يحب اطّلاعهم عليه فيُسَرّ بصنع الله وبفضله عليه فسروره بفضل الله طاعة ؛ كما قال تعالى : ﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ مما يجمعون﴾ يونس : ٥٨ .

✪ وقد سئل سهل عن حديث النبي ﷺ : «إني أسرّ العمل فيُطّلع عليه فيعجبني» قال : يعجبه من جهة الشكر لله الذي أظهره الله عليه أو نحو هذا . فهذه جملة كافية في الرياء وخلوص الأعمال] . انتهى ما ذكره القرطبي .

وقال في تنوير الأذهان ٢ / ٢٧ مفسراً لقوله تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء - إلى قوله - والله بما تعملون محيط﴾ الأنفال : ٤٧ ، [فيجازيهم عليه ، وفيه تهديد على الأعمال القبيحة خصوصاً هذه الآية من البطر والرياء : هو إظهار الجميل وإبطان القبيح ، وهو من الصفات المذمومة للنفس :

✪**وفي ذلك حكاية عجيبة** : عن بعض الصالحين أنه قال : كنت ليلة في وقت السحر في غرفة لي على الطريق ، أقرأ سورة طه ، فلما ختمتها غفوت غفوة ، فرأيتُ شخصاً نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدي ، فإذا هي

سورة طه ، وإذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة ، إلا كلمة واحدة ، فإني رأيت مكانها محواً ولم أر تحتها شيئاً ، فقلت : والله لقد قرأتُ هذه الكلمة ، ولا أرى ثواباً ولا أراها أثبتت ، فقال الشخص : صدقتَ قد قرأتها وكتبناها ، إلا أنا قد سمعنا منادياً ينادي من قِبَلِ العرش : امحوها واسقطوا ثوابها ، فمحوناها ، قال : فبكيتُ في منامي فقلت : لِمَ فعلتُم ذلك ؟ فقال : مر رجل فرفعتَ بها صوتك لأجله فذهب ثوابها .

فعلى العاقل ! إخلاص العمل : وهو إرادة التقرب إلى الله تعالى ، وتعظيم أمره وإجابة دعوته ، سواء كان من العبادات المالية أو البدنية] اهـ .

✪ **حكاية أخرى عجيبة في ذلك** ● ذكر صاحب تنوير الأذهان ١ / ٢٦٩ مفسراً لقول الله تعالى : ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾ آل عمران : ١١٧ :

[قال منصور بن عمار : كان لي أخ في الله ، يزورني في شدتي ورخائي ، وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء ، ففقدته أياماً فقيل لي هو ضعيف مريض ، فأتيت بابه فطرقته فخرجت إبنته ، فدخلتُ فوجدته في وسط الدار وهو مضطجع إلى فراشه ، وقد اسود وجهه وازرقت عيناه ، وغلظت شفتاه ، فقلت له : يا أخي أكثر من قول « لا إله إلا الله » ففتح عينيه ونظر إليّ شزراً ، ففزعتُ حتى قلت له : لئن لم تقلها لا غسّلتُك ، ولا كفَّنتُك ، ولا صلَّيتُ عليك ، فقال : يا أخي منصور ! هذه كلمة قد حِيل بيني وبينها ، فقلت : «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » فأين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام؟ فقال : يا أخي ! كل ذلك كان لغير وجه الله ، إنما كنت أفعل ذلك ليقال وأذكر به ، وإذا خلوتُ بنفسي غلقت الأبواب ، وأرخيت الستور ، وبارزت ربي بالمعاصي » .

✪ فلا غرور للعاقل بكثرة الأعمال والأموال ، إذا لم تكن نيته صحيحة فيما يجري عليه من الأحوال ، فأين الذين آثروا المولى على كل ما سواه ، فوجدوا الفقر أعز من الغنى ، والذل ألذ من العزة [1] ، وبذلوا أموالهم وأرواحهم في

---

(١) – الذل والإنكسار بين يدي الله بطاعته خير من العزة والتكبر عن طاعته .

سبيل الله ؟ قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ألهاكم التكاثر ○ حتى زرتم المقابر ○ ﴾ ثم قال : « يقول ابن آدم مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟» الحديث أخرجه مسلم في الزهد ، والترمذي والنسائي ، وانظر جامع الأُصول ١ / ٦١٠.

✪ فعليك بالقناعة وتقليل الدنيا ، ولا تغتر بأصحاب الأموال والجاه . ففي ذلك كفاية لمن كان له قلب . وفقنا الله جميعاً لما يحب ويرضى] آمين اهـ .

✪ ومن أبرز صفات الداعية الاجتماعية صحبة خيار الناس :

[مادام الداعي يحب في الله ويبغض في الله فمن البديهى أنه يختار لصحبته ورفقته وإخوته : المطيعين لله القائمين بحق العبودية لله ، الداعين ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه قال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا . . . ﴾ الكهف : ٢٨ ، فهم نعم الرفيق له ونعم الاخوة له ، يشتد ارتباطه بهم ، ويعتني بهم ويحافظ على إخوانه .

ويرفض مصاحبة وموادة العصاة والفساق المعرضين عن أوامر ربهم . قال تعالى : ﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ﴾ النجم : ٢٩] (مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص ٢٣٢) .

وفي الصحيح للإمام البخاري عن النبي ﷺ قال : «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد ، لا يعدُمُك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه ، وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحاً خبيثة» رقم الحديث ٢١٠١ باب العطار وبيع المسك .

وقال الحافظ في الفتح : ٤ / ٣٨٠ : وفي الحديث النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا ، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيهما اهـ . ونعم ما قاله الشاعر :

ومن ربط الحصان إلى حمار
تعلّم بعد يومين النهيقا

ثم قال صاحب «مستلزمات الدعوة» : [وهو إذ يرفض مصاحبة ومخالطة العصاة

والفساق لا ينفك عن دعوتهم إلى الله والدعاء لهم بالهداية والرحمة والرشاد .

والداعي يعرف حقوق الصحبة ويحمل نفسه على الوفاء بهذه الحقوق ومنها مواساته لأصحابه وقضاء حوائجهم وسكوته عن عيوبهم ، فالإنسان لا يخلو من عيب ، إلا إذا وجب عليه النطق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويتحمل إساءتهم في حق نفسه ويقبل أعذارهم ، فالمؤمن الكريم يحضر في نفسه محاسن أخيه ، والمنافق اللئيم يحضر في نفسه معايب أخيه . قال عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى : «المؤمن يطلب المعاذير ، والمنافق يطلب العثرات» .

أما سلوكه مع من لا يصاحبه ولا يرافقه لفسقه وعصيانة فهو سلوك المؤمن فلا يخاصمهم ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ الفرقان : ٦٣ . ولكن ينصحهم ويعظهم ، وقد يضطر إلى هجرهم ومقاطعتهم إذا كانت معصيتهم تقتضى الهجر والمقاطعة . كما لو كانوا يدعون إلى بدعة في الدين ، أو يفرقون صفوف المسلمين أو يكيدون لهم أو يعملون لإلحاق الأذى بهم ، أو يسعون لظلمهم والبغي عليهم فإنه في هذه الحالة وبعد الإعذار لهم وإفراغ الجهد في نصحهم ، إذا لم يكفُّوا عما هم فيه ، يضطر إلى هجرهم ومقاطعتهم وعدم الكلام معهم ؛ زجراً لهم عن بغيهم وكيدهم وعدوانهم وبدعتهم حتى يتحاشاهم الناس ويعرفوهم فيحذرهم ، بل وللداعي أن لا يرد عليهم السلام إذا سلموا ، إمعانا في زجرهم وإظهارا لإنكار عملهم ، ويعلل الإمام الغزالي عدم رد السلام عليهم مع أن رده واجب بقوله : «ورد السلام وإن كان واجباً فإنه يسقط بأدنى غرض فيه مصلحة ، حتى يسقط يكون الإنسان في الحمام وقضاء حاجته ، وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض لأن فيه زجراً وتنفيراً» وبهذا المعنى أيضا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه : ٨ / ٢١٦-٢١٨] . (مقتبس من كتاب «مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص٢٣٢) .

✪نعم البركة ونعم الصحبة هذه ، ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ :

قال أبو طلحة : كما أنه من صفات الداعية : صحبة خيار الناس وأهل الخير لينال من بركتهم ، فكذلك على المدعو - قبل وصول الدعوة إليه وبعده - أن يهتم بصحبة خيار الناس وأهل الفضل باهتمام واستمرار لأنه أشد حاجة إليها

من الداعية ، فإذا تركا صحبة أهل الخير والفضل فقد تركا أولياء الله وأحباءه، وحرما نفسهما من بركتهم ، وضاع ما اكتسبا من نور وحبور وسرور في الدعوة إلى الله ، ورجعا من حيث بدءا ، فلا بد من حضورهما في صحبة خيار الناس لئلا تنقطع سلسلة نور العلم والإيمان والمعرفة .

✪ **وبمناسبة مجلس الصالحين وبركة صحبتهم** ذكر القرطبي في تفسيره : ١٠ / ٢٤٢ مبحثاً نفيساً جداً أود أن أذكره إتماماً للفائدة حيث قال رحمه الله :

✪ [قال ابن عطية : وحدثني أبي رضي الله عنه قال : سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على المنبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة : «إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم ؛ كلبٌ أحبَّ أهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله» .

✪ قلت : - القرطبي - إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا ، فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخاطبين / المحبين للأولياء والصالحين ! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصّرين عن درجات الكمال ، المحبين للنبي صلى الله عليه وسلم وآله خير آل .

✪ وفي الصحيح عن أنس بن مالك قال : بينا أنا ورسول الله ﷺ خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدّة المسجد فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ : «ما أعددتَ لها ؟» قال : ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله ﷺ قال : «فأنت مع من أحببت» . قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم .

✪ قلت - القرطبي - : وهذا الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين كل ذي نفس ، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين ؛ كلب أحب قوما فذكره الله معهم ! فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام ، وحب النبي ﷺ : ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ الإسراء: ٧] انتهى قول القرطبي .

✪ **ومن أبرز صفات الداعية كذلك التواضع** : والتواضع لغة : التذلل والخضوع ، وعرفاً : خروج الإنسان عن مقتضى جاهه وعظمته وتنزله من مرتبة أمثاله . ✪ وعند المحققين : أن لا يرى العبد لنفسه قدراً ولا قيمة ولا مزية وأن يرى الحالة التي هو فيها أعظم من أن يستحقها .

قال أبو زيد رضي الله عنه : مادام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر ، فقيل له : فمتى يكون متواضعاً ؟ قال : إذا لم ير لنفسه مقالا ولا حالاً ✪ والتواضع تارة يكون عن شهود عظمة ربه ، وهذا هو التواضع الحقيقي الذي لا يمكن ارتفاعه ، وتارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه .

✪ والتواضع الأول هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويبطل أنانيتها وتنقطع به شجرة الرياسة والكبر ، فلا يأخذه الزهو والغرور . والثاني : يؤدي إلى ترقي العبد إلى مدارج الفضيلة .

✪ والتواضع ضده الكبر وقد ورد الحديث المرفوع في ذم الكبر عن عبدالله بن عمرو : «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار» كما في التفسير لابن كثير ٣ / ٤٥٠ .

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدنا ليقذر نفسه يقول : «خرج من مجرى البول مرتين» .

وقال الحسن : «عجباً لابن آدم يغسل الخراء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات» .

✪ **كلمة عجيبة في زبدة التواضع** : **وما أدراك ما التواضع** ؟ أخي المسلم والداعية إلى الله : ينبغي أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق أبانا آدم من طين كما قال تعالى : ﴿إني خالق بشراً من طين﴾ ص : ٧١ .

✪ [وإن من جوهر الطين : الرّزانة والسكون ، والوقار والأناة ، والحلم ، والحياء ، والصبر ، وذلك هو الداعي لآدم عليه السلام بعد السعادة التي سبقت له إلى التوبة والتواضع والتضرع ، فأورثه المغفرة والاجتباء والهداية .

✪ ومن جوهر النار : الخفة ، والطيش ، والحدّة ، والإرتفاع ، والاضطراب . وذلك هو الداعي لإبليس بعد الشقاوة التي سبقت له إلى

الاستكبار والإصرار ، فأورثه الهلاك والعذاب واللعنة والشقاء .

✪ وأن الخبر ناطق: بأن تراب الجنة مسك أذفر ، ولم ينطق الخبر : بأن في الجنة ناراً ، وأن في النار تراباً ✪ وأن النار سبب العذاب ، وهي عذاب الله لأعدائه ، وليس التراب سبباً للعذاب ✪ وأن الطين مستغن عن النار ، والنار محتاجة إلى المكان ومكانها التراب ✪ وأن التراب مسجد وطهور كما جاء في صحيح الحديث ، والنار تخويف وعذاب ، كما قال تعالى ﴿ ذلك يخوّف الله به عباده ﴾ الزمر : ١٦] . ما بين القوسين من تفسير القرطبي : ٧ / ١١١ .

✪ وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « .. الناس كلهُم بنو آدم وآدم من تراب » (رواه أبو داود والترمذي وإسناده حسن كما في المشكاة رقم ٤٨٩٩ «باب المفاخرة») .

✪ فإذا عرفت هذا ، فلا بد إذاً أن يعيش الإنسان بجواهره المذكورة الداعية إلى التواضع والتضرع والتوبة ، ليرث المغفرة والهداية .

✪ أما إذا ترك الإنسان جواهره ، وأراد علواً واستكباراً في الأرض – والحال أنه تراب – وبدأ يطير كما يطير الذباب أو التراب والغبار ولحق بثياب الناس ، فإنهم يطردونه كما يُطردُ الغبار والتراب والذباب عن الثياب ، وإذا وقع هذا الغبار والتراب في عيون الناس فإنهم يلعنونه ويسبّونه ولا يحمدونه أبداً .

✪ وأما إذا كان هذا التراب والغبار والطين ـ أي الإنسان ـ قائماً بجواهره المذكورة ولا يرى لنفسه قدراً ولا قيمة ولا مزية ، ويخمد النفس ويذيبها ويبطل أنانيته ، حتى تنقطع به شجرة الرياسة والكبر ، فيعتبره الناس عند ذلك صعيداً طاهراً بل مطهّراً فيتيممون به ، كما هم يتيممون بالتراب وإن كان تحت المداس وعلى صفته الأصلية ، فهذا هو معنى قوله ﷺ : «من تواضع لله رفعه الله» (رواه البيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة «باب الغضب والكبر») .

✪ **فحاصل التواضع والكبر** : وهو أنه إذا كان الإنسان ابناً لأبيه آدم ﷺ وزعم أنه شيخه وأبوه ونسبه منه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فيعيش طينياً أي متواضعاً ، متذللاً ، متضرعاً تائباً إلى الله لا محالة ، وكذلك يكون معترفاً بذنوبه وخطيئاته قائلا لله تعالى كما قال أبواه : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ الاعراف : ٢٣ .

✪ أو كما قال ابن أبينا سيدنا موسى ﷺ لربه تائباً إليه : ﴿رب إني ظلمتُ نفسي فاغفرلي﴾ القصص : ١٦ .

✪ أو كما قال ابنه سيدنا يونس بن متى تائبا إلى الله : ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين﴾ الأنبياء : ٨٧ .

فاستجاب لهم ربهم ورضي عنهم ، وهذا هو شعار أبناء آدم ﷺ وذريته وعباد الله الصالحين . يرزقنا الله أشواقهم .

✪ ✪ **وأما إذا كان شيخه إبليس** ، فكأنه رفع نسبه إليه ، فلا يكون متواضعاً ولا متذللاً في سبل السلام ، ولا يبطل أنانيته ، ولايبدأ بالسلام ، وقد قال ﷺ : «البادئ بالسلام بريئ من الكبر» .(رواه البيهقي في شعب الإيمان كما في المشكاة رقم : ٤٦٦٦ باب السلام) ولا يميط الأذى عن الطريق أبداً ، ويحسب نفسه ويقول : أنا خير منه أي من ابن آدم الفلاني ، وهذا ابن فلان الفلاني أو من الدولة الفلانية ، وهذا هو طريق إبليس الذي قال : ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقتَه من طين﴾ ص : ٧٦ . وقال : ﴿أأسجد لمن خلقتَ طيناً﴾ الاسراء : ٦١ .

[فكفَّره الله بذلك . فكل من سفّه شيئاً من أوامر الله تعالى أوأمر رسوله عليه الصلاة والسلام حكمُه حكمَه ، وهذا ما لا خلاف فيه] (مابين القوسين من تفسير القرطبي : ١ / ٢٠٣) .

✪ فهذه هي الأنانية والشرف والكبر (الذي دعاه -أي إبليس- إلى الكفر فعصى الله فمسخه شيطاناً رجيما -وما ذلك على الله بعزيز انتبه- فإذا كانت خطيئة الرجل في كِبْر فلا تَرجُهْ ، وإن كانت خطيئته في معصية فارْجُه ، وكانت خطيئة آدم معصيةً ، وخطيئة إبليس كبراً) مابين القوسين من مقالة ابن عباس رضي الله عنهما كما في التفسير القرطبي : ١ / ٢٠٣) .

✪ **نتيجة الكبر** : وفي ذلك حكاية عجيبة كما حُكي عن بعضهم أنه قال : رأيت رجلاً في الطواف وبين يديه خَدَمٌ يطردون الناس ، ثم رأيته بعد ذلك على جسر بغداد يتكفّف ويسأل ، فحدقتُ النظر إليه لأتعرفه هل هو ذلك الرجل أو لا ؟ فقال : ما لك تطيل النظر إليّ ؟ فقلت : أشبهك برجل رأيته في الطواف من شأنه كذا وكذا وكذا ، فقال : أنا ذاك ، إني تكبرتُ في موضع يتواضع فيه الناس ، فوضعني الله في موضع يترفع فيه الناس . (راجع «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» : ٤ / ٣٢١) .

✪ فالقول الفصل في ذلك ، وليس بالهزل : هو تنبيه ربنا جل وعلا لبني آدم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهن ﴾ (الحجرات : ١١)

[ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والإستهزاء بهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عندالله وأحب إليه من الساخر منه المحتقر له] (قاله ابن كثير : ٤ / ٢١٣) .

✪ [وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : «البلاء مؤكل بالقول لو سخرتُ من كلبٍ لخشيتُ أن أحوَّل كلبا] (ذكره القرطبي في تفسيره : ٧/٢١٣) .

وقال تعالى : ﴿ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ﴾ النجم : ٣٢ .

✪ قال في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ١ / ٥٤٠ : [واعلم أن حب المال والاستكبار من أخلاق النفس ، فلا بد من تزكيتها ، وكان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام : «اللهم حسّن خَلقي وخُلُقي» وقد مدحه الله بقوله : ﴿ إنك لعلى خُلق عظيم ﴾ القلم : ٤ ، وكان عليه الصلاة والسلام يجالس الفقراء والمساكين ويؤاكلهم ، وكان يمر على الصبيان ويسلم عليهم ، وأتى رجل فارتعد من هيبته فقال : «هوِّن عليك فلست بمَلِك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» وكان يجلس مختلطاً بأصحابه كأنه أحدهم ، فيأتي الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل ، وكان لا يدعوه أحد إلا قال : «لبيك» وكل ذلك من تواضعه ﷺ . ✪ قال ذوالنون المصري : «علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم وتلاوة القرآن وسهر الليل ومجالسة العلماء ورقة القلب»] . اهـ

✪ موقف الداعي من العصاة :

[فعلى الداعية أن ينظر إلى المدعوين ـ من العصاة خاصة وغيرهم من الناس عامة ـ نظرة اشفاق ورحمة ، لأنه يراهم كالواقفين على حافة واد عميق سحيق في ليلة ظلماء . يخاف عليهم من السقوط ، ويعمل جهده لتخليصهم من الهلاك والبوار وهو في سبيل هذه الغاية ، يتجاوز عن تجاوزهم على حقه إن كانت معصيتهم في حقه ولا يعيرهم ولا يطعنهم ولا يشمت بهم ، ولا يحتقرهم افتخاراً بنفسه عليهم وإدلالاً بطاعته ، ولكن له أن يستصغرهم لمعصيتهم وتجاوزهم حدود الشرع ، وأن يغضب لهذا التجاوز .

قالت عائشة رضي الله عنها : «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط

ولا نيل منـــه شئ فانتقم لنفســه إلا أن تنتهك محــارم الله . فإذا انتـهكت محــارم الله لم يقم لغضبه شئ حتى ينتقم لله» .

✪ ومن محارم الله التي يغضب لها المسلم : محاربة العصاة الدعوة إلى الله والصد عن سبيله وإلحاق الأذى بالدعاة حتى يمتنعوا عن القيام بواجب الدعوة ففي هذه الأحوال ونحوها يجوز للداعي أن يسلك مع هؤلاء العصاة مايكف به ضررهم عن الدعوة والدعاة بالقدر الذي يبيحه الشرع ، على أن لا يتجاوز هذا القدر ، وأن يتوسل بالأسهل فالأسهل من وسائل كف ضررهم ، مع رغبته التامة في هدايتهم وصلاحهم] . (أصول الدعوة ص ٤٠٩ لمؤلفه : عبدالكريم زيدان) .

✪ وبهذا المنهج يشيع التآلف والتحابب ، وتنتشر الفضيلة وتقوى ، وتأتلف القلوب وتجتمع ، وتقوى أواصر الأخوّة بين المسلمين ، وما أحوجنا إلى ذلك في هذا العصر الذي تكاتفت أمم الأرض ، ووقفت صفاً واحداً ضد الإنسان المسلم . **أما الهنّات والهفوات** فقلما يخلو منها إنسان ، بل لا يخلو منها أحد ، ومجال إصلاحها كلمة السر ، والمجلس الخاص ، يبشر بإصلاحها عامل الزمن وبُعد النظرة يذكرنا بها الإمام الشافعي رحمه الله بقوله :

تعمـــدني بنصحك في انفراد	وجنبني النصيحة في الجماعة
فـإن النصح بين الناس نـــوع	من التوبيخ لا أرضى استماعه
فإن خالفتني وعصيــت أمري	فلا تجزع إذا لم تلق طاعـــة

وما أجمل قول المولى تبارك وتعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ، ولا تحزن عليــهم ولا تك في ضــيق مما يمكرون ، إن الله مع الذين اتقــوا والذين هم محسنون ﴾ . النحل : ١٢٧ .

وإليك قــول الحبيــب المصطفى عليه الصلاة والســلام يوصي أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما حينما أرسلهما إلى اليمن دعاة : «يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا» . (متفق عليه كما في المشكاة باب ما على الولاة من التيسير) .

إنه لمنهج ينبغي للعاملين في حقل الدعوة أن يفقهوه لئلا تنحرف بهم السبل ، فيضيع الطريق ، ويتبعثر الركب ، وتنهشنا السباع الضواري من كل جانب ولن تبكى علينا أرض ولا سماء .

الفصل الخامس

تعريف المدعو وحقوقه على الداعي

✪ **تعريف المدعو** : هو من تُوجَّه إليه الدعوة» وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً ، مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى .

ولا يمنع هذا التعميم في تعريفه ، أن يكون الأقربون من الداعية أولى الناس بالدعوة ، وأحق بها من غيرها ، فالأقربون أولىٰ بالمعروف ، قال تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ الشعراء : ٢١٤ .

وأقرب الأقربين إلى الداعية نفسُه التي بين جنبيه ، قال تعالى : قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسّاها ﴾ الشمس : ٩-١٠ .

✪وذكر القرطبي ٩ / ١٣٨مفسراً لقوله تعالى : ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي لغفور رحيم ﴾ يوسف : ٥٣ .

قال : [وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «ما تقولون في صاحب لكم إن أنتم أكرمتموه وأطعمتموه وكسوتموه أفضى بكم إلى شر غاية ؟ وإن أهنتموه وأعريتموه وأجعتموه أفضى بكم إلى خير غاية ؟؟» قالوا : يا رسول الله ! هذا شر صاحب في الأرض . قال ﷺ : «فوالذي نفسي بيده إنها لنفوسكم التي بين جنوبكم» اهـ

✪ وذكر صاحب تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ٤ / ٣٣٢ مفسراً لقوله تعالى : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفاً ﴾ (أي) عاجزاً عن مخالفة هواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ، قال الكلبي : لا يصبر عن النساء ، قال سعيد بن المسيب : ما أيس الشيطان من ابن آدم إلا أتاه من قبل النساء ، وقد أتى عليّ ثمانون سنة ، وهبت إحدى عينيَّ وأنا أعشو بالأخرى ، وإن أخوف ما أخاف على نفسي فتنة النساء .

✪وقال أبو هريرة رضي الله عنه : اللهم إني أعوذ بك من أن أزنى وأسرق ، فقيل له : كَبُرَ سنُّك وأنت صاحب رسول الله ﷺ ، أتخاف على نفسك من الزنى والسرقة ؟؟ قال : كيف آمن على نفسي وإبليس حيٌّ ؟ اهـ

قال أبو طلحة : هذا حال صاحب رسول الله ﷺ في خوفه على نفسه من إبليس لعنه لله ، فأبو هريرة هو أبو هريرة رضي الله عنه ، لا حاجة إلى بيان مناقبه ، وحسبه أنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

✪ وهذا خوف سعيد بن المسيب على نفسه من فتنة النساء فما بالك في نفسك : (وهو سيد التابعين من الطراز الأول جمع بين الفقه والحديث والزهد والعبادة والورع ، وهو المشار إليه المنصوص إليه ، وكان أعلم الناس بحديث أبي هريرة وبقضايا عمر ، لقي كثيراً من الصحابة وروى عنهم -رضي الله عنهم أجمعين- وعنه الزهري وكثير من التابعين وغيرهم . قال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب ، قال ابن المسيب : حججت أربعين حجة ، مات سنة ثلاث وتسعين) مابين القوسين مقتبس من «الإكمال في أسماء الرجال» لصاحب المشكاة .

✪ ✪ فعلى الداعي – قبل كل شيء – أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر كما يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر لأن أقرب الأقربين إلى الداعية نفسه التي بين جنبيه فالأقربون أحق وأولىٰ بالمعروف ، لئلا يكون حسرة ﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملتْ من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً ﴾ آل عمران : ٣٠ .

وفي الحديث : «إن العبد المؤمن بين مخافتين ، عمرٍ قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليتزود العبدُ لنفسه من نفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشباب قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الممات ، فوالله ما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا دارٌ إلا الجنة والنار» (هذا الحديث من إحدى خطب النبي ﷺ التي خطبها في أصحابه كما في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤ / ٥٠٠) .

✪ ✪ ثم على الداعي أن يدعو أهله وأسرته ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ... ﴾ التحريم : ٦ . وقال تعالى : ﴿ وأْمُرْ أهْلَك بالصلاة واصطبر عليها ... ﴾ طه : ١٣٢ .

ثم يأتي جميع الأقارب والأرحام ، الأقرب فالأقرب ، ثم يعم الأمر الجيران وغيرهم من الناس .

✪**وهناك غفلة يقع فيها كثير من الدعاة اليوم** ، حيث يُشغلون بدعوة

الآخرين عن دعوة أنفسهم وأولادهم ، أو يهتمون بدعوة الأباعد أكثر من دعوة الأقارب . قال تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلونَ الكتابَ ، أفلا تعقلون ﴾ البقرة : ٤٤ .

هنا أود أن أنقل تفسير هذه الآية المذكورة أعلاه وذلك لإتمام الفائدة ونصحاً لنفسي وإخوتي ، **وهو تفسير نفيس جداً** ذكره القرطبي رحمه الله في الجامع لأحكام القرآن :١ / ١٤٨ حيث قال : [وفيه تسع مسائل :

✪ الأولى قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر ﴾ هذا الاستفهام للتوبيخ والمراد في قول أهل التأويل علماء اليهود ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان يهود المدينة يقول الرجل منهم لصهره ولذي قرابته ولمن بينه وبينه رضاع من المسلمين : أثبت على الذي أنت عليه ، وما يأمرك به هذا الرجل - يريدون محمداً ﷺ - فإن أمره حق ؛ فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه .

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أيضاً : كان الأحبار يأمرون مقلديهم وأتباعهم باتباع التوراة ، وكانوا يخالفونها في جحدهم صفة محمدصلي الله عليه وسلم . وقال ابن جريج : كان الأحبار يحضّون على طاعة الله وكانوا هم يواقعون المعاصي . وقالت فرقة : كانوا يحضون على الصدقة ويبخلون . والمعنى متقارب .

✪ الثانية : في شدّة عذاب مَن هذه صفته ؛ روى حماد بن سلمة عن عليّ ابن زيد عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «ليلة أسري بي مررت على ناس تُقرض شفاههم بمقاريضَ من نار ، فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الخطباء من أهل الدنيا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون .

وروى أبو أمامة قال قال رسول الله ﷺ : «﴿ إن الذين يأمرن الناس بالبر وينسون أنفسهم يجرّون قُصبَهم (أي المعَى) في نار جهنم فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير وننسى أنفسنا» ... ثم ذكر القرطبي بعد ذلك وقال :

✪ فقد رواه مسلم في صحيحه بمعناه عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق (أي تخرج بسرعة) أقتاب (أي الأمعاء) بطنه فيدور بها كما يدور

الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان : ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى قد كنتُ آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» .

قلت : - أي القرطبي - فقد دل الحديث الصحيح وألفاظ الآية على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر وبوجوب القيام بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعلمه ؛ وإنما ذلك لأنه كالمستهين بحرمات الله تعالى ، ومستخفّ بأحكامه ، وهو ممن لا ينتفع بعلمه ؛ قال رسول الله ﷺ : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» أخرجه ابن ماجه في سننه .

✪ الثالثة : اعلم وفقك الله تعالى أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر لا بسبب الأمر بالبر ، ولهذا ذمّ الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ولا يعملون بها ؛ وبخهم به توبيخاً يُتْلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال ﴿أتأمرون الناس بالبرّ﴾ الآية وقال منصور الفقيه فأحسن :

إن قوماً يأمرونا ... بالذي لا يفعلونا
لمجانين وإن هم ... لم يكونوا يصرعونا

وقال أبو العتاهية :

وصفتَ التّقي حتى كأنك ذو تُقَى ... وريحُ الخطايا من ثيابك تسطعُ

وقال أبو الأسود الدُّؤَلي :

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتيَ مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ
وابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإن انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
فهناك يُقبل إن وعظتَ ويُقتدى ... بالقول منك وينفع التعليم

✪وقال أبو عمرو بن مطر : حضرت مجلس أبي عثمان الحيري الزاهد فخرج وقعد على موضعه الذي كان يقعد عليه للتذكير ، فسكت حتى طال سكوته ؛ فناداه رجل كان يعرف بأبي العباس : ترى أن تقول في سكوتك شيئاً ؟ فأنشأ يقول :

وغير تقي يأمر الناس بالتُّقى ... طبيب يداوي والطبيب مريض

قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء والضجيج .

✪ الرابعة : قال إبراهيم النخعي : إني لأكره القصص لثلاث آيات ، قوله تعالى : ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ البقرة : ٤٤ الآية وقوله : ﴿لم تقولون ما لا

تفعلون ﴾ الصف : ٢ ، وقوله : ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴾ هود : ٨٨ وقال سلم بن عمرو :

ما أقبح التزهيد من واعظٍ   يُزهِّد الناس ولا يَزْهَدُ
لو كان في تزهيده صادقاً   أضحى وأمسى بيتُه المسجدُ
إنْ رفض الدنيا وما باله   يستمنح الناس ويسترفدُ
والرزق مقسومٌ على من ترى   يناله الأبيض والأسودُ

✪ وقال الحسن لمطِّرف بن عبدالله : عظ أصحابك ؛ فقال : إني أخاف أن أقول ما لا أفعل ؛ قال : يرحمك الله ! وأيّنا يفعل ما يقول ! ويود الشيطان أنه قد ظَفِر بهذا ، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .

وقال مالك عن ربيعة بن أبي عبدالرحمن سمعت سعيد بن جُبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قال مالك : وصدق ، من ذا الذي ليس فيه شيء !] انتهى ما ذكره القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ البقرة : ٤٤ .

✪ **حقوق المدعو على الداعي** : إن للمدعو حقوقاً ، كما أن عليه واجبات ، ولعل أهم حق للمدعوين في عنق الدعاة :

أن يُقصَدوا ويُدعَو ، أو يُرسَل إليهم ، وأن لا تكون الدعوة لهم عَرضاً أو مصادفة ... كما أن من حقوقهم : أن يُحرَص عليهم جميعاً ، ولا يستهان بواحد منهم أياً كان شأنه ...

فقد أرسل الله عز وجل رسله إلى الناس ، إعطاءً لحقوقهم من جهة ، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى .

لذا ، قرر الشارع صلى الله عليه وآله وسلم عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم ، ويُعطو حقهم في الدعوة ، قال تعالى : ﴿ وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولا ﴾ الإسراء : ١٥ .

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق ، فبشر وأنذر ، وبعث أصحابه إلى الآفاق لإعلاء كلمة الله (كما سيأتي ذلك في الفقرة الآتية) وخرج أصحابُه بعده بالدعوة ، فنشروا الدين في الآفاق ، وأقاموا الحجة على الناس كافة ، فإن الأمة

المسلمة لم توجد لنفسها ، وإنما وُجِدَت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية . قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران : ١١ .

بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى اليمن

وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى اليمن كما أخرج البيهقي عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام . قال البراء : فكنتُ فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا . ثم إن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن يُقْفل خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد ، فأحب أن يَعقِب - يتخلف - مع علِيّ فليَعقبْ معه . قال البراء : فكنتُ فيمن عقَب مع علي . فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ثم تقدم فصلى بنا عليّ ، ثم صفنا صفاً واحداً ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ ، فأسلمتْ هَمدان جميعاً ، فكتب عليّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم . فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً ثم رفع رأسه فقال : «السلام على همدان ! السلام على همدان !» (ورواه البخاري مختصراً كذا في البداية : ج ٤ ص ١٠٥) . مقتبس من حياة الصحابة : ١/١٧٥. لصاحبه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله) .

بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى نجران

وذكر ابن إسحاق : أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام ويقولون : أيها الناس ! أسلموا تسلموا ، فأسلم الناس ؛ ودخلوا فيما دُعوا إليه . فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتابَ الله وسنة نبيه ﷺ كما أمره رسول الله ﷺ : إن هم أسلموا ولم يقاتلوا . ثم كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ :

كتاب خالد رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم . لمحمد النبي رسول الله - ﷺ - من خالد بن الوليد ! السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ؛

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد : يا رسول الله - صلى الله عليك - ! فإنك بعثتني إلى بني الحارث بن كعب وأمرتني إذا أتيتهم أن لا أقاتلهم ثلاثة أيام وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسول الله ﷺ ، وبعثتُ فيهم ركباناً : يا بني الحارث ! أسلموا تسلموا ! فأسلموا ولم يقاتلوا ؛ وأنا مقيم بين أظهرهم آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله ﷺ .

والسلام عليك يارسول الله ! ورحمة الله وبركاته»

كتاب الرسول ﷺ إلى خالد رضي الله عنه

فكتب إليه رسول الله ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

«من محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد ! سلام عليك !

فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد !

فإن كتابك جاءني مع رسولك يخبر أنّ بني الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأَقْبِلْ ، وليُقْبِلْ معك وفدهم . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .»

رجوع خالد إلى النبي ﷺ مع وفد بني الحارث

فأقبل خالد إلى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بني الحارث بن كعب . فلما قدموا على رسول الله ﷺ ورآهم قال : «من هولاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟» قيل : يارسول الله ! هؤلاء بنو الحارث بن كعب . فلما وقفوا على رسول الله ﷺ

سلّموا عليه . وقالوا : نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ : «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» .

ثم قال - ﷺ - : «أنتم الذين إذا زُجروا استقدَموا» . فسكتوا فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ثم الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ؛ ثم أعادها الرابعة . قال يزيد بن عبدالمدان - اسم لصنم - : نعم ، يارسول الله ! نحن الذين إذا زُجروا - سيقوا - استَقْدَموا (قالها أربع مرات) . فقال رسول الله ﷺ : «لو أن خالداً لم يكتب إليّ أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم» . فقال يزيد بن عبدالمدان : أما والله ! ما حمدناك ولا حمدنا خالداً . قال : «فمن حمدتم ؟» قالوا : حمدنا الله الذي هدانا بك يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : «صدقتم» . ثم قال : «بمَ كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟» قالوا : لم نك نغلب أحداً . قال : «بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم» . قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله ! أنا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : «صدقتم» .(وقد أسندها الواقدي من طريق عكرمة بن عبدالرحمن بن الحارث كما في الإصابة (ج ٣ ص ٦٦٠) .

ما يستفاد من بعثه ﷺ خالد بن الوليد إلى اليمن والنجران

فكما ذكرنا فيما سبق : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرر عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم ويعطوا حقهم في الدعوة ، وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق فبشّر وأنذر ، وأرسل الدعاة في الآفاق والرسائل إلى الملوك يدعوهم إلى الله ومن ضمنهم ✪ بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، ويستفاد من هذه البعثة ما يلي :

✪ إرسال الدعاة إلى الآفاق ليدعوا الناس كافة ، فإن الأمة المسلمة لم توجد لنفسها وإنما وجدت لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية .

✪ قيام الدعاة في بلاد الدعوة - ولو كان قياما طويلا - ليعلموا الناس الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، كما قال البراء رضي الله عنه : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه... الخ .

وفيه أيضاً : « ...فأسلم الناس ؛ ودخلوا فيما دُعوا إليه . فأقام فيهم خالد يعلّمهم الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما أمره رسول الله ﷺ .

فقيام الدعاة فيمن أسلموا بعد إبلاغ الدعوة إليهم هام جداً في هذا الزمان لأننا سمعنا كثيراً من الدعاة أن الإسلام يتأثر به كثير من الشباب والشيوخ في الأوروبا وأمريكا وأسلموا ، ولكن لما لم يراجع الدعاة ولم يقيموا في هؤلاء - الذين هم حديث عهد بالإسلام - لم يعلّموهم الإسلام بالقيام فيهم ، فارتدوا عن الإسلام وباءوا بغضب على غضب ، فهذا أشد خطراً للإسلام وأهله ، وما طرأت هذه المشكلة إلا بترك أسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ترك القيام في الناس - الذين هم حديث عهد بالإسلام - ليتعلموا منهم الإسلام وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

فعلى الدعاة والمراكز الدعوية الاهتمام بذلك اقتداءً بأسوة المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه حتى تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم .

✪ والداعي المبعوث إلى الخارج عليه أن ينفذ ما أمرته به الجهة المختصة من برامج ونحوها في المعروف ويكتب إليها ويخبرها عن أحوال الناس المدعوين وكذلك كل ما نفذ وعرض في دعوته ليستفيد في مهمته أكثر ما يمكن .

✪ كما أن خالد بن الوليد كتب إلى رسول الله ﷺ وأخبره عن تنفيذ جميع ما أمره صلى الله عليه وسلم ، وعما عرض له في الدعوة من أوله إلى آخره كما يظهر ذلك من رسالته التي كتبها إلى النبي ﷺ .

✪ ولم يفرق رسول الله ﷺ في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير ، وذكر وأنثى ، وقريب وبعيد .

✪ ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد ، ودعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم ، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء ، ولما وقع في شيء من ذلك اجتهاداً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكّر في ذلك ، فقال سبحانه :

﴿ عبس وتولى ◌ أن جاءه الأعمى ◌ وما يدريك لعله يزّكىٰ ◌ أو يذَّكَّرُ فتنفعه الذكرى ﴾ عبس : ١-٤ . فما كان منه ﷺ بعد ذلك أن يزهد بأحد ، حتى إنه لما لقي عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم ، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال ، فأقبل إليهم وعرض عليهم دعوته ، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة ، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل ... » أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» ص ١٠٥) .

✪وذكر القرطبي ١٩ / ١٣٩ مفسرا لقوله تعالى : ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمىٰ . .﴾ الآية فقال : [الثالثة : أقبل ابن أم مكتوم والنبي ﷺ مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى ، وقد قوي طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من ورائهم من قومهم ، فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال : يا رسول الله علمني مما علّمك الله ، وجعل يناديه ويكثر النداء ، ولا يدري أنه مشتغل بغيره ، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : يقول هؤلاء : إنما أتباعه العُميان والسَّفلة / والعبيد ؛ فعبَس وأعرض عنه فنزلت الآية .

✪ قال الثوري : فكان النبي ﷺ بعد ذلك إذا رأى ابن أم مكتوم يبسط له رداءه ويقول : «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» . ويقول : «هل من حاجة ؟» واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما . قال أنس : فرأيته يوم القادسية راكباً وعليه درع ومعه راية سوداء .

✪ الرابعة : قال علماءنا : ما فعله ابن أمّ مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالماً بأن النبي ﷺ مشغول بغيره ، وأنه يرجو إسلامهم ، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة ؛ أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني ، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيراً أصلح وأولى من ا لأمر الآخر ، وهو الإقبال على الأغنياء طمعاً في إيمانهم ، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة . . .] اهـ

✪ وقد ورد الحديث في فضل الفقير ـ الذي لا يسمع لقوله ـ على الغني : عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : مرّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالسٌ : ما رأيُك في هذا ؟ فقال : رجل من أشراف الناس ، هذا والله حريٌ إن خطب أن يُنكح ، وإن شفع أن يُشفَّعَ ، قال : فسكتَ رسولُ الله ﷺ ، ثم مر رجل فقال له رسول الله ﷺ ما رأيُك في هذا ؟ فقال : يارسول الله ! هذا رجل من فقراء المسلمين ، هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنكح ، وإن شفَعَ أن لا يُشَفَّعَ ، وإن قال أن لا يُسمَعَ لقوله ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خيرٌ من ملأ الأرض مثل هذا» . (متفق عليه كما في المشكاة باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي صلى الله عليه وسلم) .

وذكر صاحب تنوير الأذهان ٤ / ٤٩٢ مفسرا لقوله تعالى : (عبس وتولىٰ أن جاءه الأعمى﴾ عبس : ١-٢ : [... ويقال : إن رسول الله ﷺ لم يغتم في عمره كغمه حين أنزلت عليه سورة عبس ، لأن فيها عتباً شديداً على مثله ، بل كشف ذلك للمؤمنين ، ونبه على فعله عباده المتقين ...

✪ قال ابن زيد : لو جاز لمحمد ﷺ أن يكتم شيئاً من الوحي ، لكتم هذا ، وكذلك مثل قوله تعالى : ﴿لمَ تُحرِّمُ ما أحلَّ اللهُ لك تبتغي مرضاةَ أزواجك﴾ التحريم : ١ ، ونحو قوله تعالى : ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله وتُخفي في نفسكَ ما الله مُبْديه ، وتَخشىٰ الناسَ ، والله أحقُّ أن تخشاه﴾ الأحزاب : ٣٧ ، وكان ما فعله عليه الصلاة والسلام من باب ترك الأولىٰ ، فلا يُعدُّ ذنباً ، لأن اجتهاده عليه الصلاة والسلام كان في طلب الأولى ... الخ .

ثم ذكر مفسراً لقوله تعالى : ﴿أما من جاءك يسعىٰ وهو يخشى فأنت عنه تلهى﴾ [أي مثلك خصوصاً لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ، ويتلهى عن الفقير ، الطالب للخير ، والعزيز من أعزَّه الله بالإيمان والطاعة ، وإن كان بين الناس ذليلاً ، والذليل من أذله الله بالكفر والمعصية ، وإن كان بين الناس عزيزاً .

✪ روي أنه عليه الصلاة والسلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ، ولا تصدَّىٰ لغني ، وكان الفقراء في مجلسه أمراء ، يعني كان يحترمهم كل الإحترام ، وفيه تأديب للصغير بالكبير ، فحملةُ الشرع والعلم والحكام ، مخاطبون في تقريب الضعيف من أهل الخير ، وتقديمه على العاري عن الخير ، بمثل ما خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام في هذه]. انتهى .

وذكر صاحب (مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص ٣٠٥) وقال : [ومن حق المدعو أن يؤتى ويدعى ، أي أن الداعي يأتيه ويدعوه إلى الله تعالى ولا يجلس الداعي في بيته وينتظر مجيء الناس إليه ، وهكذا يفعل الداعي الأول نبينا الكريم ﷺ ، يأتي مجالس قريش ويدعوهم ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسم قدومها مكة ، ويدعوهم ويذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة ويدعوه].

فقد جاء في سيرة ابن هشام : [فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي

مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به فيقف على منازل القبائل من العرب فيقول : «يا بني فلان ! إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به» . وكان لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده]. (سيرة ابن هشام ٢ / ٣١ ، ٣٢) .

ولم يكتف ﷺ بأهل مكة ومن كان يأتيها وإنما ذهب إلى خارجها . فذهب إلى الطائف يدعو أهلها . قال ابن سعد : [فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله . فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرافهم إلا كلمه فلم يجيبوه» الطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢١٢) دار صادر بيروت .

✪ قال أبو طلحة : ثبت مما ذكر أن الدعوة الفردية لأكابر أهل القرية أو البلدة لها أهمية بالغة في الإسلام وعند نبي الإسلام خير الأنام صلوات ربي وسلامه عليه .

✪ وثبت أيضاً أنه ﷺ خرج من قرية إلى قرية ، وجلس هناك عشرة أيام وذلك لإعلاء كلمة الله فقط لا لغيره ، ودعا خاصة أهلها وأشرافهم .

✪ وثبت أنه ﷺ خرج وحده إلى الطائف للدعوة إلى الله ـ متوكلا عليه سبحانه ـ بدون مرافقة أحد من أصحابه ، فثبت أنه إذا لم يوجد للداعية غيره عليه أن يبلّغ دعوة الله تعالى بقدر استطاعته في قريته وغيرها متوكلا على الله ولا ينتظر أحدا من أصحابه ، فيدعو الناس إلى رب الناس ، وذلك إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن ذلك إلا لمشفق على عباد الله والحريص على هدايتهم وتخليصهم من الكفر وإخراجهم من الظلمات إلى النور إن شاء الله – كل ذلك يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم إن شاء الله .

✪عندما نزور أكابر أهل الدنيا والأغنياء ونلقاهم لحصول الدنيا أو للتجارة معهم في بلادهم القريبة أو البعيدة ، فلماذا لا نزورهم ونلقاهم ونسافر إليهم للتجارة مع الله اقتداء بالنبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ، ونستغل

سفراتنا الدنيوية في الدعوة إلى الله بأخلاقنا وحسن تعاملنا ووفاءنا بعهودنا وما إلى ذلك ، فعلينا الاهتمام بذلك إن كنا مؤمنين مخلصين ، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

✪ ✪ ذكر مؤلف «مستلزمات الدعوة ص ٢٠٧» وقال : ونسأل هنا لماذا كان المدعو يؤتى ويدعى ولا يأتي ؟ والجواب على ذلك من وجوه :

✪ الوجه الأول : إن وظيفة الرسول الكريم ﷺ التبليغ . قال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ المائدة : ٦٧ . وهذا التبليغ قد يستلزم نقلة الرسول ﷺ إلى مكان من يراد تبليغه لاحتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه أو أنها وصلته بصورة غير صحيحة ، أو وصلته بصورة صحيحة ولكن لم ينهض فيأتي إلى رسول الله ﷺ ليسمع منه فلأجل هذه الاحتمالات كان الرسول عليه الصلاة والسلام يأتي إلى أماكن الناس لتبليغهم الدعوة إلى الله .

✪ الوجه الثاني : شفقته ﷺ على عباد الله ، وحرصه على هدايتهم وتخليصهم من الكفر كل ذلك كان يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم ويبلغهم الدعوة إلي الله .

✪ الوجه الثالث : أن البعيد عن الإسلام قلبه مريض ، ومرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ولا يحسون به فلا يشعرون بالحاجة إلى علاجه ، فلابد من إخبارهم بمرضهم من قبَل الرسل الكرام ، ولا ينتظرون مجيئهم إليهم ليخبروهم بل يذهبون إليهم ويخبرونهم بالمرض والعلاج ، لأن من أعراض مرضهم إعراضهم عن الدعوة والمجيء إلى صاحبها .

وعلى الداعي المسلم أن يقتدى برسول الله ﷺ فينتقل إلى الناس في أماكنهم ومجالسهم وقراهم ويبلغهم الإسلام ويدعوهم إلى الله تعالى ، ويا حبذا لو توزع الدعاة على القرى والمحلات وتفرغ كل واحد منهم إلى جهة ، وفي هذا المعنى يقول الإمام الغزالي رحمه الله :

«يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد ، فيعلّم أهله دينهم ، وتمييز ما يضرهم عما ينفعهم ، وما يشقيهم عما يسعدهم ؛ ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه ، بل ينبغي أن يتصدى إلى دعوة الناس إلى نفسه

فإنهم ورثة الأنبياء ، والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم ، بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ، ويدورون على أبواب دورهم في الإبتداء ، ويطلبون واحداً واحداً فيرشدونهم ، وهذا فرض عين على العلماء كافة ، وعلى السلاطين كافة أن يترتبوا في كل قرية ، وفي كل محلة فقيهاً متديناً يعلّم الناس دينهم ، فإن الخلق لا يولدون إلا جهالا ، فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع» (إحياء علوم الدين ، للغزالي رحمه الله : ٣ / ٤٥) .

✪ لا يستهان بأي إنسان :

لا يجوز للداعي أن يستصغر شأن أي إنسان أو أن يستهين به فلا يدعوه لأن من حق كل إنسان أن يدعى ، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعي وزناً سيكون له عند الله وزن كبير بخدمته للإسلام والدعوة إليه ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه .

جاء في السيرة النبوية أن الرسول ﷺ بعد أن عرض نفسه الكريمة على قبائل العرب التي وافت الموسم في مكة ، وكان ذلك قبل الهجرة بنحو ثلا ث سنوات ، ولم يستجب له منهم أحد ، لقى ستة نفر من الخزرج عند العقبة من منى وهم يحلقون رؤوسهم ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ولرسوله - ﷺ - وآمنوا ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة وذكروا لهم رسول الله ﷺ «ودعوهم إلى الإسلام فغشا فيهم حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله ﷺ » ..

(إمتاع الأسماع للمقريزي : ص ٣٢ ، ٣٣)

✪ فرسول الله ﷺ لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يحلقون رؤوسهم بعد أن لم يستجب له أحد من القبائل النازلة حوالي مكة ، ولم يقل في نفسه الكريمة : أي أمل في هؤلاء المشغولين بحلق رؤوسهم . ثم إن أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأول إلى الإسلام في المدينة ، ثم بفضل الله وبدعوتهم دخل الناس في دين الله أفواجاً ، فكثر أصحاب النبي ﷺ .

✪ [ثم هؤلاء شاهدوا ما أعد الله لأوليائه من الإحسان ، وعاينوه بنور الإيمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان ، بل قالوا : إياك نعبد ، ولك نخضع

ونسجد ، وبك نهتدي ونسترشد ، وعليك نتوكل ونعتمد ، وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفي ميدان ودك نرتع ونسرح ، ولك نعمل ونكدح ، وعن بابك أبداً لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يُريدون وجهه﴾ الأنعام : ٥٢ ، أي لا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون ، لا تطرد قوماً المساجد مأواهم ، والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم ، والسهر إذا نام الناس إدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحياء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم في محاريب نجواهم ، فالفقر عام وخاص ، فالعام : الحاجة إلى الله تعالى ، وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿يا أيها الناس ! أنتم الفقراء إلى الله﴾ فاطر : ١٥ ، والخاص : وصف أولياء الله وأحبائه بخلو اليدين من الدنيا ، وخلو القلب من التعلق بها ، اشتغالا بالله عز وجل وشوقا إليه ، وأنساً بالفراغ ، والخلوة مع الله عز وجل] . (مابين القوسين ذكره الذهبي رحمه الله في الكبائر ص ٢١٥) .

فعلى الداعي أن يقتدي بهدي رسول الله ﷺ ولا يستهين بأحد فيزهد في دعوته فقد يكون الخير الكثير على يد هذا الذي لا يرى فيه خيراً الآن .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، واغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين . آمين يا رب العالمين .

✪ واجبات المدعو :

ذكر صاحب «مستلزمات الدعوة إلى الله» [كما أن من حق المدعو أن يؤتى ويُدعى ، وأن لا يستهان به ولا يستصغر شأنه ، فإن عليه أن يستجيب إذا ما دُعي إلى الله ، لأنه يدعى إلى الخير والحق فليستجب لنداء ربه جل جلاله .

ومن بيان الواقع الذي قد يستفيد منه الداعي ، ويطرد عنه اليأس ويبقى أمامه الأمل ، نقول : إن الناس ليسوا سواء في الاستجابة إلى الحق وقبول الدعوة ، فمن الناس من يؤمن حالا وبدون تردد أو تعثر حتى كأنه ينتظر سماع الدعوة ليؤمن - ومنهم من هو خلاف ذلك - .

✪ **ومن أمثلة ذلك إيمان أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -** وإيمان السحرة بموسى ﷺ ، أما إيمان أبي بكر فقد أخبر عنه رسولنا الكريم ﷺ إذ قال : «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر ابن أبي قحافة ، ما عكم - أي ما تلبث - حين ذكرته له ، وما تردد فيه» (سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٨) . انتهى .

✪ عن جبير بن نفير رضي الله عنه : أن أبواباً كانت مفتحة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمر بها فسدت غير باب أبي بكر فقالوا : سد أبوابنا غير باب خليله ، وبلغه ذلك ، فقام فيهم ، فقال : أتقولون : سد أبوابنا وترك باب خليله ؟ فلو كان منكم خليل كان هو خليلي ، ولكني خليل الله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ، فقد واساني بنفسه وماله ، وقال لي : صدق وقلتم : كذب» . (ذكره في المرقاة : ١١ / ٢٨٢) . انتهى .

✪ ✪ قال أبو طلحة : وعسى أن تكون هذه المسارعة والمسابقة إلى الإيمان سبب دخول الجنة لأبي بكر رضي الله عنه قبل جميع الناس من أمته ﷺ بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

✪ ✪ وقد ذكر القرطبي ١٨ / ١٧٤ عند قوله تعالى : ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ الحاقة : ١٩ ، وقال : [قال ابن عباس رضي الله عنهما : أول من يُعطَى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وله شعاع كشعاع الشمس . قيل له : فأين أبو بكر ؟ (رضي الله عنه) فقال : هيهات هيهات ! زفّته الملائكة إلى الجنة . ذكره الثعلبي . وقد ذكرناه مرفوعاً من حديث زيد بن ثابت (رضي الله عنه) بلفظه ومعناه في كتاب «التذكرة» . والحمد لله . اهـ

✪ ✪ وذكر صاحب تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢ / ٦٩ في تفسير قوله تعالى : ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ التوبة : ٤٠ ، وقال : [وفي الآية دلالة على علو طبقة الصديق وسابقة صحبته :

✪ ✪ وهوثاني رسول الله ﷺ حين خرج مهاجراً .

✪ ✪ وثانيه في الغار .

✪ ✪ وثانيه في الخلافة .

✪ ✪ وثانيــــه في القبر بعد وفاته .

✪ ✪وثانيــــه في إنشقاق الأرض عنه يوم البعث .

✪ ✪ وثانيــــه في دخول الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام : «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في السنن برقم : ٤٦٥٢ وأوله : «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي ... » الحديث (وانظر جامع الأصول : ٨ / ٥٨٤ . انتهى] .

قلت : **ومنه إسلام أبي ذر رضي الله عنه** كما أخرج البخاري : ١ / ٥٤٤ [عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما بلغ أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ قال لأخيه : اركب إلى هذا الوادي - أي مكة - فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ثم ائتني . فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له : رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشعر . فقال : ما شفيتني مما أردت .

فتزود وحمل شَنَّة - قربة صغيرة بالية - فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل اضطجع ، فرآه علي رضي الله عنه فعرف أنه غريب . فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى أصبح ، ثم احتمل قِربته وزاده إلى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ؛ فمر به عليٌّ فقال : أما آن للرجل أن يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شئ حتى إذا كان يوم الثالث . فعاد عليّ مثل ذلك فأقام معه ثم قال : ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟ قال : إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنّني فعلت ، ففعل فأخبره . قال : فإنه حق وهو رسول الله ﷺ . فإذا أصبحت فاتبعني فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ، ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه ، فسمع من قوله وأسلم مكانه . فقال له النبي ﷺ : «ارجع إلي قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» قال : والذي نفسي بيده ! لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم ، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم

قام القوم فضربوه حتى أضجعوه ، وأتى العباس فأكبَّ عليه فقال : ويلكم ! ألستم تعلمون أنه من غِفار ، وأن طريق تُجّاركم إلى الشام - عليهم - ؟ فأنقذه منهم ؛ ثم عاد من الغد بمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه ...]
(هذا الحديث اقتبسته من حياة الصحابة : ١ / ٤٣٣-٤٣٤ لمؤلفه الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله)

✪ ✪ ثم ذكر صاحب «مستلزمات الدعوة» وقال : [أما إيمان السحرة فأعني بهم السحرة الذين جاء بهم فرعون مصر لإبطال معجزة موسى عليه السلام . وأخبرنا الله تعالى بقصتهم وإيمانهم :

قال الله تعالى : ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون • فأُلقِيَ السحرة ساجدين • قالوا آمنا برب العالمين • رب موسى وهارون • قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علَّمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنَّكم أجمعين • قالوا لا ضَيْرَ إنا إلى ربنا منقلبون • إنا نَطمَعُ أن يغفر لنا ربُّنا خطايانا أن كنا أولَ المؤمنين﴾ (الشعراء : من ٤٥ إلى ٥١) .

✪ ✪ فأولئك السحرة جاؤوا لينصروا باطل فرعون وكفره ويقاوموا دعوة موسى نبي الله - ﷺ - ولكن ما إن رأوا المعجزة وعلموا أنها ليست من السحر الذي تعلموه ، وإنما هي من عندالله ودليل صدق نبيه الكريم موسى عليه السلام ، أقول : ما إن رأوا ذلك حتى آمنوا حالاً وأعلنوا إيمانهم صراحة بما يدل على عظم الإيمان وقوة نوره الذي دخل قلوبهم وبدد كل باطل فيها حتى هتفت ألسنتهم وقالوا أمام الطاغية الجبار وفي مجلسه : ﴿آمنا برب العالمين • رب موسى وهارون﴾ (الأعراف : ١٢١-١٢٢] .

✪ وقالوا مصرحاً له ومجترئاً عليه : ﴿فاقض ما أنت قاض ، إنما تقضي هذه الحياة الدنيا • إنَّا آمنَّا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتَنا عليه من السِّحر والله خيرٌ وأبقىٰ﴾ (طه : ٧٢و٧٣) . وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب .

✪ولما هددهم اللعين بما هددهم به قالوا : ﴿لا ضير﴾ أي لا ضرر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا فإن عذابك ساعة فنصبر لها ثم نلقى الله ربنا

مؤمنين ونحن نرجوا ونطمع أن يغفر خطايانا السابقة فإننا بادرنا إلى الإيمان عند ظهور معجزة موسى عليه السلام .

هذان مثالان للاستجابة السريعة لدعوة الله تكون عند بعض الناس ، أما الأمثلة على الاستجابة البطيئة فهي كثيرة نكتفي منها ما قصه علينا من أخبار قوم نوح فإنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ومع هذا لم يؤمن له إلا القليل كما جاء في القرآن الكريم .

✪ وكذلك أبو سفيان - رضي الله عنه - والطلقاء لم يؤمنوا بالإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ إلا بعد فتح مكة وبعد عداوة شديدة ومحاربة دامت عشرين سنة ، وهناك من لا يستجيب إلى دعوة الله ويموت وهو كافر ، نعوذ بالله من الخذلان] انتهى ما ذكره في «مستلزمات الدعوة» بتصرف يسير ..

✪ ✪ وفي «المدخل إلى علم الدعوة ص ٢٧١» : [ومن واجبات المدعو بعد أن هداه الله إلى الإسلام أن يقوم بحق الإسلام فيقيم أمور حياته وسلوكه على منهج الإسلام ويعبد الله على النحو الذي أمر به وبيّنه في قرآنه وعلى لسان رسوله ﷺ حتى لا يكون في إسلامه شوب نفاق ، يقول : إنه من المسلمين ، ولكنه لا يؤدي حقوق الإسلام .

✪ ومن أهم واجب المدعو تجاه الدعوة : أن يستجيب لدعوة الحق ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادةً اعتادها ، أم جهلاً أم كِبراً في نفسه ، أم ضعفاً في شخص الداعي ، أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك ...

قال الله تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسولِه ليَحْكُمَ بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ﴾ النور : ٥١ . كما قال في وصف الكافرين : ﴿ ويقولون سمعنا وعصينا ... ﴾ النساء : ٤٦ .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستجابة للحق فقال : ﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم ... ﴾ الأنفال : ٢٤ .

وإذا كان من حق المدعو أن يُدعى ، ولا يُهمل ، فإن من واجبه أن يستجيب فلا يُعرِض] . اهـ (المدخل إلى علم الدعوة ص ١٧٢ تأليف محمد أبو الفتح) .

✪ ✪ **جوهرة من الجواهر** : على المدعو أن يغتنم النصيحة ويقبلها من الداعية المتدين الورع الصادق مادام باب النصيحة مفتوح له ولم يغلق بعد ، فإنِ المؤمن يرى من عيوب غيره ما لا يرى الغير من عيوب نفسه ، ومن هنا حسنت صحبة الأخيار ، وكان عمر رضي الله عنه يقول : «رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي» .....

✪ ✪ إن الناصح الصادق الذي يدلك على عيوبك وسوء بعض أخلاقك يستحق منك الشكر والتقدير ، إنك تشكر من يدلك على عقرب تدب على جسمك أو تختفي تحت ثيابك وتسارع إلى إلقائها بعيداً عنك فكذلك يجب أن تفعل نحو من ينصحك ويدلك على عيوب أخلاقك ، لأن الأخلاق الرذيله عقارب ولكنها تؤذي القلب وتفرغ فيها سمومها .

(أصول الدعوة ص ١٠٢ بتصرف يسير

✪] وبعد تحقق هدف الدعوة فعلى الداعي والمدعو :

أن يباشرا الأعمال الصالحة التي تساعد أو تؤدي إلى تقويم الأخلاق أو تسهل على النفس قبول الأخلاق الزكية وطرد الخبيثة ، فالعلم وحده بدون عمل لا يكفي ، قال تعالى : ﴿قد أفلح من زكاها﴾ الشمس : ٩ ، ولم يقل ربنا تبارك وتعالى قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها ، فلا بد من تزكية فعلية ، بمباشرة الأعمال المحققة لزكاة النفس وتخليصها من أمراض الأخلاق الرذيلة . إن المريض الذي يوصف له العلاج أو يقدم له العلاج فعلاً ، ولا يستعمله لن يستفيد منه وإن ظل ينظر إليه ويكرر القول في تركيبه وكيفية صنعه .

✪ الحرص على كل صفة جميلة واعتبارها كالجوهرة النفيسة التي يجب صونها وحفظها وعدم التفريط بها ، وعدم الاستهانة بكل صفة قبيحة وإن بدت بسيطة قليلة الشأن ، لأن المسلم لا يستقل أبداً أي خلق حسن ، ولا يستهين بأي خلق سيئ ، فرب صفة طيبة ترفعه إلى درجات عالية ، ورب صفة خبيثة تدخله النار ، وقد مدح الله تعالى رسوله إسماعيل عليه الصلاة والسلام بصفة صدق الوعد قال تعالى : ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ...﴾ مريم : ٥٤ ، وفي الحديث : «اتقوا النار ولو بشق تمرة» .

✪كما أن الصفة الواحدة والمحافظة عليها والدوام عليها تؤدي إلى رسوخها فيه ، فإن كانت صفة خير : كان ذلك خيراً له . وإن كانت صفة شر كان ذلك شراً له ، والخير يؤدي إلى الخير ، والشر يؤدي إلى الشر ، جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عندالله صديقاً . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عندالله كذاباً» الحديث]. (أصول الدعوة ص ٩٨ ـ ١٠١) .

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها» رواه مسلم كما في المشكاة «كتاب الرقاق» .

قال في المرقاة : ٩ / ٣٤٨ [أي لا يضيع أجر حسنة المؤمن ... وبيانه : أن الله يجازي عباده المؤمن والكافر على النقير والقطمير والقليل والكثير من الخير والشر إما في الدنيا وإما في العقبى كما قال : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ الزلزلة : ٧ـ٨ ، وقال عز وجل : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ النساء : ٤٠ ، ولذا قال عمر رضي الله عنه : «لو كان لي حسنة واحدة لكفتني بناء على المضاعفة المذكورة والمثوبة العظيمة المسطورة» .

(... ومعناه : أن المؤمن إذا اكتسب حسنة يكافئه الله تعالى بأن يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه في الدنيا وبأن يجزى ويثاب في الآخرة . والكافر إذا اكتسب حسنة في الدنيا بأن يفك أسيراً أو ينقذ غريقاً يكافئه الله تعالى في الدنيا ولا يجز بها في الآخرة اهـ .

وحاصله أن الله يقابل عبده المؤمن بالفضل ، والكافر بالعدل ، ولا يُسئل عما يفعل ، ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى : ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب﴾ الشورى : ٢٠] انتهى ما ذكره صاحب المرقاة .



الفصل السادس

أهمية العمل الصالح في الإسلام

ماهية العمل الصالح : [العمل الصالح هو العمل المرضي عند الله تعالى ، وهو الجامع لشيئين : الأول : أن يكون وفق الشرع الإسلامي . الثاني : أن يكون المقصود به مرضاة الله وطاعته . فإذا فقد العمل هذين الشيئين أو أحدهما لم يكن مرضياً عند الله ، وبالتالي لا أجر فيه ولا ثواب ، قال تعالى : ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ الكهف : ١١٠ ، والمقصود بالعمل الصالح : العمل الصحيح أي الموافق للشرع الإسلامي ، والخالص لوجه الله تعالى]. «أصول الدعوة ص ٣٩» .

وعلى هذا إذا قام الشخص بالعمل وفق الشرع الإسلامي من حيث الظاهر أي من حيث توفر أشكال العمل الظاهرية المطلوبة في الشرع الإسلامي ، وكان قصد صاحبه مرضاة الله ولكنه لم يؤمن بالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ، فإن عمله مردود عليه ولا أجر فيه ولا ثواب .

ومادام العمل الصالح هو ما كان صحيحاً خالصاً لله ، والصحيح ما كان وفق الشرع ، فإن الابتداع في الدين بالزيادة والنقصان لا يجوز ، ولا ثواب فيه لصاحبه حتى ولو كان بنية العبادة لله تعالى ، قال ﷺ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أصله في الصحيحين .

✪**واعلم يقيناً** : أن للعمل الصالح في الإسلام مكانة عظيمة جداً ، لأنه ثمرة الإيمان بالله وباليوم الآخر وبرسوله محمد ﷺ ، وبه يظهر معنى الشهادتين بالعمل والسلوك ، ولأهميته في الإسلام جاءت الآيات الكثيرة به ، فمرة تقرنه بالإيمان ، ومرة تبين جزاءه الحسن ، وأخرى تصرح بأن ما ينفع الإنسان في آخرته هي الأعمال الصالحة وأن الله تعالى لا يضيع أجر من عملها وقام بها (ولو كان مثقال ذرة) وقال تعالى : ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ القمر : ٥٣ .

وقال الله تعالى : ﴿من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ الزلزلة : ٧-٨ .

وتارة تبين الآيات أن الصالحات سبب لتكفير السيئات وغفران الذنوب ، وأن الخسارة تلحق الإنسان لا محالة إلا من آمن وعمل الصالحات .

✪ **ومن هذه النصوص التي وضحت هذه المعاني قوله تعالى :** ● ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ (المائدة : ٩) .

✪ ﴿ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ﴾ (الرعد : ٢٢) .

✪ ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل : ٩٧) .

✪ ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ (الكهف : ٣٠) .

✪ ﴿ ويزيد الذين اهتدوا هدى ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ (مريم : ٧٦) .

✪ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴾ (العنكبوت : ٧)

✪ ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ﴾ (العنكبوت : ٩)

✪ ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (سورة العصر) .

وذكر صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٢٢٠» عند تفسير قوله تعالى : ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون - إلى قوله - غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ البقرة : ٢٨٥ ، فقال :

✪ [فينبغي التخلُّق بأخلاق القرآن ، ومجرد قراءة القرآن بغير عمل لا يفيد **مثاله** : أن السلطان إذا وهب لأحد إمارة ، وأعطاه رياسة أو نيابة ، وكتب له توقيعاً أن يطيعه أهل البلد كلها ، فإذا جاء إلى البلد وقعد على المملكة وأطاعه الخلق ، ثم إن السلطان كتب له كتاباً وأمره فيه أن يبني له قصراً أو داراً واسعة . حتى لو حضر السلطان وجاء إلى تلك المدينة ينزل في تلك الدار أو القصر ، فوصل الكتاب إليه ، وهو لا يبني ما أمر به في الكتاب ، لكنه يقرأه كل يوم ، فلو حضر السلطان ولم يجد ما أمره به حاضراً ، هل يستحق ذلك الأمير خلعة من السلطان أو أنه يستحق الضرب والشتم ؟

✪ وكذلك القرآن إنما هو مثل ذلك المنشور ، وقد أمر الله فيه عبيده أن يعمروا أركان الدين ، وبيّن لهم بما يكون عمارة الدين فقال تعالى : ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ و (كتب عليكم الصيام﴾ البقرة : ١٨٣ ، و ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ آل عمران : ٩٧ ، فصار قراءة القرآن كقراءة منشور السلطان ، ولا تحصل الجنة بمجرد القراءة لأنه قال : ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾ السجدة : ١٧ ، انتهى . ولله المثل الأعلى .

✪ [**من أهم أهداف الدعوة إلى الله حث المسلمين على العمل الصالح** ، العمل الصالح قرين الإيمان في القرآن الكريم فالغالب في القرآن أنه كلما ذكر الإيمان أردفه بالعمل الصالح ، لأن الإيمان دون العمل الصالح لا ينفع ، إذ الإيمان : قول واعتقاد وعمل ، قال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا﴾ الكهف : ١٠٧ .

✪ وقال تعالى : ﴿والعصر ◉ إن الإنسان لفي خسر ◉ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ◉﴾ سورة العصر

✪ وقال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ البينة : ٧ .

✪ وقال تعالى : ﴿ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ◉﴾ غافر : ٤٠ . إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة كما ذكرناها من قبل .

✪ ولقد كان هذا هو الهدف الثاني من أهداف الدعوة في عهديها : المكي والمدني ، وكان هذا هو عمل الرسول ﷺ في مكة المكرمة وفي المدينة النبوية ، حتى لحق بالرفيق الأعلى ، فكان يدعو أولاً إلى الإيمان بالله وبتوحيده ، ثم يدعو بعد ذلك إلى العمل الصالح .

✪ والمراد بالعمل الصالح بمفهومه العام : كل ما ينفع الإنسان في دينه، وفي نفسه وأهله ، وفي مجتمعه وكل ما يقوى المسلمين ويحقق قوتهم من البناء العلمي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي . . . على الأسس التي جاء بها الإسلام .

✪ إن العمل الصالح في الإسلام هو الذي يجعل قوة المسلمين فوق كل

قوة ورايتهم تعلو كل راية ، ولا يتحكم فيهم أحد : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ آل عمران : ١١٠ .

✪ولا شك أن الخيرية هنا تشمل الخيرية في القوتين : الروحية والمادية .

✪ فهدف الدعوة أن يتحول الناس من ضلالة إلى هدى ، ومن الظلمات إلى النور والحبور والسرور ، ومن ضعف إلى قوة ، ولن يتحولوا إليها إلا بالعمل الصالح المنبثق من هدى الإسلام وعقيدته السَّمحة ، وقد أخذت سورة إبراهيم بحظ وافر من هذا الهدف فقد دعت إلى العمل الصالح ، وإلى مكارم الأخلاق كما في قوله تعالى : ﴿ قل لعباديَ الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتيَ يوم لا بيعٌ فيه ولا خلال ● ﴾ إبراهيم : ٣١] . ذكره الشيخ محمد بن سيدي بن الحبيب في كتابه «الدعوة إلى الله» .

وبال ترك العمل الصالح واختيار العمل الطالح

✪ ذكر القرطبي ١٩ / ١١٤ ـ ١١٥ في تفسير قوله تعالى : ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ عم : ١٨ وقال :

✪ [روي من حديث معاذ بن جبل قال قلت : يا رسول الله ! أرأيت قول الله تعالى : ﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴾ فقال النبي ﷺ : «يا معاذ ! لقد سألت عن أمر عظيم» ثم أرسل عينيه باكياً ، ثم قال : «يحشر عشرة أصناف من أمتي أشتاتاً قد ميزهم الله تعالي من جماعات المسلمين ، وبدل صُوَرهم ● فمنهم على صورة القردة ● وبعضهم على صورة الخنازير ● وبعضهم مُنكِّسون : أرجلهم أعلاهم ، ووجوههم يسحبون عليها ● وبعضهم عُمْي يتردّدون ● وبعضهم صُمٌّ بُكْمٌ لا يعقلون ● وبعضهم يَمْضُغون ألسنتهم ، فهي مُدلاة علي صدورهم ، يسيل القيح من أفواههم لعاباً ، يتقذرهم أهل الجمع ، ● وبعضهم مقطعة أيدهم وأرجلهم ● وبعضهم مصلبون على جذوع من النار ، ● وبعضهم أشد نتْناً من الجيف ● وبعضهم ملبسون جلابيب سابغة من القطران لا صقة بجلودهم .

✪✪ فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس ـ يعني النمّام ـ ● وأما الذين على صورة الخنازيز فأهل السحت والحرام والمكس ● وأما المنكِّسون

رؤوسهم ووجوههم : فأكلَة الربا ، والعُمي : من يجور في الحكم ، والصم البكم الذين يعجبون بأعمالهم • والذين يمضغون ألسنتهم : فالعلماء والقُصّاص الذي يخالف قولهم فعلهم • والمقطعة أيديهم وأرجلهم : فالذين يؤذون الجيران .
• والمصلَّبون على جذوع النار : فالسعاة بالناس إلى سلطان • والذين هم أشد نتناً من الجيف : فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ، ويمنعون حق الله من أموالهم • والذين يلبَسون الجلابيب : فأهل الكبر والفخر والخَيلاء] . انتهى .

✪ قال في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ٤ / ٧٩ عند تفسير قوله تعالى : ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾ محمد : ١٢ ، [أي ينتفعون في الدنيا بمتاعها أياماً قلائل ﴿ويأكلون﴾ حريصين غافلين عن عواقبهم ﴿كما تأكل الأنعام﴾ في مسارحها ومعالفها ، غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح .

✪ قال القشيري : الأنعام تأكل بلا تمييز من أي موضع وجد ، وكذلك الكافر لا تمييز له أمِن الحلال وجد أم من الحرام .

✪ وكذلك الأنعام ليس لها وقت بل في كل وقت تقتات وتأكل ، كذلك الكافر أكوَل كما قال عليه الصلاة والسلام : «الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، والمؤمن يأكل في مِعَىً واحد» الحديث أخرجه البخاري ومسلم والترمذي بلفظ : «إن المؤمن يأكل في معىً واحد» الحديث (ينظر في جامع الأصول ٧ / ٤٠٧) .

✪ والأنعام تأكل على الغفلة فمن كان في حالة أكله ناسيا لربه فأكله كأكل الأنعام .

✪ قال الحدادي : الفرق بين أكل المؤمن والكافر : أن المؤمن لا يخلو أكله عن ثلاث : الورع عن الطلب ، واستعمال الأدب ، والأكل للسبب . والكافر يطلب للنهمة ، ويأكل للشهوة ، وعيشه في غفلة .

✪ وقيل : المؤمن يتزود والمنافق يتزين ويتزيد ، والكافر يتمتع ويتمنع ، وقيل : «من كانت همَّتُه ما يأكل ، فقيمته ما يخرج منه» .

✪ والحاصل ليس للذين كفروا همٌّ إلا بطونهم وفروجهم ، ولا يلتفتون إلى جانب الآخرة ، فهم قد أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام ، وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام .

✪ ✪أما المؤمنون فقد جاهدوا في الله بالطاعات ، واشتغلوا بالرياضات والمجاهدات ، فلا جرم إن أحسن الله إليهم بالجنات العاليات ، ومن هنا يظهر سر قوله عليه الصلاة والسلام : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» فلما عرف المؤمن أن الدنيا سجن ونعيمها زائل ، حبس نفسه على طاعة الله فكان عاقبته الجنات والنعيم الباقي ، ولما كان الكافر منكر الآخرة اشتغل في الدنيا باللذات فلم يبق له في الآخرة إلا الحبس في الجحيم ، وأكل الزقوم وكان الكبار يقنعون بيسير من الغذاء نسأل الله الحماية والرعاية] . انتهى .

✪ ✪واعلم أيضاً :[أن الإنسان الذي لا يؤمن بوجود الله لابد أن تنحط معاييره وقيمه ، ونظرته إلى كل شيء في هذه الحياة ، ذلك أن الإيمان هو الذي يقوي الجانب الروحي من الإنسان ويربطه بالمثل العليا إذ يربط القلب البشري بالله .

✪ المؤمن هو الذي يعرف الهدف الحقيقي لحياته في الأرض ، لأن الله تعالى يقول له : ﴿ وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ الذاريات : ٥٦ . فيعلم من ذلك أنه خلق ليعبد الله لا ليعبد شيئا آخر غير الله ، والإنسان لا بد أن يعبد ، هكذا خلقه الله عابداً ، والعبادة جزء أصيل من فطرته ، فإما أن يعبد الله وإما أن يعبد شيئا غير الله .

✪ فإن عبدَ الله فقد التزم بطاعته ، ونفذ أوامره ، فتستقيم حياته في الأرض وينعم في الآخرة بجنة الله ورضوانه ، وترتقي مشاعره ، لأن الله يوجهه في كتابه الكريم وسنة رسوله ﷺ إلى كل جميل من الخصال . يوجهه إلى عمل الخير والامتناع عن الشر ، يوجهه أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه . يوجهه أن يكون نظيفاً في سره وعلانيته ، نظيف الثياب نظيف المشاعر نظيف السلوك .

وأما إذا كان لا يعبد الله ، فسيعبد شيئاً آخر لا محالة .

✪ يعبد بشراً مثله ، يضع له تشريعات من عند نفسه يحل فيها ويحرم على هواه فيطيعه .

✪أو يعبد شهواته ؛ شهوة المال أو شهوة الجنس أو شهوة السلطان – أو بتعبير القرآن – يعبد الشيطان لأنه في الحقيقة هو وجهة كل عابد لغير الله : ﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ○ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾ يسين : ٦٠-٦١ .

✪ فلننظر إلى الملاحدة في شرق الأرض وغربها ، ماذا يعبدون ، وإلى أي شيء توجههم عبادتهم .

الشيوعي عبد للدولة ، وللنظام الشيوعي ، وللحزب الحاكم ، وللزعيم ، لأنه لا يملك أن يفتح فمه بكلمة واحدة ضد واحد من هؤلاء ، وإلا كان نصيبه الموت . فهو - رضي أو كره - مستذل لهذه الأرباب كلها من أجل لقمة الخبز من أجل أن يعيش !

✪ **والغربي عبد للمال ، وللشهوات** . المال هو الذي يحركه ، فلا يتحرك إلا من أجل الكسب المادي . والمال هو القيمة التي يقوم بها الإنسان . فوجوده ومكانته في المجتمع مرهون بمقدار ما يتكسب من مال . الله يقول : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ الحجرات : ١٣ .

✪ **وهم يقولون : إن أكرمكم عندنا أغناكم** ، ولو كان الغنى قد جاء من السلب والنهب والسطو على أقوات ملايين من البشر في المستعمرات التي يستعمرها الغرب وينهب أقواتها ، وامتصاص دماء الملايين من العمال الذين يكدون ويكدحون ، ثم يسرق عرقهم وجهدهم هذا الرأسمالي ليتجبر بها في الأرض .

ثم ... أين ينفقون أموالهم التي يجمعونها على هذه الصورة ويصبحون عبيداً لها في النهاية ؟

إما أن ينفقوها في شهوات الجسد الجامحة التي تنحط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان . وإما ينفقونها في الخراب والتدمير في الصراع الوحشي الدائر في الأرض ! تلك عباداتهم وذلك هو السلوك المترتب على عبادتهم ، فمتى يشعرون بالقيم العليا أو يستجيبون لدواعيها ؟] اهـ (مستلزمات الدعوة ص ١٨٣-١٨٥)

✪ **للأسف ! إن بعض الناس اليوم في العمل بما يقرؤون ويسمعون ويعلمون متكاسلون** ، وإذا ذكروا لا يذكرون ، حتى جاء دور الهوى والجفا ونرى بعض المؤلفين والدعاة ينصحون إخوانهم وينسون أنفسهم ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا﴾ النساء : ٧٨ .

فعلى الجميع الانتباه إلى قوله تعالى : ﴿فما لهم عن التذكرة معرضين ۝ كأنهم حمر مستنفرة ، فرّت من قسورة﴾ المدثر : ٤٩ - ٥١ ، والعياذ بالله .

✪ **واعلم يقيناً** أن المراد من استماع نصيحة أو موعظة أو مطالعة كتاب هو : تطبيق النفس ومقارنتها مع أوامر القرآن وهدي الحبيب المصطفى ﷺ ، وهو علاج للمريض أيضا وإصلاح للنفس حيث كلما أتيحت لك فرصة لإستماع الوعظ أو مطالعة كتاب فارجع إلى نفسك ، فإن وجدت فيها الميل إلى البر والتقوى فاحمد الله على ذلك ، وإذا لم تجدها مشتاقة إلى الحسنات فالحذر الحذر من قوله سبحانه في حق الأشقياء : ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب أليم﴾ المائدة : ٤١-٤٢ .

✪ وهذا ربنا الرحمن يخاطبنا بنداء الإيمان ، يدعونا إلى طاعته وإلى طاعة رسوله ﷺ ويقول : ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسولَه ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ● ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ● إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ الأنفال : ٢٢ .

✪ انظر ممن أنت في مجال العمل ؟ وهناك قصة غريبة للأحنف بن قيس رحمه الله في تطبيق أعمال نفسه على نص الكتاب نذكرها إتماما للفائدة وهي :

ذكر الحافظ محمد بن نصر المروزي في جزء «قيام الليل» عن الأحنف بن قيس أنه كان يوماً جالساً ، فعرضتْ له هذه الآية : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذِكرُكم أفلا تعقلون﴾ الأنبياء : ١٠ فتنبَّه ، فقال : عليَّ بالمصحف لألتمس ذكري اليوم ، حتى أعلم من أنا ومن أشبه ؟ -يعني لما علم أن القرآن قد ذكر جميع صفات البشر وبيّن مراتبهم أراد أن يبحث عن نفسه في أي الطبقات هو-؟

فنشر المصحف ، فمرّ بقوم : ﴿وكانوا قليلاً من الليل ما يَهْجعون ● وبالأسحار هم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ الذاريات ١٧-١٩ ومر بقوم : ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾ السجدة : ١٧ . ومر بقوم : ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ الفرقان : ٦٤ . ومر بقوم : ﴿ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ آل عمران : ١٣٤ . ومر بقوم : ﴿يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوق شُحَّ نفسه فأولئك هم

المفلحون ﴾ الحشر : ٩ . ومر بقوم : ﴿ يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرُهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ الشورى : ٣٧-٣٨ .

فوقف الأحنف ثم قال : اللهم لستُ أعرف نفسي ههنا - يعني لم يجد هذه الصفات في نفسه حتى يعدّ من هذه الطبقة - .

ثم أخذ الأحنف سبيلا آخر فمر بالمصحف بقوم : ﴿ إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ الصافات : ٣٥-٣٦ ومر بقوم قال الله فيهم : ﴿ إذا ذكر اللهُ وحده اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ الزمر : ٤٥ . ومرّ بقوم يقال لهم : ﴿ ما سلكَكُم في سقر ؟ قالوا لم نك من المصلين ولم نك نُطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين ﴾ المدثر : ٤٢-٤٤ . فوقف الأحنف ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء .

فما زال الأحنف يقلّب ورق المصحف ، ويلتمس في أي الطبقات هو حتى وقع على هذه الآية : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم ﴾ التوبة : ١٠٢ ، فقال الأحنف : أنا من هؤلاء . انتهت القصة .

✪ **فعلى الإنسان أن يطبق أعمال نفسه على نص الكتاب والسنة** ، [وأن يتدارك حاله ولا يطول أعماله ، قال الإمام الغزالي قدس الله سره : من زرع واجتهد وجمع بيدراً ثم يقول : أرجو أن يحصل لي منه مائة قفيز ، فذلك منه رجاء ، والآخر لا يزرع زرعاً ولا يعمل يوماً فذهب ونام وأغفل سنته ، فإذا جاء وقت البيادر يقول : أرجو أن يحصل لي مائة قفيز فهو أمنية بلا أصل ، فكذلك العبد إذا اجتهد في عبادة الله تعالى والانتهاء عن معصية الله يقول : أرجو أن يتقبل الله هذا اليسير ويتم هذا التقصير ويعظم الثواب ويعفو عن الزلل ، فهذا منه رجاء ، وأما إذا أغفل ذلك وترك الطاعات فارتكب المعاصي ولم يبال سخط الله ولا رضاه ووعده ووعيده ثم أخذ يقول : أنا أرجو من الله الجنة والنجاة من النار ، فذلك منه أمنية لا حاصل تحتها . ويبين هذا قوله عليه الصلاة والسلام :

«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من يتبع نفسه هواها ، ويتمنى على الله عز وجل الأماني» الحديث رواه الترمذي عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه .

●●وقال يوسف بن أسباط : دخلت على سفيان فبكى ليله أجمع ، فقلت : بكاؤك هذا على الذنوب ؟ فحمل تبناً وقال : الذنوب أهون على الله تعالى من هذا ، إنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام ، جعلنا الله وإياكم من العاملين بكتابه ، والواصلين إلى جنابه دون من نسي الله واتبع هواه] (ما بين القوسين من تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ١ / ٥٤١-٥٤٢) .

✪ ما هو العمل المقبول عندالله ؟ أحبائي : اعلموا أن كل عمل كان على أسوته ﷺ ومنهجه وصورته فهو مقبول عند الله سبحانه ، لأنه صلى الله عليه وسلم محبوب رب العالمين ، والمقرون بالمحبوب محبوب مع الاخلاص في العمل لرب العالمين .

حكى لنا أحد شيوخنا قصة صديقه الذي كان يعمل محامياً في المحكمة الكبرى في الهند ، فقال : ذكر لي صديقي فقال : دخلت السوق ذات يوم ، فرأتني امرأة عجوز ، وكان بيتها في السوق ، فأخذت بيدي ، وأدخلتني بيتها ، وأكرمتني بضيافة فريدة لم أر مثلها ، فلما فرغتُ من الضيافة ، واستأذنتُ للخروج ، قالت : لا بأس ، أرجوك يا بنيّ ! ألا تحرمني من زيارتك كلما نزلت إلى السوق . قال : فسألتُ العجوز ، يا عمتي ! ما حملكِ على مثل هذه الضيافة والإكرام مع رجل ليست بينك وبينه أيُّ معرفة ولا علاقة ؟

قالت : يا بنيَّ ! إن أحد أبنائي وفلذة كبدي : صورته مثل صورتك ، ودمه مثل دمك ، ومشيته مثل مشيتك ، وهو غائب عني منذ زمن بعيد ، في الديار الأجنبية ، فلما رأيتك تذكّرتُ ابني هذا ، فتحركتْ المحبة التي في قلبي إزاء ابني ، فلم أملك حتى دعوتك في بيتي لراحة قلبي وسروره وحبوره ، وأكرمتك بضيافة كما رأيتني ، وبالله عليك يا بنيّ ! لا تحرمني من زيارتك مرة ثانية وثالثة وهكذا قال : فأصبحتُ كلما أدخل السوق أزور هذه العجوز ، وذلك لتأليف قلبها ، وكانت العجوز تكرمني مثل إكرامها السالف . **انتهت القصة** .

✪ فتأمل أيها المسلم ! شفقة العجوز ورحمتها وحبها لشبيه ولدها وفلذة كبدها صورة ودماً ومشياً .

✪ ثم تأمل قوله ﷺ : « لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها » وأين تقع رحمة الوالدة مع رحمة الله التي وسعت كل شيء ؟

✪ **فإذا كان صورة الولد وشبيهه أحب الأشياء عند هذه العجوز** ، فكيف لا تكون كيفية عبادة محبوبه وأعماله ﷺ أحب الأشياء عنده سبحانه ؟ وقد علّمه سبحانه أحسن تعليم ، وأدّبه سبحانه أحسن تأديب ، وهو رب عظيم ، وزيّن هذا النبي العظيم ﷺ بخُلق عظيم ، وأعلن بذلك في كتابه العظيم قائلا : ﴿ وإنك لعلى خُلقٍ عظيم ﴾ القلم : ٤ .

وقال رسول الله ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم» (رواه أحمد وأبو داود وإسناده حسن كما في المشكاة كتاب اللباس رقم الحديث : ٤٣٤٧) .

✪**حكاية عجيبة في التشبه** : قال في المرقاة : ٨ / ٢٥٥ : قوله ﷺ : «فهو منهم» أي في الإثم والخير ، قال الطيبي : هذا عام في الخلق والخُلق والشعار ، ولما كان الشعار أظهر في الشبه ذكر في هذا الباب ، قلت : بل الشعار هو المراد بالتشبه لا غير ، فإن الخلق الصوري لا يتصور فيه التشبه ، والخلق المعنوي لا يقال فيه التشبه بل هو التخلق ، **هذا وقد حكى حكاية غريبة ولطيفة عجيبة** وهي أنه لما أغرق الله سبحانه فرعون وآله لم يغرق مسخرته الذي كان يحاكي سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام في لبسه وكلامه ومقالاته ، فيضحك فرعون وقومه من حركاته وسكناته ، وتضرع موسى إلى ربه : يا رب هذا كان يؤذيني أكثر من بقية آل فرعون ، فقال الرب تعالى : ما أغرقناه فإنه كان لابساً مثل لباسك ، والحبيب لا يعذب من كان على صورة الحبيب .

فانظر من كان متشبهاً بأهل الحق على قصد الباطل حصل له نجاة صورية وربما أدت إلى النجاة المعنوية ، فكيف بمن تشبه بأنبيائه وأوليائه على قصد التشرف والتعظيم ، وغرض المشابهة الصورية على وجه التكريم .. الخ ما ذكره صاحب المرقاة رحمه الله .

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح

✪ **وقال الشيخ التهانوي رحمه الله** : نرى بعض الناس اليوم لا يهتمون بالفرائض ولا بسنن الحبيب المصطفى ﷺ ، وقال : فرضاً لو يوضع أمام هؤلاء مصحف مبارك في جهة ، وقميصه ﷺ ـ الذي لبسه ﷺ في حياته المباركة ـ في جهة أخرى ، ثم يقال له : اختر لنفسك ما شئت منهما ؟ فانظر إلى أين يميل القلب ؟ ءإلى القرآن الكريم أم إلى القميص المبارك ؟ – وإن كان القرآن تعظيمه واجب على كل مسلم من ناحية العقيدة والعمل به ، ولكن الإنسان يختار للقميص أسلوباً في أخذه ما لا يختاره للقرآن الكريم – مع أن القرآن قد رسخ حبه في قلب المؤمن – ولا يعتبر أسلوبه هذا مع القميص شركاً ولا بدعة ، لأن الإنسان ليس بقادر على خلاف ذلك من حيث الفطرة التي فطره الله عليها ، ومن المعروف : «أن الجنس يميل إلى الجنس» ✪ نعم ! إذا كان هذا الأسلوب قد تجاوز الحدود الشرعية ، يعتبر بدعة وضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فالغرض من ذكر هذا التمثيل هو : أننا لما نتأثر من ملبوساته ﷺ إلى هذا الحد ، ونؤثرها على غيرها من الأشياء ، ونحبها حباً لا يعدلها الحب ، ونختار لها أسلوباً فريداً ما لا نختاره لغيرها ، فلماذا لا نختار الأسلوب نفسه مع أعمال المصطفى ﷺ وسننه المباركة التي مصدرها ومنبعها الوحي والقائم به جسده ﷺ المبارك الطاهر المطهر الزكي – فاستفت قلبك – ؟

وقد نقل الإجماع أبو الوليد الباجي والقاضي عياض وغيرهما على تفضيل ما ضمّ الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة ..

بل نقل القاضي تاج الدين السبكي عن ابن عقيل الحنبلي ، أنها أفضل من العرش . راجع الباب الثامن من «فضائل المدينة» للإمام الصالحي الشامي رحمه الله تعالى .

✪ وهذا كما ذكره ابن القيم رحمه الله وقال : فإن ابن عقيل الحنبلي لما سئل عن المفاضلة بين الحجرة والكعبة فقال : «إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهو ﷺ فيها ، فلا والله ! لا العرش وحملته ، ولا جنة عدن ، ولا الأفلاك الدائرة ، لأن بالحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح» كذا في (بدائع الفوائد) لابن القيم رحمه الله تعالى .

✪ ✪ **وينبغي أن تعلم** أن في اختيار سننه وأوامره ﷺ هدى ونور ونجاة في الدارين – وليس ذلك في اختيار القميص المبارك وغير ذلك من الأشياء بمجرد دعوى المحبة ، فالنبي ﷺ فعل مع عبدالله بن أبيّ المنافق ما فعل لنجاته من النار حتى جاء على قبره : « ... فأمر به – أي عبدالله بن أبيّ – فأخرج – أي من قبره – ووضع على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه» رواه البخاري .

ومع ذلك قال ﷺ في حقه : [إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئاً ، وإني لأرجو أن يسلم بفعلي هذا ألف رجل من قومي) كذا في بعض الروايات : «من قومي» يريد منافقي العرب ، والصحيح أنه ﷺ قال : «رجال من قومه» . ووقع في مغازي ابن إسحاق وفي بعض كتب التفسير : فأسلم وتاب لهذه الفعلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف رجل من الخزرج] (مابين القوسين ذكره القرطبي في تفسيره : ٨ / ١٤٠) .

✪ومن المعلوم أن المحب الصادق يحب كل ما كان منسوباً إلى حبيبه من الصورة والسيرةِ واللباس والهيئة ، وكذلك يحب حركاته وسكناته وقيامه وقعوده ، حتى يحب داره وجداره وكساءه ورداءه ، وفي ذلك قال الشاعر :

ومــن عادتي حب الديار لأهلهــا
وللناس فيمــا يعشقون مــذاهب

وقــال آخــر :

أمــــر عــلى الديار ديـــــار ليلىٰ
أقبّــل ذا الجــــدار وذا الجــــدارا
ومــا تلــك الــديار شغفــن قــلبي
ولكــن حــب من سكن الــديـــارا

✪ وأحسن منه ما ذكره القرطبي في تفسيره ١٠ / ٣٢ فقال : والمقرون بالمحبوب محبوب ، والمقرون بالمكروه المبغوض ؛ مبغوض كما قيل :

أحــــب لحـــبها الســـودان حتى
أحــب لحــبــهــا ســـود الـــكلاب اهـ

✪ فالذي يؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، يكون الله ورسوله ﷺ

أحب إليه مما سواهما ، وهذه المحبة لا محالة تضطر صاحبها إلى اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في شئونه كلها - إن شاء الله - قال الله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ آل عمران : ٣١

وإن لم تدفع المحبة إلى عمل مندوب أو منسوب إلى حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف تدفع إلى اتباع السنة والوجوب ، فما هو إلا إدعاء للمحبة وليست بالمحبة ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في الفعال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

✪ وإن كان دعوى المحبة جائزة مع المحبوب ، ولكن حال المحب وأعماله تخبر عن كذب دعواه هذه وصدقها ، وفي مثل ذلك أنشدوا :

وجائزة دعوى المحبة في الهوى
ولكنْ لا يخفى كلام المنافق

✪ وقال صاحب «اتحاف السادة المتقين» ٤ / ٤٥٩ : «ولا شك أن من ترك شيئاً من إتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ينقص من محبة الله إياه على قدر ما نقص من اتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذب نفسه في محبته لله ، بعدم تمام الإتباع .

✪ **ومن علامة محبته صلى الله عليه وآله وسلم** محبة الرجل لكل ما يحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكر القاضي عياض في الشفاء ٢ / ٢٧ فقال : «فبالحقيقة من أحب شيئاً أحب كل شيء يحبه ، وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس ، وقد قال أنس رضي الله عنه حين رأى النبي ﷺ يتتَبّع الدُّباء من حوالي القَصعة ، فما زلتُ أحب الدباء من يومئذ اهـ .

✪ **وهـــذا** سيدنا أبوبكر وعمر رضي الله عنهما كانا يزوران أمّ أيمن مولاة النبيّ ﷺ ويقولان : كان رسول الله ﷺ يزورها .

ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها

رداءه ، وقضى حاجتها ، فلما توفّي - ﷺ - وفدت على أبي بكر وعمر فصنعا بها مثل ذلك . اهـ من الشفاء .

✪ **وهـــذا** سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضحك لما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يضحك كما ذكر ذلك ابن تيمية رحمه الله في «الكلم الطيب» في فصل في ركوب الدابة عن علي رضي الله عنه وفيه :

« ... ثم ضحك ، فقيل : يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكتَ ؟ قال : إني رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعل كما فعلتُ ، ثم ضحك ، فقلت : يارسول الله من أيّ شيء ضحكتَ ؟ قال : «إن ربك سبحانه وتعالى يَعجب من عبده إذ قال : «رب اغفرلي ذنوبي» يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري » . خرّجه أبو داود ، والنسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح اهـ .

✪ **وهـــذا** سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما آثر المشي على الركوب وهو ذاهب إلى مسجد قباء مع وجود الدواب عنده . فلما قال له عبدالله بن قيس بن مخرمة ومعه بغلة له : «اركب أي عم ، قال : أي ابن أخي ! لو أردت أن أركب الدواب لوجدتها ، ولكني رأيت رسول الله ﷺ يمشي إلى هذا المسجد ، حتى يأتيَ ، فيصلي فيه ، فأنا أحب أن أمشيَ إليه كما رأيته يمشي ، قال : فأبى أن يركب ، ومضى على وجهه» . رواه الإمام أحمد في مسنده ٢ / ١١٩ ورجاله ثقات .

✪ **وهـــذا** سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه جلس تحت شجرة فأخذ غصناً منها يابساً فهزّه حتى يتحاتّ ورقُه ، ثم قال : يا أبا عثمان ! ألا تسألني لِمَ أفعل هذا ؟ قلت : ولِمَ تفعله ؟ قال : هكذا فعل بي رسول الله ﷺ وأنا معه تحت الشجرة ، وأخذ منها غصناً يابساً فهزّه حتى تحاتّ ورقه ، فقال :« يا سلمان ! ألا تسألني لم أفعل هذا ؟» قلت : لمَ تفعله ؟ قال : «إن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم صلّى الصلوات الخمس ، تحاتتْ خطاياه كما تحات هذه الورق ، وقال : ﴿أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ هود : ١١٤ . (رواه أحمد والنسائي والطبراني ورواة أحمد محتج بهم في الصحيح إلا علي بن زيد كذا في الترغيب) .

✪ **وهـــذا** الإمام أحمد رحمه الله تعالى يقول : ماكتبتُ حديثاً إلا وقد عملتُ به ، حتى مَر بي أن النبي ﷺ احتجم ، وأعطى أبا طيبة ديناراً ،

فاحتجمتُ وأعطيتُ الحجام ديناراً . «بذل المجهود في شرح سنن أبي داود» .

✪ وذكر القاضي في الشفاء ٢ / ١٦ : وحُكي عن أحمد بن حنبل قال : كنتُ يوماً مع جماعة ، تجردوا ودخلوا الماء ، فاستعملتُ الحديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر» ولم أتجرد ، فرأيتُ تلك الليلة قائلا لي : «يا أحمد ! أبشر ، فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة ، وجعلك إماماً يُقتدى بك ، قلت : من أنتَ ؟ قال : جبريل» . اهـ .

والحديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر الخ» ذكره ابن حبان في صحيحه ٧ / ٤٥٤ ، والحاكم في المستدرك ٤ / ٢٨٩ ، والطبراني في معجمه ٤ / ١٤٧ .

✪ **وهـــذا** الإمام أبو داود رحمه الله ، ناداه مناد : «يا أهل السفينة ! إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم» .

✪ كما أخرج ابن عبدالبر بسند جيد عن أبي داود صاحب السنن رحمه الله أنه كان في سفينة ، فسمع عاطسا على الشط حمد ، فاكترى قارباً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمته ، ثم رجع ، فسئل عن ذلك ، فقال : لعله يكون مجاب الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول : «يا أهل السفينة ! إن أبا داؤد اشترى الجنة من الله بدرهم» . ذكره الحافظ في الفتح : ١٠ / ٦٢٦ .

✪ قال أبو طلحة : علم من هاتين القصتين – قصة الإمام أحمد وأبي داود رحمهما الله «**إن الجنة مطوية بالسنة**» أي بسنة حبيبي صلوات الله وسلامه عليه» وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .اهـ .

✪ فالتأسي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المحبوب عندالله سبحانه في كل الشئون ، وإن كان الاتباع في بعض الأمور غير واجب ، وذلك لأن المحب لا ينظر إلى الفرق بين الواجب وغيره ، بل هو يتبع المحبوب لأجل حبه له ، وهذا أمر يعرفه أهل المحبة والعرفان .

✪ قال سهل : من لم ير وِلاية الرسول ﷺ عليه في جميع الأحوال ، ويرى نفسه في مِلكه ﷺ ، لا يذوق حلاوة سنته ﷺ ، لأن النبي ﷺ قال : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» الحديث كما في الشفاء ٢ / ١٩

✪ وقال عمرو بن قيس الملائي : إذا بلغك شيء من الخبر (أى الحديث) فاعمل به ولو مرة ، تكن من أهله .

وينبغي أن يستعمل ما يسمعه من أحاديث العبادات والآداب وفضائل الأعمال ، فذاك زكاة الحديث وسبب حفظه . اهـ

وقال وكيع رحمه الله : إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

✪ **أيها الأخ الكريم !** قد وهب الله تعالى لكل إنسان أنفاساً معدودات فإذا أنفقها الإنسان في اكتساب الخيرات بعقل وشعور ، فلا حد لمنافعه في حياته وبعد موته ، وبالعكس إذا أنفقها في أمور شنيعة وقبيحة وما قدرها حق قدرها ، فقد ضاع رأس المال كله -وهو حياته وأنفاسه - فضلا أن ينال به المنافع الدنيوية والأخروية ، بل يعد هذا الإنسان من طائفة المجرمين الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله فيصير به لا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا والانتفاع بها من الأكل والشرب كما قال تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ (الروم : ٧) يعني أمر معاشهم ودنياهم : متى يزرعون ومتى يحصدون ؟ وكيف يغرسون وكيف يبنون ؟ قاله ابن عباس وعكرمة رضي الله عنهم كما في تفسير القرطبي.

✪ فيقول سبحانه وتعالى لمثل هؤلاء ﴿ كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون ﴾ المرسلات : ٤٦ ، وقال تعالى : ﴿ ونسوق المجرمون إلى جنهم ورداً ﴾ مريم : ٨٦ . نعوذ بالله من ذلك .

والذي لم يصرف رأس ماله هذا (أي عمره) في أمور مفيدة فقد فقدَ المنافع ورأس المال جميعا .

وما هذا تمثيل فقط بل يؤيده الحديث الصحيح ففيه : « .. كل إنسان يغدو فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها » . صحيح مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء رقم : ٢٢٣ . **وقد سيق هذا الاطلاق** في كتاب الله أيضاً وعبر عن الإيمان والعمل الصالح بالتجارة كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ﴾ الصف : ١٠ .

فإذا كان رأس المال هو العمر ، والإنسان يتجر به ، فإن التاجر الكيس والعاقل الذكي هو الذي يستفيد من شيء زائل وفان في كل لحظة ، لئلا يكون من الخاسرين والخائبين في الدنيا والآخرة .

يحكى أن شيخاً ذهب عند بائع الثلج فقال : قد فهمت تفسير سورة العصر بتجارة بائع الثلج هذا ، بأنه لو غفل هذا البائع عن تجارة الثلج وبيعه فقد ذهب رأس ماله كله بشكل الماء .

فلذا أقسم الله سبحانه بالعصر أى بالزمان ونبه الإنسان بقوله : ﴿ والعصر ● إن الإنسان لفي خسر ● إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ● العصر : ١-٣ . وقال الشاعر :

حياتك أنفاس تعدُّ فكلما ... مضى نفَسٌ انتقصتَ به جزءا

✪ فيا إخوتى في الله ! اغتنموا الثواني والدقائق والأنفاس المعدودة الباقية لكم ـ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ـ وقد وهبها اللهُ لكم ليبلوكم أيكم أحسن عملا ، ولا تسوفوا في ذلك ، وقد ورد الحديث في أهمية الأيام والليالي والساعات والثواني ، وكذلك وردت الأحاديث في أهمية الصلاة أفضل العبادات أذكر بعضها :

✪ فعن عبيد بن خالد رضي الله عنه أن النبي ﷺ آخى بين رجلين ، فقتل أحدهما في سبيل الله ، ثم مات الآخر بعده بجمعة - أي أسبوع - أو نحوها ، فصلوا عليه ، فقال النبي ﷺ : «ما قلتم ؟» قالوا : دَعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويُلحقه بصاحبه ، فقال النبي ﷺ : «فأين صلاتُه بعد صلاته ، وعمله بعد عمله ، أو قال : صيامه بعد صيامه لما بينهما أبعدُ مما بين السماء والأرض» رواه أبو داود والنسائي كما في المشكاة باب استحباب المال والعمر للطاعة .

✪ وعن عبدالله بن شداد قال : إن نفراً من بني عذرة ثلاثة أتوا النبي ﷺ فأسلموا ، قال رسول الله ﷺ : «من يكفنيهم؟» - أي من يكفني مؤنتهم - قال طلحةُ : أنا ، فكانوا عنده ، فبعث النبي ﷺ بعثاً ، فخرج فيه أحدهم ، فاستشهد ، ثم بعث بعثاً ، فخرج فيه الآخر ، فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال : قال طلحة : فرأيت هؤلاء الثلاثة في الجنة : ورأيت الميت على فراشهم أمامَهم ، والذي استُشهد آخراً يليه - أي الميت - وأولهم يليه - أي الذي استشهد آخراً - فدخَلني من ذلك - أي تعجبتُ - فذكرتُ للنبي ﷺ ذلك ، فقال : «وما أنكرتَ من ذلك - أي لا تنكر شيئاً من ذلك - ليس أحد

أفضل عند الله من مؤمن يُعَمّرُ في الإسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله» رواه الإمام أحمد كما في المشكاة «باب استحباب المال والعمر للطاعة».

✪ قوله ﷺ : «**لتسبيحه وتكبيره وتهليله**» : ونحو ذلك من سائر عباداته القولية والفعلية ، ولفظ الجامع رواية عن أحمد : «لتكبيره وتحميده وتسبيحه» كما في المرقاة شرح المشكاة .

✪ قال أبو طلحة : هذا التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد لا يأخذ منك إلا ثواني ودقائق عند التكلم بها ، فبسبب هذه التسبيحات والتكبيرات بلغ الرجل درجة لم يبلغها الشهيد كما يدل عليه الحديث المذكور ، فعلم من ذلك أن الثواني والدقائق لها قيمة عندالله سبحانه ، فاغتنموها أيها الناس اهـ

✪وقال في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٢٩٧ : فيا أخي لا تضيع أيامك ، فإن أيامك رأس مالك ، وإنك ما دمت قابضاً على رأس مالك ، فإنك قادر على طلب الربح ، فاجتهد في تحصيله بالتوغل في الطاعات والعبادات ، وإحياء سنة رسوله ﷺ قبل الموت والفوت ، فإن الموتى يتمنون أن يؤذن لهم بأن يصلوا ركعتين ، أو يقولوا مرة لا إله إلا الله ، أو يسبحوا مرة فلا يؤذن لهم ، ويتعجبون من الأحياء كيف يضيعون أيامهم في الغفلة ؟! وكما قيل : «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا» فتميّز المنافق من المخلص ، كما يكون في الدنيا بالأقوال والأفعال ، كذلك يكون في الآخرة ببياض وجه هذا وسواد وجه ذلك كما قال تعالى : ﴿يوم تبيضُّ وجوه وتسود وجوه﴾ جعلنا الله ممن تبيضُّ وجوههم يوم القيامة . آمين . انتهى .

فعليك يا أخي الكريم : أن تشغل نفسك في تقوية الإيمان والأعمال الصالحة على كل حين لئلا تزداد حسرتك وندامتك وحزنك يوم يعض الظالم على يديه ويقول : يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد أضلّني عن الذكر بعد إذا جاءني وكان ا لشيطان للإنسان خذولا﴾ الفرقان : ٢٨ / ٢٩ .

✪**حكاية عجيبة** : قال أبو طلحة : حكى لي شيخ (قد أصابه الكبر) مرة حكاية لزميله الشاعر فقال : كان لي زميل وصديق ، وما رأيته قط في حياته يعمل عملاً صالحاً أو يصلي الصلاة ، وكان يقرّ أمامي بهذا الكسل والغفلة والبعد عن الأعمال الصالحة ، فلما حضره الموت أنشد بيتين فقال في البيت الأول

وهو يعرق جبينه من شدة الموت ويخاطب أهله في اللغة الأوردية قائلاً :

پسینہ موت کا ماتھے پہ آیا آئینہ لاؤ
ہم زندگی کی آخری تصویر دیکھ لیں

✪معناه والله أعلم : عرقُ الموت قد ظهر على جبيني وناصيتي ، فأحضِروا لي المرآة يا أهل بيتي ! كي أنظر إلى صورتي في اللحظات الأخيرة من حياتي .

✪ثم بعد ذلك لما رأى ما رأى أمام عينيه وتذكر حوادث الحياة تأوه وأنشد باللغة الأوردية فقال :

آہ دیکھا ہی نہ تھا اس دنیا میں اعمال کا دفتر نظروں سے
افسوس مری اب آنکھ کھلی جب روح نے تن کو چھوڑ دیا

✪معناه والله أعلم : «آه ! يا أسفى على عمري الذي ضاع ولم أسجل في صحيفة أعمالي شيئاً من الأعمال الصالحة ، ها أنا ذا قد انتبهت من النوم ، ولكن يا للأسف ! فارق الروح الجسد ولا ت حين مندم» فأتاه آت وذاق الموت بعد إقراره هذا .

✪ كأنه يقول : الآن حينما تنفصل الروح من الجسد عرفتُ أن هذه الحياة كانت لغرض خاص ولأعمال خاصة ، وقد كنتُ في غفلة من هذا وما أعددت للآخرة شيئا ، وهذا كما قال تعالى : ﴿لَقدْ كُنْتَ فيْ غَفْلةٍ مِنْ هَذا فَكشَفْنا عَنْكَ غِطاءَك فَبَصَرُكَ اليومَ حَدِيدْ﴾ . ق : ٢٢ اهـ

✪ قيل : إنها تُعرض على الإنسان في الدار الآخرة ساعات أيامه ولياليه في هيئة الخزائن كل يوم وليلة أربع وعشرون خزانة بعدد ساعاتها ، فيرى الساعة التي عمل فيها بطاعة الله خزانة مملوءة نوراً فيفرح بذلك فرحا شديدا ، والتي عمل فيها بمعصية الله مملوءة ظلمة .

✪ والتي لم يعمل فيها بطاعة الله ولا معصية يجدها فارغة لا شيء فيها . فيَعظُمُ ندمه وحسرته إذا نظر إلى الفارغة ، ويتمنى لو ملأها بذكر الله جل وعلا قال تعالى : ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ آل عمران : ٣٠ .

✪ وفي رواية ذكرها ابن كثير ٣ / ٨٨ مفسرا لقوله تعالي : ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ الكهف : ٤٩ . وقال :

وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين ، نزلنا قفزاً من الأرض ليس فيه شيء ، فقال النبي ﷺ : «اجمعوا من وجد عودا فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به» قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً ، فقال النبي ﷺ : «أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه» اهـ .

✪ **وأما التي يجدها مملوءة ظلمة** فلا تسأل عن عظم حسرته وحزنه وندامته. فلو قضى عليه أن يموت عند النظر إليها من الأسف والحسرة لمات غير أن لا موت في الآخرة . ●وقال تعالى ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضِيَ الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾ مريم : ٣٩ .

ففكر يا أخي واعمل عملا صالحا ما دمت في قيد الحياة في دار الاختيار لم تطو صحيفتك وإلا فاعلم أن :

الزمـــان كالمـــرأة الحبلىٰ ... ســـوف ترى ما تضـــع

وقال الشاعر :

سوف ترى إذا انكشف الغبار ... أفرس تحت رجلك أم حمار

وقال تعالى ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ الشعراء : ٢٢٧ .

وقال تعالى : ﴿سيعلمون غداً من الكذاب الأشرُ﴾ القمر : ٢٦ .

● فالبدار البدار فيما ينفعك يا أخي : ويرفع قدرك عندالله ، وإياك والتسويف فإنه شر ، والإنسان معرض للآفات والشواغل الكثيرة .

وقال ابن الجوزي رحمه الله : هذا العمر اليسير يشترى به الخلود الدائم في فراديس الجنان ، والبقاء الذي لا تنقطع كبقاء الرحمن ، ومن فرط في العمر في الخسران ، فياخيبة ! المفرط الحيران ، فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره ، وأن ينظر لنفسه في أمره ، فيغتنم ما يفوت استدراكه وربما حصل بتضييعه هلاكه اهـ

●●●● وهذا الشاعر ينبهنا ونفسه على الاستعداد للآخرة ويقول :

محمد ما أعددتَ للقبر والبلىٰ وللملكين الواقفين على القبر
وأنت مصر لا تراجع توبة ولا ترعوى عما يذم من الأمر
سيأتيك يوم لا تحاول دفعه فقدم له زاداً إلى البعث والنشر .

✪قال د / عبدالكريم زيدان في «أصول الدعوة» ص ٤٠٨ : [ومن جهل الإنسان العاصي : أن يتعب كثيراً ويترك لذائذ كثيرة في سبيل ظفره بربح آجل في الدنيا ، ولو عقل لفعل للآخرة ما يفعله لنوال هذا الربح .

✪ ألا ترى الطالب يحبس نفسه في بيته يقرأ ويدرس أياماً وأسابيع لينجح في الامتحان وإن فاتته بعض اللذات . والتاجر يركب الأخطار ويفارق أهله ويقطع الفيافي والقفار ليربح شيئاً من المال . فلماذا لا يعمل للآخرة كما يعمل في هذه الأحوال .

✪ ثم من جهل الإنسان العاصي : أنه إذا سمع قول طبيب يخبره أنه إذا شرب كذا أو أكل كذا ، مات أو كان على خطر شديد ، فإنه يتبع نصيحة الطبيب ويفطم نفسه مما نهاه عنه ، مع أن قول الطبيب يحتمل الخطأ . بينما ما أخبرنا به الرسول ﷺ من وعيد الله وعذابه لمن تخطى حدوده ، هو خير صدق ويقين قطعاً فلما لا يأخذ بقول الرسول ﷺ ويأخذ بقول الطبيب لو لا جهله وجهالته ؟ للأسف ! وما قدروا الله حق قدره ، وما قدروا نبيه حق قدره . (ﷺ) .

✪ومن جهل الإنسان العاصي : اتكاله على عفو الله ورحمته ، ونسي أن رحمة الله قريب من المحسنين ، وأن العارفين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أن لا يقبل منهم ، وأن الراجي حقاً من قام بالأسباب وانتظر رحمة العليم العلام ، كالذي يحرث الأرض ويلقي البذر ويقوم بالسقي ويتعهد الزرع ويرجو أن يحفظ الله زرعه ويجنبه الآفات . أما الأحمق المغرور فهو الذي يترك أرضه تملؤها الأشواك والأدغال ولا يلقى فيها بذراً ويرجو أن ينبتها الله له]. انتهى .

كذلك في الدنيا تعيش البهائم

✪وذكر القرطبي رحمه الله : ١٣ / ٩٤ مفسرا لقوله تعالى : ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين ۝ ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ۝ ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعُون﴾

الشعراء : ٢٠٥-٢٠٧ ، والتقدير : ما أغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه .

✪ وعن الزهري : إن عمر بن عبدالعزيز كان إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ : ﴿ أفرأيت إن متعناهم سنين • ثم جاءهم ما كانوا يوعدون • ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ ثم يبكي ويقول :

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلة ... وليلك نوم والرّدى لك لازم
فلا أنتَ في الإيقاظ يقظان حازمٌ ... ولا أنت في النوّام ناج فسالمُ
تُسرُّ بما يَفْنَى وتفرح بالمنى ... كما سُرَّ باللذات في النوم حالم
وتسعى إلى ما سوف تكره غبّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قال ابن القيم رحمه الله في «الداء والدواء ص : ١٩١ » :

✪ فأي عقوبة أعظم من عقوبة مَنْ أهمل نفسه وضيَّعها ، ونسى مصالحها وداءها ودواءها ، وأسباب سعادتها وفلاحها وصلاحها وحياتها الأبدية في النعيم المقيم ؟ • ومن تأمل هذا الموضوع تبيّن له أن أكثر هذا الخلق قد نسوا أنفسهم حقيقة وضيعوها وأضاعوا حظها من الله ، وباعوها رخيصة بثمنٍ بخس بيع الغبن وإنما يظهر لهم غداً عند الموت ، ويظهر هذا كل الظهور يوم التغابن - هو يوم القيامة - يوم يظهر للعبد أنه غبن في العقد الذي عقده لنفسه في هذه الدار ، والتجارة التي اتَّجر فيها لمعاده ، فإن كل أحد يتَّجر في هذه الدنيا لآخرته .

فالخاسرون الذين يعتقدون أنهم أهل الربح والكسب اشتروا الحياة الدنيا وحظهم فيها ، ولذاتهم بالآخرة وحظهم فيها ، فأذهبوا طيباتهم في حياتهم الدنيا ، واستمتعوا بها ، ورضوا بها ، واطمأنوا إليها ، وكان سعيهم لتحصيلها فباعوا واشتروا واتجروا وباعوا آجلاً بعاجل ، ونسيئة بنقد ، وغائباً بناجز - أي بحاضر - وقالوا : هذا هو الحزم ، ويقول أحدهم : **خُذْ ما تَراه ودَعْ شَيئًا سمعتَ به**

✪ وكيف أبيع حاضراً نقداً مشاهداً في هذه الدار بغائب نسيئة في دار أخرى غيرها ؟ وينضم إلى ذلك ضعف الإيمان ، وقوة داعي الشهوة ، ومحبة العاجلة والتشبه ببني الجنس ، فأكثر الخلق في هذه التجارة الخاسرة التي قال الله تعالى في أهلها : ﴿ أولئك الذين اشتروُا الحياةَ الدنيا بالآخرة ، فلا يخفَّفُ عنهم العذاب ، ولا هم يُنصرون ﴾ البقرة : ٨٦ .

وقال فيهم : ﴿فما ربحتْ تِجارتُهم وما كانوا مهتدين﴾ البقرة : ١٦ ، (وذلك لأنهم خسروا سعادة الدارين) . فإذا كان يوم التغابن ظهر لهم الغبن في هذه التجارة ، فتنقط عليها النفوس حسرات .

✪وأما الرابحون فإنهم باعوا فانياً بباق ، وخسيساً بنفيس ، وحقيراً بعظيم وقالوا : ما مقدار هذه الدنيا من أولها إلى آخرها ، حتى نبيع حظنا من الله تعالى والدار الآخرة بها ؟ فكيف بما ينال العبد منها في هذا الزمن القصير الذي هو في الحقيقة كغفوة حلمٍ ، لا نسبة له إلى دار القرار ألبتة ، قال تعالى : ﴿ويوم يَحشرُهُم كأن لم يلبثُوا إلا ساعةً من النهارِ يتعارفونَ بينهم﴾ (يونس : ٤٥) .

وقال تعالى : ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها • فيمَ أنت من ذِكراها • إلى ربك منتهاها • إنما أنت منذرُ من يخشاها • كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشيةً أو ضُحاهاً (النازعات : ٤٢-٤٦) .

وقال تعالى : ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعةً من نهارٍ بلاغ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

وقال تعالى : ﴿كم لبثتُم في الأرض عدد سنين • قالوا لبثنا يوماً أو بعضَ يومٍ ، فاسْألِ العادِّينَ • قال إن لبثتُم إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون﴾ (المؤمنون : ١١٢-١١٤) .

وقال تعالى : ﴿يوم يُنفخُ في الصُّور ونَحْشُرُ المجرمين يومئذٍ زُرْقاً • يتخافَتُونَ بينهم إن لبثتُم إلا عَشراً • نحن أعلم بما يقولون ، إذ يقول أمثَلُهُمْ طريقةً إن لبثتُمْ إلا يوماً﴾ (طه : ١٠٢-١٠٤) .

فهذه حقيقة الدنيا عند موافاة يوم القيامة ، فلما علموا لبثهم فيها ، وأن لهم داراً غير هذه الدار ، هي دار الحيوان ودار البقاء ، رأوا من أعظم الغبن بيع دار البقاء بدار الفناء ، فاتجروا تجارة الأكياس ، ولم يغتروا بتجارة السفهاء من الناس ، فظهر لهم يوم التغابن ربح تجارتهم ومقدار ما اشتروا ، وكل أحد في هذه الدار الدنيا بائع مشتر متجر ، و«كل الناسِ يغدو فبائعٌ نفسَه ، فَمُعتِقُها أو مُوبِقُها» (رواه مسلم رقم (٢٢٣) في الطهارة ، باب فضل الوضوء ، والترمذي

رقم (٣٥١٧) في الدعوات ، باب ٨٦ ، وابن ماجه رقم (٢٨٠) في الطهارة وسننها باب الوضوء شطر الإيمان ، وأحمد في المسند (٥ / ٣٤٢ و ٢٤٣) .

﴿ إن اللهَ اشترىٰ من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم بأنّ لهم الجنَّة ، يُقاتلون في سبيل الله ، فيَقْتُلُون ويُقْتَلُونَ ، وَعْداً عليهِ حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبْشِروا ببيعكم الذي بايعتُم به ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ (التوبة : ١١١) .

فهذا أول نقد من ثمن هذه التجارة ، فتاجروا أيها المفلسون ، ويا من لا يقدر على هذا الثمن هنا ثمن آخر : فإن كنت من أهل هذه التجارة فأعط هذا الثمن . ﴿ التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون ، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشِّر المؤمنين ﴾ (التوبة : ١١٢) .

✪ ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ● تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (الصف : ١٠-١١) . **انتهى ماذكره ابن القيم رحمه الله .**

قوله : ﴿ يتخافتون ﴾ أي يتسارُّون ويتهامسون . وقوله : ﴿ أمثلهم طريقة ﴾ : أي أعدلهم وأفضلهم رأياً ومذهباً . قوله : ﴿ السائحون ﴾ : أي الغزاة المجاهدون أو الصائمون . قوله : ﴿ لحدود الله ﴾ : أي لأوامره ونواهيه .

[فإذا قام العبد بفرائض الله تعالى وانتهى إلى ما أراد الله منه كان من الحافظين لحدود الله ✪ **كما روي عن خلف بن أيوب** أنه أمر امرأته أن تمسك عن إرضاع ولده في بعض الليل ، وقال : قد تمت له السنتان ، فقيل له : لو تركتها حتى ترضعه هذه الليلة ؟ قال : فأين قوله تعالى : ﴿ والحافظون لحدود الله ﴾ التوبة : ١١٢] (مابين القوسين من تفسير تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢ / ١٠٩ .

✪ فالمقصود أن إضاعة الوقت ورأس المال (العمر) خسارة لا يعدلها خسارة ، فإذا لم تفهم الآن فعند الموت يأتيك الخبر ، ويظهر هذا كل الظهور يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . انتبه .

وقد قيل : **إضاعة الوقت أشـد من الموت ، لأن إضاعة الوقت تقطع عن الله والدار الآخرة ، والموت يقطع عن الدنيا وأهلها .**

و عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ» (رواه البخاري كما في المشكاة كتاب الرقاق)

قوله : «الصحة والفراغ» ذكرصاحب المرقاة : ٩ / ٣٤٦ وقال : أي صحة البدن والقوة الكسبية وفراغ الخاطر بحصول الأمن ووصول كفايته الأمنية ، والمعنى : لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثير من الناس حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم . قال تعالى : ﴿ذلك يوم التغابن﴾ التغابن : ٩ .

وقال صلى الله عليه وسلم : «ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها» .

وفي حاشية السيوطي رحمه الله قال العلماء معناه : إن الإنسان لا يتفرغ للطاعة إلا إذا كان مكفيا صحيح البدن فقد يكون مستغنيا ولا يكون صحيحاً ، وقد يكون صحيحاً ولا يكون مستغنيا فلا يكون متفرغاً للعلم والعمل لشغله بالكسب ، فمن حصل له الأمران وكسل عن الطاعة فهو المغبون أي الخاسر في التجارة مأخون من الغبن في البيع اهـ .

✪ ويمكن أن يكون الغبن كناية عن فساد حاله وضياع ماله كما قال بعضهم :

إن الشباب والفراغ والجـدة   مفسدة للمرء أي مفسـدة

وقال ابن الفارض :

على نفسه فليبك من ضاع عمره   وليس له فيها نصيب ولا سهم اهـ .

✪ اللهم وفقنا للعمل بسنن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وزينها في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان والتشبه بأعداء الإسلام ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم ، فأقرر عيوننا بعبادتك ، وتطبيق سنن حبيبك صلى الله عليه وسلم .آمين .

فصـــــل

فمتى تعمل إذا لم تعمل اليـوم ؟

قال أحدهم :

أيــا ســامعـاً ليـس السَّمــاعُ بنـافـع
إذا أنت لـم تـفـعـل فـمـا أنـتَ سامـعٌ
إذا كـنـــتَ في الدنيا عن الخير عاجزا
فمــا أنـت في يـوم القيـامـة صـانعٌ ؟

✪ أيهـا الأخ الكريم ! إذا كنت في دار العـمل عـاجـزاً عن العـمل مع الصـحـة والفراغ ، فمتى تعمل لنفسك حتى تكون من الفائزين في الدنيا والآخرة ؟

✪ **فـهـل تعـمـل** يوم يكون آخـر يومك من أيام الدنيـا ، وأول يومك من أيام الآخرة ، فتلتقي الشـدة بالشـدة حينمـا تنزع الروح من جسـدك وتكون في حالة الغرغرة فهل تعمل ﴿ إذا بلغتِ التراقيَ ○ وقيل من راق ○ ﴾ أي من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الأهوال عند الاحتضار . . . فلا راق يرقيه فيجيبه .

✪ **فـهـل تعـمـل** حينما تظن ﴿ أنه الفــراق ○ والتَفَّتِ الساقُ بالساق ○ إلى ربك يومئذ المساق ○ ﴾ وأيقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ، أن ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ، ونعـيـمهـا التي ضـيَّع العـمـر النفـيس ، في كسب متـاعـهـا الخسـيس . (فـهل يمكن العـمل في هذا اليـوم أيهـا السـامع أو القـاري !!؟ يهديني ويهديك الباري جلت عظمته) . (والآيات المذكورة من سورة القيامة رقم : ٢٦-٣٠) .

✪ قـال المزني : دخلت على الشـافعي في مرض مـوتـه ، فـقلت : كـيف أصـبحتَ ؟ قـال : أصـبحتُ من الدنيـا راحـلاً ، وللإخـوان مفـارقـاً ، ولسـوء عـملي مـلاقيـاً ، ولكأس المنيـة شارباً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدري أرُوحي تـصـيـر إلى الجنة فأهنِّيها ؟ أم إلى النار فأعزِّيها ؟ ثم أنشد يقول :

ولما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي
جعلتُ رجائي نحو عفوك سُلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفْوك ربي كان عفوُك أعظما

✪ أخي في الله ! هذا حال الإمام الشافعي رحمه الله عند الاحتضار ، وقد كان دائماً في الاستعداد للآخرة كما قيل : **إنه - رحمه الله - سئل ، مالَكَ تُدمن إمساك العصا ، ولستَ بضعيف ؟ فقال : لأذكر أني مسافر من الدنيا إلى الآخرة.**

✪ **روي أن واحداً من الصلحاء كان يختم كل ليلة** ، ويجتهد في العبادة ، فقيل له : إنك تتعب نفسك ، وتوقعها في المشقة ، فقال : كم عمر الدنيا ؟ قال : سبعة الآف سنة ، فقال : وكم مقدار يوم القيامة ؟ فقيل : خمسون ألف سنة ، فقال : لو عمِّر المرء بعمر الدنيا ، لحُقّ له أن يجتهد في العبادة ، لهذا اليوم الطويل ، فإنه أسهل بالنسبة إليه ، وفقنا الله لطاعته ومرضاته وكتبنا في زمرة عباده المرابطين المجاهدين إنه سميع الدعاء .

✪ فانظر كيف أنت في ميدان العمل والاستعداد للآخرة ؟ ولا تسوف ، لأن السفر طويل ، والزاد قليل ، وحر النار شديد ، وإن بطش ربك لشديد ، نعوذ بالله من خزي يوم يتمنى الكافر ويقول : ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ النبأ : ٤٠.

✪ **فهل تعمل** لنفسك ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ○ وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ القارعة : ٤-٥ . وهذا غير ممكن أيضاً .

✪ **فهل تعمل** لنفسك عملا ﴿يوم يفر المرء من أخيه ○ وأمه وأبيه ○ وصاحبته وبنيه ○ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ ٣٤ - ٣٧ .كلا ، ثم كلا.

✪ **فهل تعمل** عملاً ﴿يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتُكوىٰ بها جباهُهم وجنوبُهم وظهورهُم هذا ما كنزتم لأنفسكم﴾ ثم يقال : ﴿فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ التوبة ٣٥ .لا والله ! لا تستطيع العمل في ذلك اليوم .

✪ **فهل تعمل** عملا يوم يقول المجرمون : ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون﴾ السجدة : ١٢ . فلا يمكن الرجوع أبداً ،

فدارهم النار إلى الأبد، لا محيد لهم عنها ، ولا محيص لهم منها ، نعوذ بالله وكلماته التامة من خزي يوم القيامة .

✪ **فهل تعمل** عملا عندما يقول من أفسد حياته بقضاء الشهوات ولم يعمل قط للدار الآخرة فيتمنىٰ ويقول : ﴿ ربِّ ارجعون ۝ لعلِّي أعمل صالحا فيما تركتُ ﴾ المؤمنون : ١٠٠ ، فلا يمكن الرجوع إلى دار العمل للعمل أيها الناس بل ﴿ هذا يومُ لا يَنطِقُون ۝ ولا يؤذَنُ لهم فيَعتَذِرُون ۝ ﴾ المرسلات : ٣٥-٣٦ .

✪ ﴿ كلا إنها كلمة هو قائلها ﴾ المؤمنون : ١٠٠ . **قال قتادة : والله ما تمنى أ ن يرجع إلى أهل ، ولا إلى عشيرة ، ولا بأن يجمع الدنيا ويقضي الشهوات ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله عز وجل ، فرحم الله امرأ عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب إلى النار.** (ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٣ / ٢٥٦) .

✪ **فهل تعمل** أيها الشاب أوالشيخ يوم ﴿ يصطرخون فيها ﴾ أي يستغيثون في النار بالصوت العالي فيقولون : ﴿ ربنا أخرجنا ﴾ من جهنم وردّنا إلى الدنيا ﴿ نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ﴾ فيقال لهم : ﴿ أولم نعمرّكم ما يتذكّر فيه من تذكّر ﴾ أي أوَ ما عشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم ؟ ومقدار العمر هو : سبع عشرة سنة ، ثماني عشرة سنة ، وعشرين سنة ، وأربعين سنة ، وستين سنة ، وسبعين سنة على اختلاف الروايات في ذلك ، ذكره ابن كثير وغيره .

وكذلك يقال لمن ضاع عمره في الشهوات وفي جمع حطام الدنيا ﴿ فجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال . نعوذ بالله من ذلك . وقال أحدهم :

إن لله عبـــادا فطـــنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتَنا
نظروا فيها فلما علِمُوا
أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لُجةً واتخذوا
صالحَ الأعمال فيها سُفنا

✪وعن أنس عن النبي ﷺ قال : «يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج ، (أي ولد الضأن ، أراد بذلك هوانه وذله) فيوقف بين يدي الله فيقول له : أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فما صنعت ؟ فيقول : يارب ! جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به كله ، فيقول له : أرني ما قدمت ، فيقول : رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فارجعني آتك به كله ، فإذا عبد لم يقدم خيراً فيمض به إلى النار» . (رواه الترمذي وضعفه - وإن كان صحيحا - قاله صاحب المرقاة ، كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

✪ وذكر صاحب المرقاة شارحاً لهذا الحديث : ٩ / ٣٧٥ فقال : قوله : «أعطيتك» أي الحياة والحواس والصحة والعافية «وخولتك» أي جعلتك ذا خول من الخدم والحشم والمال والجاه وأمثالها «وأنعمتُ عليك» أي بإنزال الكتاب وبإرسال الرسول ﷺ وغير ذلك . «فإذا عبد لم يقدم خيرا» : أي فيما أعطي ولم يمتثل ما أمر به ، ولم يتعظ ما وعظ به من قوله تعالى : ﴿ولتنظر نفس ما قدَّمت لغد﴾ الحشر : ١٨ ، ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عندالله﴾ البقرة : ١١٠ ، «فيمضى به إلى النار» أي فيذهب به إلى النار .

✪قال الطيبي رحمه الله : فظهر مما حكي عن هذا الرجل أنه كان كعبد أعطاه سيده رأس مال ليتجر به ويربح ، فلم يمتثل أمر سيده فأتلف رأس ماله بأن وضعه في غيرموضعه واتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه فإذا هو عبد خائب خاسر قال تعالى : ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾ البقرة : ١٦ ، فما أحسن موقع العبد وذكره في هذا المقام .

✪ قال الشيخ أبو حامد رحمه الله : اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة ، ولكن النعمة الحقيقية هي السعادة الأخروية ، وتسمية ما عداها غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التي لا يعبر عليها إلى الآخرة فإن ذلك غلط محض ، وكل سبب يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط ، فإن تسميته نعمة صحيح وصدق لأجل أنه يفضى إلى النعمة الحقيقية . اهـ ماذكره في المرقاة .

✪ **فهل تعمل** عملا يوم ﴿تلفحُ وجوهَهُمُ النارُ وهم فيها كالحون﴾

المؤمنون : ١٠٤ ، أي تسيل لحومهم على أعقابهم فيقال : ﴿ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم بها تكذبون ○ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ○ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ○ قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ○﴾ المؤمنون : ١٠٤-١٠٨ .

قوله تعالى : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ أي لا تعودوا إلى سؤالكم هذا فإنه لا جواب لكم عندي .

✪ فعن عبدالله بن عمرو قال : إن أهل جهنم يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم إنكم ماكثون ، قال هانت دعوتهم والله على مالك ورب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون : ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ○ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال : فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين فيرد عليهم ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة واحدة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ، قال : فشبهت أصواتهم بأصوات الحمير أولها زفير وآخرها شهيق . ذكره ابن كثير مفسراً لقوله تعالى المذكور : ٣ / ٢٥٩ .

✪ **وهل تعمل** عملا يوم يقال : ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ يسين : ٥٩ . أو يقال عندما يساقون إلى النار : ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ الصافات : ٢٤ ، عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم . قاله الكلبي .

✪ **وهل تعمل** عملا يوم يقول القائل : ﴿رب لمَ حشرتني أعمى وقد كنتُ بصيراً﴾ طه : ٢٥ .

✪ **وهل تعمل** عملا ﴿وقد أحاط بهم﴾ أي أهل النار ﴿سرادقها﴾ فسطاطها وهو الخيمة ، شبه به ما يحيط بهم من النار ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل﴾ كالحديد المذاب على أسلوب التهكم ﴿يشوي الوجوه﴾ إذا قدم ليشرب من فرط حرارته ... فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿بئس الشراب وساءت﴾ النار ﴿مرتفقا﴾ أي متكئاً ومنزلا .

فالنساء كالرجال في طاعة أوامر الله وإجتناب نواهيه

✪ **هـنا أود أن أذكر واجبات المرأة تـجاه حياتهـا** وأنها كالرجل في طاعة أوامر الله واجـتناب نواهيـه ، وكيف لا وهن شقائق الرجال ، وهذا كما ذكره صاحب أصول الدعوة في كتابه ص ١٢٦ : فقال :

[**القاعدة في واجبات المرأة كالقاعدة في حقوقها** ، فهي فيها كالرجل إلا فيما يختلفان فيه مما هو مناط التكليف ، وأساس هذه القاعدة أنها إنسان ، ولها أهلية وجوب أي صلاحية اكتساب الحقوق وتحمل الواجبات ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ﴾ النساء : ١-٢ ، فالنساء كالرجال مطالبات بتقوى الله أي بإطاعة أوامره واجتناب نواهيه ، ويترتب على هذه القاعدة ما يأتي :

✪ (أ) أنها كالرجل مخاطبة بالتكاليف الشرعية في باب الاعتقاد والعبادات والمعاملات ، إلا بما تقتضيه طبيعتها كما هو معروف ، أو بسبب عدم قدرتها على هذا الواجب كالجهاد يكلف به الرجل لا المرأة إلا إذا رغبت في الخروج مع المجاهدين فلا تمنع ، وتقوم بما تقدر عليه من أمور الجهاد كمداواة الجرحى واعداد الطعام ونحو ذلك . وقد ورد في القرآن الكريم أن النساء المؤمنات بايعن الرسول الكريم ﷺ كما بايعه الرجال قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم ﴾ المتحنة : ١٢ ، مما يدل على أن النساء مكلفات بما كلف به الرجال من أمور الدين .

✪ (ب) وترتب على مخاطبة المرأة بالتكاليف الشرعية أنها مجزية على عملها وقيامها بما كلفت به ، قال تعالى : ﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ المؤمنون : ١٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو

أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ النحل : ٩٧ .

✪ (ج) إن الخطابات في القرآن التي تخاطب المؤمنين وتكلفهم بالتكليفات الشرعية يدخل فيها النساء إلا إذا قام الدليل على خلاف ذلك ، فقوله تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً ﴾ النساء : ١٢٣ يشمل الرجال والنساء .

✪ وقد يذكر القرآن الكريم النساء مع الرجال فيما يخاطبهم به من تكليفات أو فيما يمدحهم عليه ، قال تعالى : ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ الأحزاب : ٣٥ .

✪ (د) وعلى المرأة طاعة زوجها في المعروف ، ووفائها بحقه عليها ، جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» (رواه الترمذي كما في المشكاة رقم الحديث : ٣٢٥٥) .

وقيل لرسول الله ﷺ : أي النساء خير ؟ قال : «التي تسُره إذا نظر ، وتطيعه إذا أمرَ ولا تخالفه في نفسها و لا مالها بما يكره» . (رواه النسائي والبيهقي في شعب الإيمان وإسناده حسن كما في المشكاة رقم الحديث : ٣٢٧٢)

✪ (هـ) والمرأة مسئولة عن البيت وشئونه ومؤتمنة عليه ، فعليها القيام بهذه الأمانة والخروج من عهدة هذه المسئولية ، جاء في الحديث الشريف : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها]. انتهى .

✪ وقال العلماء : كما أن من واجباتها إبداء النصح بالكيفية المستطاعة والملائمة لطبيعتها مثل الكتابة والتأليف وعقد الاجتماعات للنساء وتعليمهن وإشاعة الأخلاق الفاضلة فيهن ، وحثهن على القيام بواجبهن ونحو ذلك ،

وبنَهْيِهِنَّ عن المنكرات : **قال تعالى** : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة : ٧١ . اهـ

✪**فعلى العاقل المؤمن والمؤمنة** : اكتساب الخيرات والأعمال التي هي من الأسباب المعدة للجنة ، و(اجتناب الظلم والمعاصي ، والتدارك بالاستغفار والندامة ، والاشتغال بالتوحيد والأذكار ، وإلا فالسفر بعيد ، والزاد قليل ، وحر النار شديد ، وماؤها مُهْلٌ وصديد ، وقيدها حديد ، وفي الحديث : «إن أدنى أهل النار عذاباً من ينعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعله» .

✪**حكاية عجيبة** : حكي عن مالك بن دينار أنه قال : مررتُ على صبي فقلت : يا نفس ! كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسلِّم على الصغار والكبار ، فسلمت ، فقال : وعليك السلام ورحمة الله يا مالك !

فقلت : ماالفرق بين النفس والعقل ؟

قال : نفسك التي منعتك عن السلام ، وعقلك الذي حرَّضك عليه .

فقلت : لم تلعب بالتراب ؟

فقال : لأنا خُلقنا منه ، ونعود إليه .

فقلت : ولم الضحك والبكاء ؟

قال : إذا ذكرت عذاب ربي أبكي ، وإذا ذكرتُ رحمته أضحك .

فقلت : يا ولدي ! أي ذنب لك حتى تبكي ؟ أي فإنك لستَ بمكلف .

قال : لا تقل هذا ، فإني رأيت أمي لم توقد الحطب الكبار إلا بالصغار ، فعليك بالاعتبار) . (مابين القوسين من «تنوير الأذهان» ٢ / ٣٨١-٣٨٢) .

✪وقال في «تنوير الأذهان ٤ / ٣٠٧» : [فالدنيا موسم التجارة ، والعمر مدتها والأعضاء والقوى رأس المال ، والعبد هو المشتري من وجه والبائع من وجه فمن صرف رأس ماله إلى المنافع الدنيوية التي تنقطع عند الموت فتجارته دنيوية كاسدة خاسرة ، وإن كان بتحصيل علم ديني أو كسب عمل صالح فضلاً عن غيرهما ، فإنما الأعمال بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى . ومن صرفه إلى المقاصد الأخروية التي لا تنقطع أبداً فتجارته رائجة رابحة بأن يقال : ﴿فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ التوبة : ١١١] انتهى .

✪قلت : ويقال عند الموت من جهة الملائكة : ﴿ألاَّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ○ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ○ نزلا من غفور رحيم ○﴾ حم السجدة : رقم الآية : ٣٠-٣٢ .

✪ قال ابن كثير رحمه الله ٤ / ١٠٠ : « ... فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه ، فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ، ولما كان يعمل في الدنيا ». ✪وقال زيد بن أسلم : يبشرونه عند موته وقبره وحين يبعث . اهـ ما ذكره ابن كثير رحمه الله تعالى .

✪ جاء في الشعر عن هذين المحلين - أي الجنة والنار - فاختر لنفسك ماشئت منهما أيها القارىء ثم اجتهد فيه فقد قيل :

الجنة الدارُ فاعلَمْ إنْ عملتَ بما
يُرضِي الإلـه وإنْ فرَّطتَ فالنَّارُ
هُما مَحلاَّن ما للنَّاسِ غيرُهُما
فانْظُرْ لنفسكَ ماذا أنتَ تختارُ

✪وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه كان يقول : يا ابن آدم اعرف قدر نفسك فإن الله لما عرف قدرك لم يرض أن يكون لك ثمن غير الجنة . فقال تعالى : ﴿إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ التوبة : ١١١ .

✪ فالله تعلى بمنزلة المشتري ، والمؤمن بمنزلة البائع ، وبدنه وأمواله بمنزلة المبيع الذي هو العمدة في العقد ، والجنة بمنزلة الثمن الذي هو الوسيلة ، وإنما يستحق البائع تسليم الثمن إليه بتسليم المبيع ، وأنشد أبو علي الكوفي :

من يشتري قُبّةً في عدْن عالية
في ظلِّ طوبىٰ رفيعاتٌ مبانيها
دلالُها المصطفىٰ ، واللهُ بائعُا
ممَّن أراد ، وجبريل مُناديها

• نقلناه من تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢ / ١٠٧ بتصرف .

✪ فيا معشر المؤمنين والمسلمين ! سابقوا وسارعوا فالنفس مطية ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، واعملوا لأنفسكم قبل أن يصلَّى عليكم وتحملوا على أعناق الأقارب فتجاوروا جيرانا لم ير مثلهم ، قوموا وانتبهوا ، ثم اعملوا ، فالدين قول وعمل ، والقبر صندوق العمل . وفي ذلك أنشد عبدالله بن عبد نهم رضي الله عنه : .

قال : قولوا وإذا ما قلتم

فاعملوا ، فالدين قول وعمل

فأطعنا وهذا ديننا

ظاهر الصحة ، ما فيه دغل

✪ وكونوا ممن ﴿هدوا إلى الطيّب من القول وهدوا إلى صراط الحميد﴾ الحج : ٢٤ (أي المحمود نفسه أن عاقبته وهو الجنة) .

✪ واعلم أن علامة الاهتداء إلى الطريق القويم : السلوك بقدم العمل الصالح ، وهو ماكان خالصاً لله تعالى ، ومجرد الإيمان وإن كان يمنع المؤمن الخلود في النار ويدخله الجنة ، لكن العمل يزيد نور الإيمان ، وبه يتنور قلب المؤمن .

✪ قال موسى عليه السلام : يا رب ! أيُّ عبادك أعجز ؟ قال : الذي يطلب الجنة بلا عمل ، قال : وأي عبادك أبخل ؟ قال : الذي سأله سائل وهو يقدر على إطعامه ولم يطعمه) ما بين القوسين من «تنوير الأذهان ٣ / ١١» .

✪ **حكاية نفيسة** : حكي أن إبراهيم بن أدهم أراد أن يدخل الحمّام ، فمنعه الحمامي أن يدخله بدون الأجرة ، فبكى إبراهيم وقال : إذا لم يؤذن أن أدخل بيت الشيطان مجاناً ؟ فكيف لي بالدخول في بيت النبيين والصديقين بلا زادٍ ولا عمل يريد كيف بدخول الجنة دار الأنبياء والصدِّيقين ؟ «تنوير الأذهان ٢ / ٢٢٦» .

✪ فـ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ في كل ما تأتون وما تذرون ، فتحرَّزوا عن العصيان بالطاعة ، وتجنّبوا عن الكفران بالشكر ، وتوقوا عن النسيان بالذكر ﴿ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد﴾ أي : أيَّ شيء قدّمت من الأعمال ليوم القيامة ؟ ﴿واتقوا الله إن الله خبيرٌ بما تعملون﴾ أي : عالم بما تعملون من المعاصي فيجزيكم يوم الجزاء عليها .

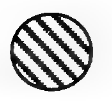
✪ ﴿ولا تكونوا﴾ أيها المؤمنون ﴿كالذين﴾ كاليهود والنصارىٰ ﴿نسوا الله﴾ أي نسوا حقوقه تعالى ، وما قدروه حق قدره ، ولم يراعوا واجب أمورهم ونواهيه حق رعايتها ﴿فأنساهم﴾ بسبب ذلك ﴿أنفسهم﴾ أي : جعلهم ناسين لها فلم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ الكاملون في الفسوق والخروج عن الطاعة .

نقلناه من «تنوير الأذهان ٤ / ٢٧٩» .

ثمر العمل الصالح في الدنيا وفي الآخرة

قال تعالى : ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فلنُحيينَّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل : ٩٧ .

قال ابن كثير رحمه الله ٢ / ٥٨٦ : [هذا وعد من الله تعالى - وهو لا يخلف الميعاد - لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عندالله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا ، وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت»] اهـ . فهل من مجيب ؟



الباب الثالث

باب خاص وهام جداً
لأهل الحرمين خاصة ولغيرهم من الناس عامة
وذلك في الدعوة إلى الله تعالى

وفيه سبعة فصول

الفصـــل الأول

الدعوة إلى الله من أحسن الأقوال وأعظم الأعمال

✪ اعلم أن هذا الباب هام جداً لأهل الحرمين الشريفين خاصة ، ولغيرهم من الناس عامة ، لأن الدعوة بدأت من الحرمين الشريفين ، وأهلهما أولى بإبلاغ الدعوة إلى العالم أجمع ، فلذا أوردت هذا الباب خاصة لهم ، وهو في الحقيقة تكميل للباب السابق . هـذا ونقول :

✪ قال الله تعالى : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت : ٣٣ .

قال القرطبي رحمه الله : ومن أحسن قولا من الداعي إلى الله وطاعته وهو محمد ﷺ ... ثم قال : قال الحسن هذه الآية عامة في كل من دعا إلى الله ، وكذا قال قيس بن أبي حازم قال : نزلت في كل مؤمن .اهـ

✪ **تعالوا يا معشر المؤمنين** : إلى أحسن الأقوال وأعظم الأعمال : وهو عمل دعوة الناس إلى رب الناس :

✪ قد دعا إليه رب الناس ، قال تعالي : ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾ يونس : ٢٥ .

✪ودعا إليه جميع الرسل وسيد الرسل صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالي : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله﴾ النحل : ٣٦ .

✪ودعا إليه أحباء الله ، ودعا إليه أولياء الله ، وهو من أخص أوصاف المؤمنين والمؤمنات ، وفي التنزيل : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة : ٧١ .

✪**فهل للإقتداء والتقليد موضع أرفع من هذا ؟ لا والله ، وألف لا**

✪فعلى ساكني الحرمين خاصة وغيرهم من الناس عامة أن يدعو إخوانهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ وموسم الحج من الفرص العظيمة في ذلك ـ فليساهم كل واحد منا في الدعوة ونشرها حسب استطاعته ولا يسوّف في ذلك . لأنها من أخص أوصاف المؤمنين والمؤمنات . كما تقدم .

موقف النبي ﷺ في الدعوة في الأسواق والمواسم

✪ وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام كان يذهب إلى الأماكن التي تقام في الأسواق مثل : عكاظ ومجنة ، وذي مجاز ، وغيرها ، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله تعالى .

✪ وكان يأتيهم في موسم الحج قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة .

✪ ولم يكتف رسول الله ﷺ بعرض الإسلام على القبائل فحسب ، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً .

✪ وكان ﷺ يرغب جميع الناس بالفلاح : فعن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن أبيه ، قال : أخبرني رجل يقال له : ربيعة بن عباد من بني الديل ، وكان جاهلياً ، قال : رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول : «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه ، أحول ، ذو غديرتين يقول : إنه صابيء كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه ، فذكروا لي نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : هذا عمه أبو لهب . أخرجه أحمد ٤ / ٣٤١ وسنده حسن ، وله شاهد عند ابن حبان برقم ١٦٨٣ (موارد) من حديث طارق بن عبدالله المحاربي والحاكم في المستدرك بإسنادين ، وقال عن الإسناد الأول : صحيح على شرط الشيخين ، رواته كلهم ثقات أثبات ١ / ١٥ .

✪ وقد كانت الأوس والخزرج يحجون كما كانت تحج العرب دون اليهود ، فلما رأى الأنصار أحواله ﷺ ودعوته ، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود ، فأرادوا أن يسبقوهم ، ولكنهم لم يبايعوا النبي ﷺ في هذه السنة ، ورجعوا إلى المدينة . كما في زاد المعاد ٣ / ٤٣-٤٤ ، والبداية والنهاية ٣ / ١٤٩ .

✪ وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة ، عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل ، وبينما الرسول ﷺ يعرض نفسه ، مر بعقبة منَى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب ، فعرض عليهم الإسلام ، فأجابوا دعوته ، ورجعوا إلى

قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ . كما في زاد المعاد ٣ / ٤٥ ، والبداية والنهاية ٣ / ١٤٩ .

✪ ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ١٢ من النبوة ، وكان بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً ، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله ﷺ في العام السابق ، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى ، وأسلموا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة النساء . ينظر زاد المعاد ٣ / ٤٦ وسيرة ابن هشام ٢ / ٣٨ .

كيف تدعو الناس إلى رب الناس؟

✪ إشارة لطيفة أحب أن أوردها في معرض الحديث عن لوعة الحجاج بمكة والمدينة . يقول أحد المؤظفين الذين يعملون في مطار جدة ، وصلتْ طائرة من جنوب شرق آسيا إلى جده ، فما أن هبطت المطار وإذا بإمرأة تنزل من الطائرة وتخر لله تعالى ساجدة على أرض المطار ، فأطالت في سجودها ، وعندما حركوها علموا أنها قد فارقت الحياة وسط دهشة الجميع . فسُئل الزوج عن ذلك فقال : إنها زوجتي وهي تجمع نقوداً منذ ثلاثين سنة ، وكلها أمل أن تحج بيت الله الحرام ، وأن تموت في مكة حرسها الله تعالى ، ولقد من الله عليها بذلك ، ونرجو أن تبعث ملبية يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر إليه .

✪ولا يخفى على أحد أن الحاج (والمعتمر) قد خرج من بيته لأداء فريضة الحج ، وبذل لأجله المال الكثير والجهد البالغ ، ويغترب عن أهله وذويه ، إنه جاء من مكان بعيد ، وقد ساقه الإيمان إلى الحرمين ، وأجلبه حب البيت العتيق ، وحب النبي الشفيق صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يعرف لغتك ، ولا أنت تعرف لغته إلا لغة الإشارات ، يمشي بين الناس بقلب منكسر – والله سبحانه عند المنكسرة قلوبهم – لا يجد من يعينه ولا من ينصره في مهبط الوحي – إلا من يوفقه الله – الذي نزلت فيه آية النصرة و المحبة والإيثار من فوق سبع سماوات فقال ثناءا على أهل الحرمين السابقين : ﴿ والذين تبوّؤ الدار والإيمان من قبلهم يحبون من

هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ... ﴾ الحشر : ٩ .

✪ فإذا لم يجد الحاج والمعتمر هذه النصرة والمحبة والرفق والإيثار من مهبطه ومخزنه فأين يجده ؟ ثم ماذا يحكي عن أهلهما بعد رجوعه إلى بلاده ، وقد سمعنا من الحجاج ما يكدر الخاطر .

✪ وكما لا ينكر أن بعض القائمين بخدمة الحجاج طريقتهم مثالية في التعامل مع الحجاج ومنقطعة النظير ، والناس أجناس وقد قال تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ فاطر : ٢٣ .

✪ فلا بد أن تكون ـ طريقة دعاة الحرمين والمأمورين فيهما بخدمة الحجاج ـ طريقة مثالية ، وطريقة السابقين إلى الخيرات ، ألا وهي طريقة الأنبياء وطريقة سيد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقد ذكرها سبحانه في كتابه قائلا لسيد الداعين والمرسلين صلى الله عليهم وسلم ، وقد زينه سبحانه بأخلاق عظيمة فقال : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ النحل : ١٢٥

✪ قال ابن كثير في تفسيره : ٢ / ٥٩٢ : يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة ... أى من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن ، برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم ﴾ الآية فأمره تعالى بلين الجانب لليهود والنصارى ـ فكيف بالحنيفي وقد قال تعالى : ﴿ رحماء بينهم ﴾ ـ كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام ﴿ فقولا له قولا ليّنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾ انتهى .

✪ وأرشد نبيه ﷺ في موضع آخر في مخاطبته ﷺ الأعداء قائلا : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ○ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ فصلت : ٣٤-٣٥ .

✪ قال القرطبي في تفسير : ١٥ / ٢٣٥ : عن ابن عباس : هو الرجل

يسب الرجل فيقول الآخر : إن كنت صادقا فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك اهـ . فكن من ذوي الحظ العظيم ، ومن طائفة الصابرين . وقد قال تعالى : ﴿ ولَمَن صبر وغفرإن ذلك لَمِن عزم الأمور﴾ الشورى : ٤٣ .

✪ وأرشدنا سبحانه في ميدان الدعوة إلى الله نحو جميع الناس فقال : ﴿ قولوا للناس حسناً﴾ البقرة : ٨٣ ، فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الإسلام الذين يسبون الإسلام أو يسبون الله ، فكيف بالحنيفي المسلم المؤمن الذي يحب الله ورسوله ﷺ .

✪ وقال القرطبي في تفسيره ١٢ / ٨٣ : « ... فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس ليّنا ، ووجهه منبسطا طلقاً مع البر والفاجر ، والسني والمبتدع ، من غير مداهنة ، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يُرضي مذهبه ؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون : ﴿ فقولا له قولا ليناً﴾ طه : ٤٤ .

✪ فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون ؛ والفاجر ليس بأخبث من فرعون فقد أمرهما الله تعالى باللين معه .

✪ وقال طلحة بن عمر : قلت لعطاء : إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة ، وأنا رجل فيّ حدّة فأقول لهم بعض القول الغليظ ؛ فقال : لا تفعل يقول الله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسناً﴾ فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنيفي .. اهـ

✪ وقال القرطبي ١١ / ١٣٣-٣٤ في قوله تعالى : ﴿ فقولا له قولا ليّنا﴾ : (فيه) دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة ، وضمنت له العصمة . ألا تراه قال : ﴿ فقولا له قولا لينا﴾ ، وقال : ﴿ لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى﴾ طه : ٤٦ فكيف بنا فنحن أولى بذلك . فحينئذ يحصل الآمر والناهي على مرغوبه ، ويظفر بمطلوبه ، وهذا واضح .

✪ ثم ذكر القرطبي رحمه الله بعده عن يحيى بن معاذ : ونعم ما ذكر : **هذا رفقك بمن يقول أنا الإله ، فكيف رفقك بمن يقول أنت الإله ؟! اهـ**

✪ وذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى المذكور : ٣ / ١٥٤ : هذه الآية

فيها عبرة عظيمة ، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار ، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ، ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قوله : ﴿ فقولا له قولا لينا ﴾ :

يا من يتحبب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه اهـ

✪ قال صاحب «تنوير الأذهان» مفسرا لقوله تعالى المذكور ٤ / ٤٨٦ :

انظر إلى هذا «الأسلوب الحكيم» في الدعوة إلى الله ، ففرعونُ الطاغيةُ الجبار ، الذي ادّعىٰ الربوبية ، ونازع الله في حكمه ومُلكه ، يؤمر موسى بأن يدعوه برفقٍ ولين ﴿ فقل هل لك إلى أن تزكّى ﴾ ؟! وهو عَرْضٌ بألطف وجوه الاستدعاء والطلب ، ليس فيه غلظة ولا خشونة ، وهذا هو أسلوب الدعوة إلى الله ، وهو الأسلوب الحكيم الذي ينبغي أن يضعه كل داعيةٍ نصب عينيه ، لتثمر دعوته ، وتؤتي أُكُلُها ، وتدخل إلى القلب تلك النصيحة التي يعرضها ، هدانا الله جميعاً إلى سلوك طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . اهـ .

✪**وهناك محاضرة فيما يتعلق بموضوعنا المذكور،** قد ألقاها سماحة الشيخ محمد بن عبدالله السبيل الرئيس العام لشئون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف في افتتاح المركز التوجيهي بمنتزة السودة بمنطقة عسير عرف فيها أهمية ومكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد نشرتها جريدة (الرسالة) السعودية في ١٥ / ٤ / ١٤٢١هـ :

اللين مهم جداً في إنكار المنكر
والمدعو لن يكون أشد طغياناً من فرعون !

قال سماحته في بداية المحاضرة : الواقع أن هذا المجلس فرصة مباركة اجتمعنا فيه بإخواننا في الله الذين نحبهم في الله ويحبوننا فيه نسأل الله عز وجل أن تكون المحبة خالصة لوجهه الكريم ، وأن يجمعنا في دار كرامته ومستقر رحمته كما ضمنا هذا الحفل المبارك .

✪ أيها الإخوة ! هنا نقطتان قبل البدء في عنوان المحاضرة أشير إلى أحدهما : الأول ، إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قوام الدين ، ولا يقوم

الدين إلا به ، متى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصبح المنكر بين الناس مألوفاً ونسي الأمر بالمعروف . فلذلك اهتم القرآن بهذا الموضوع اهتماماً عظيماً وهذه الأمة حازت من الفضل والثناء عليها بقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالله عز وجل يقول : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ الأعراف : ١٩٩ ، لأن من أمر بالمعروف لا بد وأن يكون هناك جاهلون يحاولون ضد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فالله نبهنا لهذا فقال : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ ، لأن الجاهل الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً هذا ليس محل خطاب ولا تستطيع أن تخاطبه لأنه لا يفهم ما تقول ولا يعي ما تتكلم به فهذا الاعراض عنه هو الأولى ﴿ واعرض عن الجاهلين ﴾ .

✪ فالله أخبر أن الأمة المحمدية خلقها وجعلها خير الناس وبيّن هذه الخيرية ما هو سببها فقال عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران : ١١٠ ، فإذا تم الإيمان للعبد واتصف بهذا الوصف وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد اتصف بالخيرية التي وصف الله بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنها خير الناس وخير ما قد سبقها من الأمم لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، فالأمر المعروف والنهي عن المنكر من أهم الأمور وسبب من أسباب جلب الخيرات وكثرة الأرزاق وقلة العداوات وابطاله وتركه سبب لكل شر متى ترك والعياذ بالله ، حصل الوعيد الشديد من الله عز وجل بقوله ﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ﴾ المائدة : ٧٨-٨٩ ، فاللعن والعياذ بالله من أعظم العقوبات ، ولذا ذكر العلماء رحمهم الله معنى اللعن : وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ولذلك إبليس لعنه الله لما أبى واستكبر ولم يمتثل أمر الله بالسجود لآدم فلعنه الله وطرده وأبعده عن رحمته فهذا من أعظم الذنوب والعياذ بالله ، كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى ويشدد النهي في استعمال هذه الكلمة من اللعن والشتم ، ولذلك ورد في الحديث من لعن شخصاً فإن اللعنة تصعد إلى السماء ثم ترجع ، فإذا كان المقول له مستحقاً لها وإلا رجعت إلى صاحبها الذي تكلم بها ، وهذه

عقوبة عظيمة ، والنبي ﷺ كان في غزوة من غزواته وكان إذا غزا ربما يصحبه بعض النساء اللاتي لهن القدرة على العمل والقدرة على معالجة الجرحى وعلى جلب الماء لهم على ما يفيد الغزاة فكانت منهم امرأة راكبة على ناقتها فحصل من الناقة ما حصل فلعنتها والعياذ بالله ، فقال صلى الله عليه وسلم : لا تتبعنا ناقة ملعونة فنزلت عنها وتركتها وسرحتها ، وكل هذا عقوبة على هذا الأمر وهو اللعن ، فأي عقوبة تحل بمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال الله تعالى : ﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسي بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا﴾ المائدة : ٧٨-٨٩ .

والأمر بالمعروف له طرق ووسائل ، ومن طرقه أنه ينبغي أن يكون باللين وبالحكمة ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقصد بذلك هداية الناس وإصلاح من زل عن الطريق ، وأن لا يقصد الآمر والناهي التعالي على الناس ، أو يظهر أن له أمراً أو نهياً ، وعليه أن يقصد بذلك هداية الناس وإصلاحهم وسلوك الطريق الأسلم والطريق الذي فيه التأليف بين الناس ، وتأمر بالمعروف بأسلوب حسن ، يقبل منك ويوصلك إلى المقصود بحسن ولين . (وقال ابن تيمية رحمه الله : دووا بالمعروف بالمعروف ، وانهوا عن المنكر بلا منكر) .

✪ ومن أعظم ما بين هذه الطريقة ما ذكر الله عز وجل حينما أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون وأرسل معه أخاه هارون (عليهما السلام) بعثهم إلى فرعون وفرعون أكفر أهل الأرض في زمانه بل لم يأت أحد غير فرعون من يقول : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ النازعات : ٢٤ ، ويقول : ﴿ما علمتُ لكم من إلهٍ غيري﴾ القصص : ٣٨ .

هـــذا هو فرعون ، فإذا كان هذا فرعون وهذه صفاته ومـــع ذلك لما بعث الله له أنبياءه قال : ﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ طه : ٤٤ .

✪ فهل فوق هذا الطغيان طغيان ، فأنت أيها الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عندما ترى منكراً شديداً في نفسك ينبغي لك أن تصبر نفسك وتأمر باللطف واللين من أجل أن يحصل مقصودك ، ولذلك الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ الأعراف : ١٩٩ ، خذ العفو من الناس لا تحملهم ما لا يطيقون وادعهم بالتي هي أحسن وبما يستطيعونه

وأمر بالعرف لكن استعمل اللين قبله في دعوتك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإذا فعلت ذلك سلكت الطريقة الأسلم والطريق الأرشد الطريق الذي بيّنه الله لنا لنسلكه ونعمل به ، ولا بد من أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر ، أن يسلط عليه بعض الجهال ، ويسمعونه بعض الكلام السيئ ، وربما تكلموا به في غيابه ، وربما الصقوا به عيوباً لم تكن فيه ، وربما نسبوا إليه أقوالاً لم يقلها ، فعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يوطن نفسه على ذلك وأن يصبر ، والصبر أمر الله به أنبياءه الذين بعثهم واصطفاهم واختارهم للخلق وأمرهم بالصبر ولذلك أصبر الأنبياء أفضلهم كما قال عز وجل لنبيه ﷺ وهو أفضل الخلق أجمعين وأفضل الأنبياء والمرسلين ، أفضل من كل أحد حتى من الملائكة ، وأفضل الخلق على الاطلاق هو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم .

✪ومع ذلك يقول له سبحانه وتعالى : ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ الأحقاف : ٣٥ ، وأولو العزم خمسة وهم أفضل الأنبياء أولهم : نوح عليه السلام ، وإبراهيم الخليل ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد أكملهم وأفضلهم عليهم جميعا صلاة الله وسلامه .

وقد صبر صلى الله عليه وسلم فوق صبره ، وهو أصبر الناس عليه الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله ، وفي أسلوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولأن فضيلة الصبر وأجر العبد لا حد له يقول الله عز وجل فيه : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ الزمر : ١٠ ، فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، لكن الصبر لا حد له ، فالله عز وجل يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتأسى بأولي العزم فتأسى بهم وصار فوق قدرهم صلى الله عليه وسلم بصبره ، والله أخبر عن موسى عليه السلام أن بني إسرائيل آذوه أشد الإيذاء ولذلك يقول الله عز وجل محذراً هذه الأمة : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عندالله وجيهاً﴾ الأحزاب : ٦٩ ، نجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل الأعمال ولا يتم إلا بالصبر وبالطريقة الحسنى .

وقد تحدث الشيخ عن وجوب شكر النعم وحث الناس على استغلال أوقاتهم فيما ينفع ثم بعد هذه المقدمة تحدث فضيلة الشيخ عن التقوى ومعانيها وحقيقتها ، وأن التقوى هي أساس كل شيئ في محاضرة شيقة حضرها جمع غفير من المصطافين ومن سكان المنطقة . انتهى .

الفصل الثاني

طرق الدعوة ومراتبه

✪ (١) على العالم أن يدعو الناس بعلمه ونفسه إلى رب الناس، بأن يذهب عندهم ويدعوهم إلى الهدى ، لأنه من ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قال تعالى : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهُداهُم اقتده﴾ الأنعام : ٩٠

✪ (٢) فمن لم يكن عالما فليساعد في الدعوة بالمال ، بأن ينفقه في مجال الدعوة الإسلامية ، ويرسل الدعاة إلى الداخل والخارج على نفقته الخاصة ، أو يطبع كتب الدعوة على نفقته لوجه الله ، ويخرج من بيته أيضاً ليتفقه في الدين ويتعلمه ليرغب في الدين أكثر فأكثر.

✪(٣) فمن لم يكن عنده من المال فليساعد في الدعوة بما يستطيع : بأن يدعو ـ على الأقل ـ أهله وأبناءه وبناته ، وعشيرته وأقاربه إلى دين الله . قال تعالى : ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناسُ والحجارة ...﴾ التحريم : ٦

✪(٤) فمن لم يستطع على ذلك فلا أقل أن يدعو بلسانه ويدعو ربه بغسانة قلبه ويقول : اللهم انصر من نصر دين محمد ﷺ واخذل من خذل دين محمد ﷺ . ويقول : اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداءك أعداء الدين واحفظ حوزة الإسلام يا رب العالمين . وما أحسن قول الشاعر في ذلك :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

✪ فالدعاء بالنطق لله سبحانه لنصرة دينه نوع من الدعوة الإسلامية أيضاً ، وذلك لمن لم يكن عنده علم ولا حال ولا مال يهديه في سبيل رب العزة والجلال لنصرة دينه سبحانه .

✪ويا للأسف أن كثيراً من الناس اليوم لا يتنافسون في مثل هذا العمل ذو الجهد البسيط – أى الدعاء الذي هو مخ العبادة – فكيف ينفق هؤلاء أموالهم وأنفسهم في سبيل الدعوة الإسلامية ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

✪ **مراتب الدعوة** : قال صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤ / ٣٠٤ : واعلم أن الداعي في الحقيقة هو الله تعالى كما قال تعالى : ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ يونس : ٢٥ . والرسول عليه الصلاة والسلام كما قال : ﴿أدع إلى سبيل ربك﴾ النحل : ١٢٥ اهـ .

✪ثم ذكر في مقام آخر ٣ / ٤٦٣ » مفسراً لقوله تعالى : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت : ٣٣ ،وقال :

واعلم أن للدعوة مراتب

✪**الأولى دعوة الأنبياء عليهم السلام** ، فإنهم يدعون إلى الله بالمعجزات والبراهين وبالسيف ، وتشير الآية إلى أن أحسن قول قاله الأنبياء والأولياء قولهم بدعوة الخلق إلى الله ، وكان عليه الصلاة والسلام مخصوصا بهذه الدعوة كما قال تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه .. الآية﴾ الأحزاب : ٤٥-٤٦ . وقال : ﴿وعمل صالحاً﴾ أي كما يدعو الخلق إلى الله يدعوهم إليه بعمله .

✪ **والمرتبة الثانية دعوة العلماء** فإنهم يدعون إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط ، ثم إن العلماء ثلاثة أقسام : عالم بالله ، وعالم بأمر الله ، وعالم بالله وبأمر الله .

✪ **والمرتبة الثالثة الدعوة بالسيف** ، وهي للملوك فإنهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله وطاعته .

✪**والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين إلى الصلاة** وهي أضعف مراتب الدعوة إلى الله وذلك أن ذكر كلمات الأذان وإن كان دعوة إلى الصلاة لكنهم يذكرون تلك الألفاظ الشريفة بحيث لا يحيطون بمعناها ولا يقصدون الدعوة إلى الله ، فإذا لم يلتفتوا إلى مال الوقف ، وراعوا شرائط الأذان ظاهراً وباطناً ، وقصدوا بذلك مقصداً صحيحاً ، كانوا كغيرهم من أهل الدعوة .

✪ وإن النبي عليه الصلاة والسلام قال : «المؤذنون أمناءُ المؤمنين على صلاتهم وصيامهم ولحومهم ودمائهم ، لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم ، ويُغفر للمؤذن مدى صوته» رواه الطبراني والبيهقي كما في الفتح الكبير ٣ / ٢٥٠ .

✪ وفي الحديث : «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة» رواه مسلم وأحمد وابن ماجه ، وانظر الفتح الكبير ٣ / ٢٥٠ .

أي يكونون سادات وأكثر الناس ثواباً أو رجاء ، والناس حين يكونون في الكرب ، يكون المؤذنون أكثر رجاء بأن يؤذن لهم في دخول الجنة . اهـ ماذكره صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان»

✪ هام جداً للمؤذنين قال أبو طلحة : ذكر لنا أحد الدعاة : فقال : خرجنا مع الداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي (مؤلف حياة الصحابة) إلى قرية يدعو أهلها إلى الله ، وكنت أصغر الجماعة ، فلما حان وقت صلاة المغرب في الطريق أمرَنا الشيخ بالوقوف لأداء الصلاة ، وذلك على جانب شاطئ النهر الكبير ، فوقفنا لأداء الصلاة هناك ، فقال لي الشيخ : قم فأذن ، فقمت وأذنت .

✪ فلما فرغت من الأذان قال الشيخ : ماذا نويت عند الأذان يا بنيّ ؟ قلت : ما نويتُ شيئا إلا أننا نصلي الصلاة بعد الأذان في جماعة .

✪ فقال الشيخ ما منعك يا بنيّ ! أن تنوي بالأذان تدعو به جميع أهل الأرض إلى الكبير المتعال ، بأن يشهدوا «أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله» كما تشهد أنت بذلك وتكبره تكبيرا .

✪ وقال أيضاً : ما منعك أن تدعو وتنوي بالحيعلتين جميع أهل الشرق والغرب وأهل الشمال والجنوب حينما تلوي وجهك يمينا وشمالا قائلا : «حي على الصلاة ... حي على الفلاح ...» .

✪ **✪ ثم قال : وذلك لأن ربنا رب الناس ، ليس رب المسلمين فقط** ، وهو ملك الناس وإله الناس : قال تعالى : ﴿قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس إله الناس﴾ الناس : ١ - ٣ .

✪ **✪ وقال : كذلك ديننا الحنيف دين عالمي** وهو سلطان الأديان ، حبيب إلى الرحمن ، يشمل جميع الإنس والجان .

✪ فقد قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام فمن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ - آل عمران : ٨٥ - من كانوا

وحيث كانوا في مشارق الأرض ومغاربها . ويحذرهم قائلا : ﴿ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين ناراً ﴾ الكهف : ٢٩ .

✪ ✪ **ثم قال الشيخ : وكذلك رسولنا الكريم ﷺ رسول عالمي ومبعوث إلى جميع الناس** كما شهد الله بذلك وقال : ﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا ﴾ النساء : ٧٩ . وقال تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾ سبإ : ٢٨ . وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ الأعراف : ١٥٨

✪ ✪**وكذلك كتابنا الكريم كتاب عالمي أنزله الله تعالى لهداية جميع الناس** ، ولإخراجهم من الظلمات إلى النور . فقال تعالى : ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس ﴾ البقرة : ١٨٥

وقال تعالى : ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ النساء : ١٠٥ . وقال تعالى : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ إبراهيم : ١

✪ ✪ **ثم قال الشيخ : وكذلك أمتنا أمة عالمية أخرجت للناس جميعاً .**

فقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... الآية ﴾ آل عمران : ١١٠ .

✪وقال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ﴾ البقرة : ١٤٣ . اهـ ما قاله الداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله صاحب «حياة الصحابة» رضي الله عنهم أجمعين .

✪ وفي ذلك ذكرىٰ للمؤذنين خاصة ولجميع الناس عامة ، وفق الله الجيمع لما يحب ربنا ويرضيٰ .

ما أجود هذا ! فهل من مجيب ؟

✪فلما جاء ذكر الأذان وفضائل المؤذنين ومكانتهم عندالله تعالى ، **أود أن أذكر ما يتمناه النبي ﷺ ويقول لأمته : «سلوا الله لي الوسيلة» عقب الأذان :**

✪ فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في

الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة» رواه مسلم كما في المشكاة «باب فضل الأذان» .

✪ **أيها المسلم ويا سامعا للأذان !!** اعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، ولا يهمه إلا شأنهم ، وكان ﷺ دائماً يدعو لأمته بأدعية لا تعد ولا تحصى ، وكان من دعوته لأمته بالمغفرة بعد كل صلاة كما في حديث عائشة رضي الله عنها وفيه : قال ﷺ : «والله إنها لدعوتي لأمتي في كل صلاة» . أخرجه البزار وقال الهيثمي : ٩ / ٢٤٤ رجاله رجال الصحيح اهـ .

✪ وكذلك يدعو لنا ﷺ يوم القيامة ، ويخرُّ لله ساجداً ثلاث مرات «فيقال : يامحمد ! ارفع رأسك ، وقل تُسمع ، وسل تُعطهْ ، واشفع تشفع ، فأقول : يارب ! أمتي أمتي» الحديث بطوله وأصله في الصحيحين .

✪ فالحاصل : أنه ﷺ دعا لنا في حياته المباركة أدعية لا تعد ولا تحصىٰ وكذلك يدعو لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ويخرِّج من أمّته من الجحيم بشفاعته المأذونة . والنبي ﷺ ما طلب من الأمة لنفسه الشريفة إلا دعاء واحداً ـ كما أظن ـ وهو سؤال الوسيلة له ﷺ بعد الأذان ، مع أنه ﷺ لا يحتاج إلى دعاءنا ، لأن هذا المقام خاص به صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في الحديث السابق .

✪ أليس من الجفاء إذا لم نسأل الله له ﷺ الوسيلة ؟ وهو ﷺ يتمني ويخاطبنا ويقول : «سلوا الله لي الوسيلة» ثم يحرِّضنا على ذلك قائلا : «فمن سأل لي الوسيلة حلَّتْ عليه الشفاعة» كما في الحديث المتقدم .

✪ **انتبه أيها المسلم !** وركّز على نفسك هذا العمل المبارك ما دمت حياً إن كنت صادقاً في حبه صلى الله عليه وآله وسلم . جعلنا الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه . آمين يارب العالمين . وإليك صيغة الدعاء (الوسيلة) التي تطلب بها الوسيلة له ﷺ :

فعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «من قال حين يسمع النداء : «اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محمودا الذي وعدته» حلت له شفاعتي يوم القيامة .(رواه البخاري كما في المشكاة باب فضل الأذان) .

ومن طـرق الدعوة إلى الله : الدعوة الصامـة

✪ وهناك طريقة أخرى في الدعوة إلى الباري جل وعلا ، وهي أكثر تأثيـراً من غيرها ، وأكثرها فقدانا فينا والله المستعان .

قال جعفر الصادق رضي الله عنه : أدعوا إلى الله وأنتم صامتون ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : بأخلاقكم ، وأعمالكم قبل أقوالكم» .

✪ فمن لم يستطع العمل على أي من هذه الطرق المذكورة ، ويقدر على الكلام في التجارة فقط وغيرها من الأمور الدنيوية ، ولكنه أبكم في ميدان الدعوة والإرشاد فعليه - وعلى الجميع- أن يدعو الناس إلى رب الناس وهو صامت **وذلك : بالعمل العمل ، العمل ، أيها المؤمنون !** على جميع شرائع الدين والسنن المصطفوية في جميع شئون الحياة ، لأنه أكثر تأثيـراً من القول ،حتى لا تمنعه من ذلك لومة لائم ، وذلك بإدخال نفسه في الإسلام كافة وقد قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ البقرة : ٢٠٨ .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نَزّل على رسوله ﴾ النساء : ١٣٦ .

✪ يأمر تعالى عباده المؤمنين بالدخول في جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه ... قاله ابن كثير رحمه الله .

✪ فَالعمل بجميع شرائع الإيمان هو المقصود الأصلي من الدعوة الإسلامية ويقدر على ذلك كل من يوفقه الله من كان وحيث كان ، وإن كان أبكماً حقيقياً أو صورياً ، وذلك لمن خشي ربه .

✪**ومن هـذا المنطلق نقول** : إن الدعوة الفردية لا تحتاج إلى الوسائل ولا النفقات ، وليست بحاجة إلى كبير اهتمام ، فقم وأخرُج من بيتك خفيفاً أو ثقيلا ، طوعاً أو كرهاً ، فكل من تلقاه في الطريق ، أدعه إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبلّغه ما أنزل الله إلى رسوله ﷺ ، وكذلك في السجن وخارجه كما دعا إلى ذلك سيدنا يوسف ﷺ وهو في السجن ، وفي المسجد وخارجه ، و في السفر والحضر ، وبالعمل على سنن الحبيب المصطفى

ﷺ وهذا هو طريق نبيك ﷺ الذي قال لنا : «بلغوا عني ولو آية» .

✪وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا تفوته ساعة في السفر ولا في الحضر إلا يُحرض أصحابه على الطاعات والاستعداد للآخرة . كما يظهر ذلك من رواية ذكرها ابن كثير ٣ / ٨٨ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ الكهف : ٤٩ . وقال :

✪ وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين ، نزلنا قفزاً من الأرض ليس فيه شيء ، فقال النبي ﷺ : «اجمعوا من وجد عودا فليأت به ، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به» قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاماً ، فقال النبي ﷺ : «أترون هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه» اهـ .

والروايات في هذا الباب كثيرة تركناها للإختصار ، وكذلك كان أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم يعملون على شاكلته ﷺ في السفر .

✪ فروى ثابت عن أنس قال : كنا مع أبي موسى في مسير ، والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا . قال أبو موسي : يا أنس ! إن هؤلاء يكاد أحدهم يَفري الأديم بلسانه فرياً ، فتعال فلنذكر ربنا ساعة . ثم قال : يا أنس ! ما ثَبَر الناس ! ما بطَّأ بهم ؟ قلت : الدنيا والشيطان والشهوات . قال : لا ، ولكن عُجِّلتْ الدنيا ، وغُيبت الآخرة ، أما والله لو عاينوها ما عَدَلوا ولا ميَّلوا . ذكره القرطبي مفسرا لقوله تعالى ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ الأعلى : ١٦ .

✪وذكر الدكتور عبدالكريم زيدان في «أصول الدعوة» ص ٣٢٠ فقال :

[**الداعي يدعو إلى الله في كل وقت وفي جميع أحواله وظروفه** :

✪ قلنا : إن الدعوة إلى الله واجب على المسلم فهو يؤديه بهذا الاعتبار .. وواجب الدعوة إلى الله ليس له وقت محدد كالصلاة والصيام ، ولهذا فإن هذا الواجب يؤديه المسلم في جميع الأحوال والظروف وفي كل وقت يتيسر له فيه أداؤه ، قال تعالى مخبراً عن نوح ﷺ : ﴿قال ربي إني دعوت قومي

ليلا ونهاراً ... ثم إني أعلنتُ لهم وأسررتُ لهم إسراراً ﴾ نوح : ٥-٩ .

✪ وكذلك كان رسولنا محمد ﷺ (يدعو قومه ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ولم يشغله شيئ عن الدعوة إلى الله تعالى) (امتاع الأسماع للمقريزي ص ٩١٨

✪ **والواقع أن الداعي إذا كان صادقاً في دعوته** منشغلا بها لا يفكر إلا فيها ولا يتحرك إلا من أجلها ولا يبخل عليها بشئ من جهده ووقته ، لم يشغله عنها شاغل أبداً حتى في أحرج الساعات وأضيق الحالات وأدق الظروف ، وهكذا كان رسولنا محمد ﷺ : فعندما هاجر إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقي في طريقه بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة فدعاهم إلي الإسلام فأسلموا» (إمتاع الأسماع ص ٤٢) .

✪ وهذا يدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يغفل عن الدعوة إلى الله حتى وهو في طريقه مهاجراً إلى المدينة والقوم يطلبونه .

✪ الدعوة في السجن ويوسف عليه السلام عندما دخل السجن مظلوماً لم يشغله السجن وضيقه عن واجب الدعوة إلى الله ، ولهذا فقد اغتنم سؤال السجينين عن رؤيا رأياها ، فقال لهما قبل أن يجيبهما ما أخبرنا الله به : ﴿ يا يصٰحِبَيِ السِّجن ءأرباب متفرِّقون خير أم الله الواحد القهار ؟ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباۤؤُكم ما أنزل الله بها من سلطٰن ، إنِ الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يوسف : ٣٩, ٤٠] . («أصول الدعوة» ص ٣٢٠ للدكتور عبدالكريم زيدان)

✪ الدعوة في السفر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي ، فلما دنىٰ قال له رسول الله ﷺ : «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ؟» قال : من يشهد على ما تقول ؟ قال : «هذه السلمة - شجرة من العضاه - فدعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بشاطئ الوادي ، فأقبلتْ تخُدّ الأرض حتى قامت بين يديه ، فاشتشهدها ثلاثا فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ، ثم رجعت إلى منبتها» (رواه الدارمي كما في المشكاة باب في المعجزات) .

ليتـــه أسلـــم ولـــو بالمصارعـــة

✪وهناك قصـة مصـارعـة ركـانة مع النـبي ﷺوهو يدعـوه إلى الحق ، وهل رأيت الداعي إلى الله يدعو المدعو إلى المصارعة معه لكي يقبل ما يدعوه إليه . وصدق الله العظيم : ﴿ حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ التوبة : ١٢٨ .

اقـرأ القـصــة أيهـا الداعـيـة إلى الله ! ثم تفكر فـيـهـا وفي حـرص النـبي ﷺ وشدة اهتمـامه في إصلاح أمته ، وطمعه وسعيه في إخراجها من الظلمات إلى النور ونجاتها من النار . وهل كان إرسال الرسل للمصارعة مع أمته لكي يسلموا ؟ كـلا ! ثم كـلا ! ولكنه صلى الله عليه وسلم كـان يـرغب في نجاة أمتـه من النار إلى هذا الحد كأنه بلسان الحال يقول : ليته أسلم ولوصـارعني . ففي هذه القصة درس – وأي درس – للدعاة إلى الله تعالى .

✪ وقصة مصارعة ركانة رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم كالآتي :

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار وكان ركانة بن عبد يزيد ابن هاشم بن عبدالمطلب بن عبد مناف أشد قريشا ، فخلا يوما برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله ﷺ : «يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه» قال : إني لو أعلم أن الذي تقوله حق لاتبعتك ، فقال له رسول الله ﷺ : «أفـرأيتك إن صرعـتك أتعلم أن ما أقوله حق ؟» قال : نعم ! قال : «فـقم حتى أصارعك» قال : فـقام ركـانة إليـه فـصـارعـه فلمـا بطش به رسـول الله ﷺ أضجعه لا يملك من نفسه شيئاً ثم قال : عد يا محمد ، فعاد فصرعه ، فقال : يا محـمـد ! والله إن هذا للعجب ، أتصرعني ؟ قال : وأعـجب من ذلك إن شئت أريكه إن اتقـيت الله واتبـعت أمـري» قـال : و مـا هو ؟ قـال : «أدعـو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني» قال : فادعها ، فدعاها ، فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسـول الله ﷺ ، فـقـال لهـا «ارجـعي إلى مكانك ، فـرجـعت إلى مكانهـا قـال : فذهب ركـانة إلى قومه فقال : يا بني عبـد مناف سـاحروا بصـاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ، ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع .

✪هكذا روى ابن إسحاق القصة مرسلة بدون بيان وقد روى أبو داود والترمذي من حديث أبي الحسن العسقلاني عن أبي جعفر بن محمد بن ركانة عن أبيه .

✪قلت – ابن كثير رحمه الله – : وقد روى أبو بكر الشافعي بإسناد جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن يزيد بن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي ﷺ ثلاث مرات ، كل مرة على مائة من الغنم ، فلما كان في الثالثة قال : يا محمد ما وضع ظهري إلى الأرض أحد قبلك ، وما كان أحد أبغض إليّ منك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله – ﷺ – فقام عنه رسول الله ﷺ ورد عليه غنمه . (البداية ج ٩ ص ١٠١-١٠٢) .

دعوته صلى الله عليه وسلم في سفر الهجرة

✪ أخرج أحمد (ج ٤ ص ٧٤) عن ابن سعد رضي الله عنهما – وسعد الذي دلّ رسول الله ﷺ على طريق رَكوبه – قال ابن سعد : حدثني أبي : أن رسول الله ﷺ أتاهم ومعه أبوبكر رضي الله عنه – وكانت لأبي بكر عندنا بنت مسترضعة وكان رسول الله ﷺ أراد الاختصار في الطريق إلى المدينة – فقال له سعد : هذا الغائر من رَكوبة وبه لصَّان من أسلَم يقال لهما : المُهانان ، فإن شئت أخذنا عليهما . فقال رسول الله ﷺ : «خذ بنا عليهما» . قال سعد : فخرجنا حتى أشرفنا إذا أحدهما يقول لصاحبه : هذا اليماني . فدعاهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام ، فأسلما ، ثم سألهما عن أسمائهما فقالا : نحن المُهانان . فقال : «بل أنتما المكرمان» وأمرهما أن يقدَما عليه المدينة – فذكر الحديث قال . قال الهيثمي ٦ / ٥٨ : «رواه عبدالله بن أحمد ، وابن سعد ، اسمه : عبدالله ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات» .

✪قوله : «ركوبه» : ثنية معروفة بين مكة المعظمة والمدينة المنورة عند العَرْج ، سلكها النبي صلى الله عليه وسلم . (حياة الصحابة ج ١ص ١٥٧) .

✪قوله ﷺ : «خذ بنا عليهما» قال أبو طلحة : فيه إشارة إلى إكرام المدعو ، وجهد الداعي في الدعوة إلى الله وحرصه وسعيه ومشيه إلى المدعو وهذا كما تقدم : أن المدعو يؤتى ولا يدعى حيث قال رسول الله ﷺ : «خذ بنا عليهما» . قال سعد : فخرجنا حتى أشرفنا ... الحديث » . اهـ

دعوته ﷺ للأعرابي في سفره

✪وأخرج الحاكم أبو عبدالله النيسابوري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي ، فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ : «أين تريد ؟» قال : إلى أهلي ، قال : «هل لك إلى خير ؟» قال : ما هو ؟ قال : «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله» . قال : هل من شاهد على ما تقول ؟ قال : «هذه الشجرة» . فدعاها رسول الله ﷺ وهي على شاطئ الوادي ، فأقْبلتْ تَخُدُّ الأرض خداً فقامت بين يديه ، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه كما قال . ثم إنها رجعت إلى منبتها . ورجع الأعرابي إلى قومه فقال : إن يتبعوني أتيتك بهم وإلا رجعتُ إليك وكنت معك . (وهذا إسناد جيد ولم يخرِّجوه ، و رواه الإمام أحمد . كذا في البداية ٦ / ١٢٥) (وقال الهيثمي : ٨ / ٢٩٢ : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى أيضاً والبزار – انتهى (هذا كما ذكره صاحب حياة الصحابة : ١ / ١٥٩ الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله) .

● فالدعوة الفردية لا تحتاج إلى اهتمام خاص لها ، ولا إلى مكان خاص ولا وقت خاص ، بل هي عامة ويمكن القيام بها في جميع الأزمنة والأمكنة وفي كل عصر ومصر ، وذلك لمن يوفقه الله ، فالله سبحانه وتعالى ينصر من نصر دينه ، يسهل الأمور الشاقة الطارئة في سبيل الدعوة إلى الله ، وقد قال تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت : ٦٩ .

وقال عتبة بن أسيد أبو بصير الثقفي رضي الله عنه وكان يكثر أن يقول :

الحمـــد لله العلي الأكبر

من ينصر الله فسوف ينصر

قصة غريبة في الدعوة الصامتة

✪حدثني أحد أصدقائى قصة صديقه فقال : قال صديقي ـ وسماه ـ : خرجتُ يوما من بيتي لزيارة أخ لي في الله في انجلترا ، فلما وصلتُ منزله وقرعت الباب عليه ، فجاءت فتاة وهي خادمة لهم ففتحت لي الباب وكانت غير مسلمة ، فلما رأتني قدَّمتْ يدها إليّ للمصافحة ، فاستحيت من مصافحتها ، لأنه محرم في الإسلام ، ونبينا عليه الصلاة السلام ما مست يده يد امرأة أجنبية عند المصافحة حتى ولا عند مبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء – كما سنذكره بعد قليل إن شاء الله – وما أذن لنا في ذلك ، فتركتُ المصافحة وطرحتُ على يدها ثوباً كان عندي بدلا من المصافحة .

✪فغضبت الفتاة لعملي هذا غضباً شديداً ، فدخلتُ المنزل بعد الاستئذان ، فاشتكتني عند سيدها وقالت : إن ضيفك هذا أهانني وأذلني لأنه رفض مصافحتي ، فكيف هذا الرجل الذي لا يعرف من آداب الزيارة شيئاً ؟ فقلنا لها : ليس الأمر كذلك كما تفهمين ، بل ديننا الإسلام يمنع من ذلك ، وذلك لصيانة عرضك وعرض أخواتك من بنات حواء ، حتى منع الإسلام من أن تخاطب المرأة الأجانب بكلام فيه ترخيم كما تخاطب زوجها ، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقال إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع ، وقد قال تعالى : ﴿إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾ الأحزاب : ٣٢ .

✪ ومن شأن المسلم المؤمن إذا دعته إحداهن من الأجنبيات إلى الحديث والكلام يقول كما قال فضالة بن عمير الليثي رضي الله عنه :

قالت : هلم إلى الحديث فقلت : لا
يأبىٰ عليك اللهُ والإسلام

✪ قال : فلما رأت الفتاة عملي هذا ، وعلمتْ سبب عدم مصافحتها ، وصيانة المرأة وحق طهارتها وعفتها في الإسلام (سلطان الأديان) ، فغلب عليها الشوق للدخول في الإسلام ، فساقها هذا الشوق إلى أن نور الله قلبها بالإيمان ، وأسلمت في حينها والحمد لله رب العالمين .اهـ

✪ فصارت صوتاً صامتاً – وهو عمل واحد من هدي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو عدم مصافحة الأجنبية – سبباً لإيمان هذه الفتاة ، فطوبى لمن آمن وعمل عملا صالحاً .

✪ **كيفية مبايعته ﷺ للنساء** [واختلف في كيفية مبايعة عليه الصلاة والسلام لهن يوم الفتح فروي أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا وشرع في بيعة النساء ، ودعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن ، فجاءت «هند بنت عتبة» امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة خوفاً من رسول الله ﷺ أن يعرفها لما صنعته بحمزة رضي الله عنه يوم أُحد من المثلة ، فلما قال عليه الصلاة والسلام : «أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً» رفعت هند رأسها فقالت : والله لقد عبدنا الأصنام وإنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال ، تبايع الرجال على الإسلام والجهاد . فلما قال عليه الصلاة والسلام «ولا يسرقن» قالت : إن أبا سفيان رجل شحيح وإني أصيب من ماله هنات ـ أي : شيئاً يسيراً ـ فما أدري أيحلّ لي ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت فهو لك حلال ، فضحك عليه الصلاة والسلام وقال : « أنت هند ؟» قالت : نعم ، فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك ، فعفا عنها . فقال : «ولا يزنين» فقالت : وهل تزني الحرة ؟ وقال عمر رضي الله عنه : لو كان قلب نساء العرب على قلب هند ما زنت امرأة قط . فقال : «ولا يقتلن أولادهن» فقالت : ربيناهم صغاراً وقتلتهم كباراً ، فأنتم وهم أعلم ، وكان ابنها «حنظلة بن أبي سفيان » قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله – ﷺ – فقال : «ولا يأتين ببهتان» فقالت : والله إن البهتان لأمر قبيح ، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ، فقال : «ولا يعصينك في معروف» فقالت : والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء» وبالجملة كانت البيعة مع النساء والرجال أمراً مشروعاً بأمر الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الفعلية] . (تنوير الأذهان ٤ / ٢٩٩) .

✪ ثم ذكر في هامشه : [قوله : «أيديهن» : الثابت أن النبي ﷺ لما بايع النساء كان يبايعهن كلاما ولا يصافحهن كما جاء في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت : «ولا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط في المبايعة ، وما بايعهن إلا بقوله «قد بايعتك على

ذلك » وهذا صريح في أن المبايعة كانت بالكلام فقط ، ورواية غمس اليد في القدح أخرجها ابن سعد وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦ / ٢١١ .

✪ والحديث الذي فيه ذكر هند رضي الله عنها أخرجه سعيد بن منصور وابن سعد قريباً منه ، وأخرجه ابن جرير وابن مردويه بألفاظ متقاربة ، وانظر الدر المنثور للسيوطي ٦ / ٢٠٩ ، وتفسير ابن جرير الطبري ٢٧ / ١٦٨] . ذكرناه من هامش «تنوير الأذهان » ٤ / ٢٩٩ وعلق عليه محمد علي الصابوني)

✪ وفي رواية : أن النساء اجتمعن عند النبي صلى الله عليه وسلم وطلبن أن يعاهدهن باليد فقال : «إني لا أصافح النساء ، ولكن قولي لإمرأة واحدة كقولي لمائة امرأة » فبايعهن بالكلام . الحديث أخرجه البخاري ومسلم والنسائي ينظر جامع الأصول ١ / ٢٥٣ .

قصة أخرى عجيبة في الدعوة الصامتة

رجل انجليزي قدم إلى ألبانيا -وكان يحمل في سويداء قلبه حقداً دفيناً على الإسلام والمسلمين -ومن باب العبث دار بينهما حديث فطال الكلام بينهما فما كان من الإنجليزي إلا أن دفع ذلك الرجل دفعاً مما نشأ عن ذلك جروحاً وقروحاً في يديه وركبتيه .

فقام الألباني وهو مثقل بالجروح ورتب على كتفى ذلك الانجليزي ودعاه إلى مأدبة طعام في داره ولم يعنّفه ولم يزجره ، هكذا تكون أخلاق الإسلام . ولله در القائل إذ يقول :

والشر إن تلقاه بالشر ضقت به ذرعاً والشر إن تلقاه بالخير ينحسم

فعندما قدم له الطعام قام وصلى ركعتين وسأل الله عز وجل أن يمن على الإنجليزي الذي أساء إليه بالهداية . فخرج الإنجليزي وقد بهت بتلك المعاملة الحسنة من قبل ذلك الألباني المسلم .

بعد مضي روح من الزمان أذن الله سبحانه وتعالى بأن يبصر إلى جماعة من المسلمين يؤدون الصلاة فسأل القَوم عن تلك الرياضة التي يؤدونها فأخبروه أنها صلاة افترضها الله عليهم خمس مرات في اليوم والليلة فأجاب الإنجليزي جواباً - أثار دهشة الجميع - حيث قال : إذا كانت الصلاة تأمركم بمحاسن الأخلاق فأرجو أن أكون من المسلمين ، فنوّر الله قلبه بالإسلام في حينه .

الفصل الثالث

في مواقف الحكمة في الدعوة الفردية

موقفه ﷺ مع الشاب الذي استأذنه في الزنا

✪ عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال : إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مه مه ! فقال له : «ادنه» ، فدنا منه قريباً ، قال : «أتحبّه لأمّك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك ، قال : «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم» قال : «أفتحبه لابنتك ؟» قال : لا والله يارسول الله ! جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لبناتهم» قال : «أفتحبه لأختك ؟» قال : لا والله جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لأخواتهم» . قال : «أفتحبه لعمتك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك قال : «ولا الناس يحبونه لعماتهم» . قال : «أفتحبه لخالتك ؟» قال : لا والله ، جعلني الله فداءك . قال : «ولا الناس يحبونه لخالاتهم» قال : فوضع يده عليه ، وقال : «اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصّن فرجه» ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . (أخرجه أحمد في المسند ٥ / ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، وعزاه إلى الطبراني وقال : رجاله رجال الصحيح ١ / ١٢٩ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم : ٣٧٠ ج ١) .

✪ **فقوله ﷺ للشاب** (ادنه) وتقريبه منه ، ووضع يده عليه ، ودعاؤه له كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشعور والوجدان ، ويأسر القلوب ، ومناقشته ﷺ للشاب باستخدام القياس المساوي ، ومجادلته له بالحسنى ... من أساليب المنهج العقلي . فاستخدام هذين المنهجين معاً في هذا الموقف مظهرٌ من مظاهر حكمته البالغة ﷺ في الأساليب .

ذلك لأن مجيء الشاب المسلم إلى رسول الله ﷺ مستئذناً بالزنا ، يدل على أنه شاب ضعيف ، اختل توازنه ، واضطربت شخصيته ، ودفعته غريزته إلى

الزنا ، فكان إيمانه حاجزاً له ، ودافعاً له على الاستئذان بالزنا ، والاستئذان بالزنا دليل ناطق بالحالة المرضية فيه من جهة ، وبجانب الخير في الشاب من جهة أخرى ، وإلا لذهب وزنى كما يزني غيره ولا يبالي ، فاقتضى هذا التشخيص الدقيق منه ﷺ لحالته النفسية استيعابه كل الاستيعاب ، واستخدام كلا المنهجين معه ، حتى أنقذه مما هو فيه ، وأعاده إلى التوازن والصواب «فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء» كما في الرواية المذكورة .

✪قال الشيخ سعيد القحطاني في كتابه «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ص ١٩٣» : [وهذا الموقف الحكيم العظيم مما يؤكد على الدعاة إلى الله عز وجل أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس ، ولا سيما من يُرغَّبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام ، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم]. اهـ .

✪وكما بين لنا الرسول ﷺ الرفق بفعله ، بينه لنا بقوله ، وأمرنا بالرفق في الأمر كله . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا : السام عليكم . قالت عائشة : ففهمتها فقلت : وعليكم السامُ واللعنة . قالت : فقال رسول الله ﷺ : «مهلاً يا عائشة إن الله يحبّ الرفق في الأمر كله» ، فقلت : يا رسول الله ! أو لَم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «قد قلت : وعليكم» . (البخاري مع الفتح . كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله ١٠ / ٤٤٩) .

✪وقال ﷺ : «يا عائشة ! إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنْف ، وما لا يُعطي على ما سواه» .(أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٤ / ٢٠٠٤) .

✪ وقال ﷺ : «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُنزعُ من شيء إلا شانه» المرجع السابق .

✪ وبيّن ﷺ أن من حُرِم الرفق فقد حُرِمَ الخير ، قال ﷺ : «من يحرم الرفق يحرم الخير» المرجع السابق في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً .

✪ قال النووي في شرحه على مسلم ١٦ / ١٤٥ : [فقد عظم النبي صلى الله عليه وآله وسلم شأن الرفق في الأمور كلها ، وبيّن ذلك بفعله وقوله بياناً شافياً كافياً ؛ لكي تعمل أمتهُ بالرفق في الأمور كلها ، وخاصة الدعاة إلى

الله عزوجل ؛ فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم ، وفي جميع تصرفاتهم وأحوالهم ، وهذه الأحاديث السابقة تبين فضل الرفق ، والحث على التخلق به ، وبغيره من الأخلاق الحسنة ، وذم العنف ، وذم من تخلَّق به .

✪ فالرفق سبب لكل خير ؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب ، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره ، وما لا يأتي من ضده] . (وانظر فتح الباري ١٠ / ٤٤٩) .

✪وقال ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى ٢٨ / ١٣٦ : [ومن الصلاح أن يأتي بالأمر والنهي بالصراط المستقيم ، وهو أقرب الطرق إلى حصول المقصود .

✪ولا بد في ذلك من الرفق ، كما قال النبي ﷺ : «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ؛ ولا كان العنف في شيء إلا شانه» وقال : «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله ، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف» .

✪ولا بد أيضاً أن يكون حليماً صبوراً على الأذى " فإنه لا بد أن يحصل له أذى ؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ؛ كما قال لقمان لابنه : ﴿وأمر بالمعروف وانْه عن المنكر واصبر على ما أصابك ؛ إن ذلك من عزم الأمور﴾ لقمان : ١٧ ؛ ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر ، كقوله لخاتم الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة ؛ فإنه أول ما أرسل أنزلت عليه سورة ﴿يا أيها المدثر﴾ ، بعد أن أنزلت عليه سورة ﴿إقرأ﴾ التي بها نبيء ؛ فقال : ﴿يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر ، ولربك فاصبر﴾ المدثر : ١-٧ ؛ فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالنذارة ، وختمها بالأمر بالصبر ، ونفس الانذار أمر بالمعروف ونهي عن المنكر ؛ فعلم أنه يجب بعد ذلك الصبر ، وقال : ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ الطور : ٤٨ . وقال تعالى : ﴿واصبر على ما يقولون ، واهجرهم هجراً جميلا﴾ المزمل : ١٠ ، ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾ الأحقاف : ٣٥ ، ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ القلم : ٤٨ ﴿واصبر وما صبرك إلا بالله﴾ النحل : ١٢٧ ، ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ . هود : ١١٥] . **انتهى قول ابن تيمية رحمه الله** .

موقفه ﷺ مع الأعرابي الذي بال في المسجد

✪وفي الصحيحين عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي ، فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تزرموه ، دعوه» فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ، ولا القذر ، إنما هي لذكر الله ، والصلاة ، وقراءة القرآن» ، أو كما قال رسول الله ﷺ . قال : «فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنّه عليه» . أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة ١ / ٢٣٦ ، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً في كتاب الوضوء ١ / ٣٢٢ .

✪ قوله ﷺ : «مه مه» كلمة زجر ، معناه : اسكت ، وقيل : أصلها : ما هذا ؟

✪ و قوله ﷺ : «لا تزرموه» أي لا تقطعوا عليه بوله. وقوله : «شنه» أي صبه عليه . شرح النووي ٣ / ١٩٣ .

✪ وفي رواية أخرى : « ... ثم لم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله ﷺ : «إنما بعثتم ميسّرين ، ولم تبعثوا معسّرين ، أهريقوا عليه دلواً من ماء ، أو سجلاً من ماء» أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة باب ما جاء في البول يصيب الأرض ١ / ٢٧٥ . وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ لأحمد ١٢ / ٢٤٤ برقم ٧٢٥٤ . وأبوداود مع العون ٢ / ٣٩ .

✪ قال : يقول الأعرابي بعد أن فقه : فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ بأبي وأمي فلم يسب ، ولم يؤنب ، ولم يضرب» . أخرجه أحمد وهو تكملة للحديث السابق برقم : ١٠٥٤٠ ، وابن ماجه ١ / ١٧٥ .

✪ النبي ﷺ أحكم خلق الله ، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة ، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه ، ازداد يقينه وإيمانه بذلك .

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب ، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين ؛ ولذلك قام الصحابة إليه ، واستنكروا أمره ، وزجروه ، فنهاهم النبي ﷺ أن يقطعوا عليه بوله .

وحينما بال في المسجد أمر النبي ﷺ بتركه ؛ لأنه قد شرع في المفسدة ، فلو منع ذلك لزادت المفسدة ، وقد حصل تلويث جزء من المسجد ، فلو منعه ﷺ بعد ذلك لدار بين أمرين :

✪(١) إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه .

✪(٢) وإما أن يقطعه فلا يأمن من تنجيس بدنه ، أو ثوبه ، أو مواضع أخرى من المسجد .

✪ فأمر النبي ﷺ بالكف عنه للمصلحة الراجحة ، وهي دفع أعظم المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما ، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما . كما في البخاري مع الفتح ١ / ٣٢٥ .

✪وهذا من أعظم الحِكَم العالية ، فقد راعى النبي ﷺ هذه المصالح ، وما يقابلها من المفاسد ، ورسم ﷺ لأمته والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل ، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف ، ولا سبٍّ ولا إيذاء ولا تشديد ، إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً ، وقد كان لهذا الاستئلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره ، فقد قال بعد أن فقه - كما تقدم - في رواية الإمام أحمد : فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليّ بأبي وأمي ، فلم يسبّ ، ولم يؤنب ، ولم يضرب . أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة ١ / ١٧٥ . «كما في «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى» .

موقفه ﷺ مع اليهودي زيد بن سعنة أحد أحبار اليهود وإسلامه

✪كان النبي ﷺ يعفو عند المقدرة ، ويحلم عند الغضب ، ويحسن إلى المسيء وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به ، واجتماع القلوب عليه ، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سعنة : أحد أحبار اليهود وعلمائهم الكبار . كما في هداية المرشدين ص ٣٨٤ .

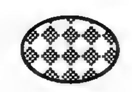
✪جاء زيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ يطلبه ديناً له عليه ، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه ، وأغلظ له القول ، ونظر إلى النبي ﷺ بوجه

غليظ وقال : يا محمد ألا تقضيني حقي ، إنكم يا بني عبدالمطلب قوم مُطْلٌ ، وشدّد له في القول ، فنظر إليه عمر وعيناه تدوران في رأسه كالفلك المستدير ، ثم قال : يا عدو الله ، أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع ، وتفعل ما أرى ، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ ، ثم قال : «أنا وهو يا عمر ! كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التقاضي ، اذهب به يا عمر فاقضه حقه ، وزده عشرين صاعاً من تمرٍ» فكان هذا سبباً لإسلامه ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .(صلى الله عليه وآله وسلم) .

✪ وكان زيد قبل هذه القصة يقول : لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً - اللهم ارزقنا حلاوة الحلم آمين . ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني والحاكم وغيره ... ثم قال ابن حجر : «ورجال إسناده موثقون ... ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين ... والوليد قد صرح بالتحديث» ١ / ٥٦٦ .

✪ فاختبره بهذه الحادثة فوجده كما وُصف ، فأسلم وآمن وصدق ، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشاهده ، واستشهد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر . (الإصابة ١ / ٥٦٦) .

✪ فقد أقام محمد ﷺ براهين عديدة من أخلاقه على صدقه ، وأن ما يدعو إليه حق ليس بالهزل . ذكره سعيد القحطاني في كتابه «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى .





الفصل الرابع

صور عجيبة من حلمه وصبره ﷺ في الدعوة إلى الله

✪ **فهذا سيد الأنبياء ﷺ يدعو الناس إلى ربهم بالحلم والصبر والحكمة مع أنهم يؤذونه ﷺ بالأقوال والأفعال** ، وهو ﷺ يعفو عنهم ويصفح ويصبر على ما يقولون ويرفق بهم ويحسن إليهم ويحرض أصحابه وأمته على ذلك ، وللداعية في ذلك عظة وعبرة ، فهل من مجيب . !!

✪ وإليك بعض القصص الغريبة في ذلك كما ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى ١٧ / ١٩٩ : ﴿ولو كانوا آباءَهم﴾ المجادلة : ٢٢ :

✪ **القصة الأولى** : قال السدي : نزلت في عبدالله بن عبدالله بن أبيٍّ ، جلس إلى النبي ﷺ ، فشرب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ماء ، فقال له : بالله يا رسول الله ! ما أبقيتَ من شرابك فضلةً أسقيها أبي (رئيس المنافقين) ، لعل الله يطهّر بها قلبه ، فأفضل له فأتاه بها ، فقال له عبدالله : ما هذا ؟ فقال : هي فضلة من شراب النبي ﷺ ، جئتك بها تشربها ، لعل الله يطهّر قلبك بها .

✪ فقال له أبوه : فهلاَّ جئتَني ببول أمّك ، فإنه أطهر منها . فغضب (ابنه عبدالله) وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال : يارسول الله ! أما أذنتَ لي في قتل أبي ؟ فقال النبي ﷺ : «بل ترفق وتحسن إليه» اهـ .

✪ قال أبو طلحة : كان رئيس المنافقين هذا ممن طبع الله على قلوبهم ، ولم يرد أن يطهّر قلبه من الختم عليه كما طهر الله قلوب المؤمنين ثوابا لهم . وصدق الله العظيم : ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب أليم﴾ المائدة : ٤١ .

✪ فحذار من الوقوع في مثل هذه الآيات ، وعلينا أن نتفكر في مثل هذه الآيات حينما يدعونا أحدهم إلى الأعمال الصالحة التي هي مطهرة للقلوب : هل وجدنا طهارة القلب فينا ؟ وإذا لم نجد فعلينا أن نسعى ونحفد في تطهير

قلوبنا أكثر ، حتى لا تكون أدنىٰ مشابهة للكفرة الفجرة في عدم طهارة القلوب كما ذكره الله تعالى في الآيــة المذكورة أنه لم يرد طهارة قلوبهم. **أعاذنا الله من ذلك..**

✪**وهــذه قصــة ثانية عجيبــة** لنبــينا عليه الصلاة والسلام حينما خرج للدعوة والإرشاد إلى رئيس المنافقين ومتبعيه مع رجال من المسلمين فأصابهم ما أصاب فصبر على ما أصابه ﷺ من قولهم وفعلهم فعفى عنه.

✪ فعن أنس بن مالك قال : قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبـدالله بن أُبيٍّ ؟ قال : فانطلق إليه ، وركب حماراً ، وانطلق المسلمون ، وهي أرضٌ سبخَةٌ ، فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني ، فوالله ! لقد آذاني نتن حمارك ، قال : فقال رجل من الأنصار : والله ! لَحمارُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أطيبُ ريحاً منك ، قال : فغضب لعبدالله رجلٌ من قومه . قال : فغضب لكل واحد منهما أصحابُه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والنعال وبالأيدي ، قال : فبلغنا أنها نزلت فيهم : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ الحجرات : ٩ مسلم مع النووي رقم : ٤٦٣٨ .

✪**وفي رواية أخـرى له** : « ... فلما غشيت المجلسَ عجاجةُ الدابة ، خمّر عبدُالله بن أبيٍّ أنفه بردائه ، ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلّم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبدالله بن أبيٍّ : أيها المرءُ ! لا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقاً ، فلا تُؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلىٰ رحلك ، فمن جاء منا فاقصص عليه ، فقال عبدالله بن رواحة : اغْشَنَا في مجالسنا ، فإنا نحب ذلك ، قال : فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، حتى همّوا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يُخفِّضهم، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال : «أي سعدُ ! ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب - يريد عبدالله بن أبيّ قال كذا وكذا ؟» اعف عنه يارسول الله ! واصفح ، فـوالله ! لقـد أعطاك الله الذي أعطاك ، ولقـد اصطلح أهل هذه البُحَـيـرة أن يُتَوِّجـوه ، فيُعصّبـوه بالعصابة ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه ، شَرِق بذلــك - معــناه حسد - فذلك فعل به ما رأيتَ ، فعفـــا عنه النبي ﷺ » .
مسلم مع النووي : ٤٦٣٥ .

القصة الثالثة في سعة رحمته وكمال شفقته وحكمته ﷺ

✪ ومن أمثلة ذلك ما وقع منه عليه الصلاة والسلام لرئيس المنافقين في قصة شفقته ورفقه صلى الله عليه وآله وسلم به عند موته التي تدل على حرصه صلى الله عليه وسلم في إصلاح أمته وهدايتهم ، وقد قال تعالى في همه صلى الله عليه وآله وسلم وحزنه وفي هلاكه صلى الله عليه وسلم نفسه لترك المشركين والمنافقين الإيمان وبُعدهم عنه صلى الله عليه وآله وسلم : فقال : ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ فاطر : ٨ . وقال : ﴿ولا تحزن عليهم﴾ الحجر : ٨٨ والنحل : ١٢٧ . وقال تعالى : ﴿لعلك باخع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين﴾ الشعراء : ٣ . وقال : ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ الكهف : ٦ . قوله : ﴿باخع﴾ أي مهلك .

✪ ففي هذه القصة عبرة للدعاة إلى الله وعظة ، وقد ذكر ها البخاري ومسلم وأحمد رحمهم الله وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره : ٢ / ٣٧٩-٣٨٠ حيث قال :

✪ [ففي رواية لأحمد : عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : لما توفي عبدالله بن أبيّ ، دُعي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للصلاة عليه فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه ، تحولتُ حتى قمت في صدره فقلت : يارسول الله ! أعَلى عدو الله : عبدالله بن أبيّ القائل يوم كذا وكذا وكذا – يعدد أيامه – ؟ قال : ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال : «أخر عني يا عمر ! إني خيّرت فاخترتُ ، قد قيل لي : ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة ...﴾ التوبة : ٨٠ . لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر الله له لزدت» قال : ثم صلى عليه ، ومشى معه ، وقام على قبره حتى فرغ منه قال : فعجبتُ من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

✪**وفي رواية أخــرى لــه**: «لما مات عبدالله بن أبيّ أتى ابنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إنك إن لم تأته لم نزل نعير بهذا ، فأتاه النبي ﷺ فوجده قد أدخل في حفرته فقال : «أفلا قبل أن تدخلوه» ؟ فأخرج من حفرته وتفل عليه من ريقه من قرنه إلى قدمه وألبسه قميصه»]. اهـ ماذكره ابن كثير رحمه الله تعالى .

✪مع هذه الإهتمامات المباركة مع رئيس المنافقين ، قال ﷺ في حقه : [«إن قميصي لا يغني عنه من الله شيئا وإني لأرجو أن يسلم بفعلي هذا ألف رجل من قومي» . كذا في بعض الروايات : «من قومي» يريد من منافقي العرب ، والصحيح أنه قال : «رجال من قومه» . ووقع في مغازي ابن إسحاق وفي بعض كتب التفسير : «فأسلم وتاب لهذه الفعلة من رسول الله ﷺ ألف رجل من الخزرج»] ذكره القرطبي رحمه الله في تفسيره ٨ / ١٤٠ .

✪ فهذه طريقته ﷺ المثلىٰ مع أعدائه وأعداء الدين ، ورئيس المنافقين ، في باب الدعوة إلى رب العالمين ، ويظهر من هذا شدة اهتمامه ﷺ في إصلاح أمته ، وطمعه وحرصه وسعيه ﷺ في إخراجها من الظلمات إلى النور ومن نار الجحيم إلى جنة النعيم .

✪ **فوالله لو كان الأمر بيده صلى الله عليه وآله وسلم ليلقى عليه محبةً منه ﷺ ، بل يلقي قلبه في قلبه** ، ولا يكتفى على القميص وتفل الريق عليه من قرنه إلى قدمه فقط ، ولكن الأمر بيدالله ، وليس له ﷺ من الأمر شيء وصدق الله العظيم : ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ آل عمران : ١٢٨ ، وكذلك القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وهو الواحد القادر على كل شيء ليس غيره وقد قيل : **والله يقضي ما يشاء ويفعل** .

✪وقد روىٰ الترمذي من حديث شهر بن حوشب وفيه : « ... قال : يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله ، فمن شاء أقام ،

ومن شاء أزاغ» . فتلا معاذ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ آل عمران : ٨ .
قال : حديث حسن أورده القرطبي تحت قوله تعالى : ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا...﴾ (الجزء ٤ / ١٥) .

✪ ألا ترى أنه سبحانه يبين مدى رأفته ورحمته وشفقته على أمته ﷺ في كتابه قائلا : ﴿حريص عليكم﴾ (قال : أن تدخلوا الجنة) وقيل : حريص عليكم أن تؤمنوا ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ الرؤوف : المبالغ في الرأفة والشفقة .

✪ (وقال الحسين بن الفضل : لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه قال : ﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ التوبة : ١٢٨ ، وقال ﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾ الحج : ٦٥ .

✪ وقال عبدالعزيز بن يحيى : نظم الآية ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ أي عزيز عليه ما عنتم لا يهمه إلا شأنكم ، وهو القائم بالشفاعة لكم ، فلا تهتموا بما عنتم ما أقمتم على سنته ﷺ ؛ فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة) مابين القوسين من تفسير القرطبي ٨ / ١٩٢ .

✪ قال أبو طلحة : وكان صلى الله عليه وآله وسلم دائم الفكر في الدنيا في طلب المغفرة لأمته ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يدعوا لها بأدعية لا تعد ولا تحصى ، وكان من دعوته لأمته ﷺ بالمغفرة في كل صلاة ، كما في حديث عائشة رضي الله عنها تقول :

✪ لما رأيتُ من النبي ﷺ طيب نفس قلت : يا رسول الله ! أدع الله لي ، قال : «اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر وما أسرّت وما أعلنتْ» فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أيسرّك دعائي ؟» فقالت : وما لي لا يسرني دعاؤك ؟» فقال : «والله إنها لدعْوتي لأمتي في كل صلاة» أخرجه البزار ، وقال الهيثمي : ٩ / ٢٤٤ : رجاله رجال الصحيح ، غير أحمدبن منصور الرمادي وهو ثقة اهـ .

✪ وقد شهد الله سبحانه من فوق سبع سموات ومن أكبر شهادة من

الله ؟ ومن أصدق منه حديثا ، فقال في كتابه الكريم : ﴿النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ الأحزاب : ٦ .

✪ ذكر القرطبي مفسراً للآية السابقة فقال : [قال ابن عطية : وقال بعض العلماء العارفين : هو أولى بهم من أنفسهم ؛ لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك وهو يدعوهم إلى النجاة . وقال ابن عطية : ويؤيد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : «أنا آخِذ بحُجزِكم عن النارِ وأنتم تقتحمون فيها تقحّم الفَراش» .

✪ قلت - القرطبي - : هذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها ، والحديث الذي ذُكر أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «إنما مثَلي ومثَل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً ، فجعلت الدواب والفَراش يقعن فيه وأنا آخذٌ بحُجزكم وأنتم تقحّمون - أي تدخلون - فيه» .

✪وعن جابر مثله ؛ وقال : «وأنتم تفلتون من يدي» . قال العلماء : الحُجزة للسراويل ، والمقعد للإزار ؛ فإذا أراد الرجل إمساك من يخاف سقوطه أخذ بذلك الموضع منه .

✪وهذا مثل لاجتهاد نبينا عليه الصلاة والسلام في نجاتنا ، وحرصه على تخلّصنا من الهلكات التي بين أيدينا ؛ فهو أولى بنا من أنفسنا ؛ ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدوّنا اللعين بناصِرنا أحقر من الفَراش وأضل من الفَراش ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! ...] اهـ ما ذكره القرطبي .

✪ قال أبو طلحة : هذا حاله ومدى اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم مع أمته في الرأفة والرحمة والشفقة ، ونجاتها من النار وهو ﷺ في دار الدنيا . وكذلك النبي ﷺ لا ينسانا في الدار الآخرة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ويدعو لنا بالمغفرة ، حتى يخرج من شاء الله من أمته من النار بشفاعته المأذونة ، بعد أن يخر لله ساجداً ثلاث مرات : «فيقال : يا محمد ! إرفع رأسك ، وقل تُسْمَع ، وسل تعطه ، واشفع تشفّع ، فأقول : يارب ! أمتي أمتي» الحديث بطوله وأصله في الصحيحين .

✪ انظر إلى مبلغ اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم في هم أمته وفكره في نجاتها من النار ! فهل لنا في هذه الفكرة والحزن نصيب . استفت قلبك ؟ وفقنا الله للأسوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم آمين .

✪ **وهذا سيدنا يوسف الصدّيق** ﷺ الداعيــــة إلى الله يدعو الناس إلى ربهم وهو في السجن حينما ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ يوسف : ٣٦ ، ونحن في الحرية ، في الروحة والراحة وفي بحبوحة من العيش ، وخارج السجن وما ندري ما الدعوة ؟ وما هو واجبنا نحوها ؟ وقد قال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم : «بلغوا عني ولو آية» .

✪ فاختار عليه الصلاة السلام طريقة الدعوة المثالية حتى استأنس به أهل السجن وصاحب السجن ، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف ﷺ كما ذكره القرطبي ٩ / ١٢٤ مفسرا للآية السابقة :

✪ فقال : [قال وهب وغيره : حمل يوسف صلى الله عليه وسلم إلى السجن مقيّداً إلى حمار ، وطِيف به «هذا جزاء من يعصي سيدته» وهو يقول : هــذا أيسر من مُقَطَّعات النيران وسرابيل القطِران ، وشراب الحميم ، وأكل الزقوم . فلما انتهى يوسف إلى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم ، واشتد بلاؤهم ، فجعل يقول لهم : «اصبروا وأبشروا تؤجروا» فقالوا له : يا فتى ! ما أحسن حديثك ! لقد بورك لنا في جوارك ، من أنت يا فتى ؟ قال : أنا يوسف ابن صفيّ الله يعقوب .

✪وقال ابن عباس لما قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني ، وأنا أريد أن تسجنه ، فسجنه في السجن ؛ فكان يعزّي فيه الحزين ، ويعود فيه المريض ، ويداوي فيه الجريح ، ويصلي الليل كله ، ويبكي حتى تبكي معه جُدر البيوت وسقفها والأبواب ، وطهر به السجن ، واستأنس به أهل السجن فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف ، وأحبه صاحب السجن فوســع عليه فيه ؛ ثم قال له : يا يوسف ! لقــد أحببتك حبّاً

لم أحبّ شيئاً حبك ؛ فقال : أعوذ بالله من حبك ، قال : ولمَ ذلك ؟ فقال : أحبني أبي ففعل بي إخوتي مافعلوا ، وأحبتني سيدتي فنزل بي ما ترى ...] اهـ

✪ **فكل من قام بحق فلا بد أن يؤذى** : وقال ابن كثير في تفسيره بعد ذكر قصة رئيس المنافقين : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ويصبرون على الأذى - فكيف بالمسلمين المؤمنين وقد قال تعالى : ﴿رحماء بينهم﴾ - قال الله تعالى : ﴿ولتَسمَعُنّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً﴾ آل عمران : ١٨٦

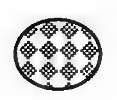
✪ وقال تعالى : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾ البقرة : ١٠٩ .

✪ قال تعالى : ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا﴾ الأنعام : ٣٤ .

✪ وقال تعالى : ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي﴾ آل عمران : ١٩٥ .

✪ ثم قال : [فكل من قام بحق أو أمر بمعروف ، أو نهىٰ عن منكر ، فلا بد أن يؤذى . فما له دواء إلا الصبر في الله ، والاستعانة بالله ، والرجوع إلى الله . و قال تعالى : ﴿ولَمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ الشورى : ٤٣ أي ترك الانتصار لوجه الله تعالى] اهـ .

✪ [ويحكى أن رجلا سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله ، فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ، ثم قام فتلا هذه الآية ؛ فقال الحسن : عقلها والله ! وفهمها إذ ضيّعها الجاهلون]. (تفسير القرطبي : ١٤ / ٤٤) .



لفصل الخامس

فصل هام جداً

في الداعين إلى الله من الحيوانات والطيور والجن

✪ كما ذكرنا من قبل أن الداعي الحقيقي هو الله تعالى ثم أنبياؤه عليهم الصلاة والسلام ومتبعيهم من العلماء والصلحاء . فهذا العمل الدعوي السني هو من أحسن الأعمال والأقوال وخاص بالإنسان بعد رب العزة والجلال .

قال أحدهم : **والدعوة إلى الله دعوة عالمية** ، وعلى هديها تجد الإنسانية سلامها المفقود ، وتخرج من الظلمات إلى النور ، ومن القلق والحيرة إلى نور الطمأنينة واليقين ، وهي تخرج الإنسانية من فرقة السبل إلى الصراط المستقيم قال تعالى : ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ● يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ المائدة : ١٥-١٦ .

وقال : والدعوة الإسلامية - وهي تنسب إلى الحق وحده دون سواه - لها أعماقها في فطرة الخلق وحقائق الوجود ، وتهدي للتي هي أقام ... فإن عجز العالم الإسلامي في فترة ما أن يبرهن بسلوكه الجماعي على حقائق دينه والدعوة إليه . فلن يعجز الدين نفسه عن نشر حقائقه على العالم كلها في فطرة هادية ، ومسلك راشد ممن يختارهم الله ويؤتيهم ما شاء من فضله ، يقول رب العزة والجلال للحاضرين على وجه الأرض من عباده : ﴿وإن تتولّوا يستهدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد : ٣٨) . اهـ

فإن لم يقوموا الحاضرين من المسلمين بحق الدعوة إلى رب العالمين ! ولم يدعوا الناس إلى ربهم : **فاسمعون !** فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يفوض عمل هذه الدعوة إلى غيركم من الإنس والجن والحيوانات والطيور وغير ذلك من المخلوقات ، وما ذلك على الله بعزيز وهو على كل شيئ قدير .

✪ **وإليك بعض القصص والروايات التي تدل على أن الجن والحيوانات والطيور كانوا يدعون الناس إلى رب الناس** ، فيا من دعواه أنه من المحبين لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فانظر ماذا ترى بعد قراءة هذه الروايات الآتية ؟ ! ولا تكن أعجز من الحيوان في الدعوة إلى الله ، وحذار من الوقوع في قول القائل : وجائزة دعوى المحبة في الهوىٰ

ولكنْ لا يخفى كلامُ المنافق

قصة الجني الذي يدعو سواد بن قارب إلى الإيمان

✪ فهذا سواد بن قارب رضي الله عنه يخبره الجن بخبر نبوته صلى الله عليه وآله وسلم ويدعوه إلى الإيمان مرة بعد أخرى ، فانطلق - رضي الله عنه - متوجها إلى مكة وأسلم كما يحكي ذلك سواد بن قارب ويقول :

(فقمت وقلت : قد امتحن الله قلبي ، فرحلتُ ناقتي ، ثم أتيت المدينة - يعني مكة - فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه ، فدنوت فقلت : اسمع مقالتي يارسول الله (ﷺ) ، قال : هات ، فأنشأتُ أقول :

أتاني نجيّي بعد هدء ورقدة ... لم يك فيما قد بلوت بكاذب

ثلاث ليال قوله كل ليلة ... أتاك رسول من لؤي بن غالب

فشمرت من ذيل الإزار ووسَّطت ... بي الذِّعلب الوجاءُ غُبر السباسب

فأشهد أن الله لا شيء غيره ... وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمُرنا بما يأتيك يا خير من مشى ... وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... سواك بمغنٍ عن سواد بن قارب

✪ قال : ففرح رسول الله ﷺ وأصحابه بمقالتي فرحاً شديداً ؛ حتى رئي الفرح في وجوههم ، قال : فوثب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فالتزمه وقال : قد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك ، فهل يأتيك رئيك اليوم ؟ قال : أما منذ قرأت القرآن فلا ، ونعم العوض كتاب الله من الجن ... إلى آخر الحديث الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي والبيهقي عن محمد بن كعب والبخاري في التاريخ والبغوي والطبراني وابن أبي خيثمة والروياني عن أبي جعفر الباقر ، وابن

شاهين عن أنس بن مالك كما بسط طرق هؤلاء في الإصابة ٢ / ٩٦ .

✪ ويشهد له حديث البخاري في صحيحه وهو كالآتي : (... قال عمر ، صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول : يا جَلِيح ، أمر نجيح - من النجاح - ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا الله ، فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله ، فقمت فما نشبنا أن قيل : هذا نبي . تفرد به البخاري .

هاتف الجن يدعو تميم الداري إلى الإسلام

✪ وكذلك أسلم تميم الداري رضي الله عنه بعد ما أخبره هاتف الجن وقال له : (قد خرج رسول الأمين - رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - وصلينا خلفه بالحجون ، فأسلمنا واتبعناه ، وذهب كيد الجن ، ورميت بالشهب ، فانطلقْ إلى محمد رسول رب العالمين فأسلِم ، قال تميم : فلما أصبحتُ ذهبت إلى دير أيوب فسألت راهباً ، وأخبرته الخبر ، فقال الراهب : قد صدَقوك ، يخرج من الحرم ، ومهاجره الحرم ، وهو خير الأنبياء ؛ فلا تُسبق إليه ؛ قال تميم : فتكلفت الشخوص حتى جئتُ رسول الله ﷺ فأسلمت . كذا في البداية ٢ / ٣٢٤-٣٥٠.

✪ وقد ورد في صحيح مسلم أن داعي الجن يدعو نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى أن يجيىء عندهم فيقرأ عليهم القرآن . وفيه إشارة واضحة إلى نصرة دين الله سبحانه من داعي الجن .

✪ فعن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن» وفيه : وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة . الحديث رواه مسلم وأورده القرطبي في تفسيره : ١ / ٢١٦ .

تكليم الذئب لراع وإخباره له بخبر النبي ﷺ

✪ وهذا ذئب من الحيوانات يدعو الناس إلى الإسلام ويخبر بخبر النبي عليه الصلاة والسلام كما أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عدا الذئب على شاة فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه فأقعى الذئب على ذنبه ،

فقال : ألا تتقي الله ؟ تنزع مني رزقا ساقه الله إليَّ ، فقال : يا عجبي ، ذئب يكلمني كلام الإنس ! فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ، محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها ، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للراعي : «أخبرهم» فأخبرهم ، فقال رسول الله ﷺ : «صدق ، والذي نفس محمد بيده ، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنسَ ، ويكلم الرجلَ عذبة سوطه ، وشراك نعله ، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده» وهذا إسناد على شرط الصحيح ، وقد صححه البيهقي ولم يروه إلا الترمذي من قوله : «والذي نفسي بيده» (إلى آخره ... ثم قال : هذا حديث حسن غريب صحيح . كذا في البداية ٦ / ١٤٣) .

✪وقد تكلم القاضي عياض على حديث الذئب ، فذكر عن أبي هريرة ، وأبي سعيد وعن أُهبان بن أوس رضي الله عنهم ، وأنه كان يقال له : مكلم الذئب ؛ قال : وقد روى ابن وهب أنه جرى مثل هذا لأبي سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية مع ذئب وجداه أخذ ظَبْياً ، فدخل الظبي الحرم ، فانصرف الذئب ، فعجبا من ذلك ، فقال الذئب : أعجب من ذلك محمد بن عبدالله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار . فقال أبو سفيان : واللات والعزى ، لئن ذكرت هذا بمكة ليتركنها أهلوها . (كذا في البداية ٦ / ١٤٦ ، وحياة الصحابة ٤ / ٥٠١) .

بشارة الذئب لرافع بن عمر بمجيء النبي ﷺ

✪وجرى مثل ذلك لرافع بن عمر السمبسي رضي الله عنه كما ذكره ابن إسحاق في المغازي وقال : إنه هو الذي كلمه الذئب . وقد أشار إلى ذلك بقوله :

فلما أن سمعت الذئب نادى ... يبشرني بأحمد من قريبي
سعيتُ إليه قد شمّرتُ ثوبي ... عن الكعبين معتمدا ركوبي
فألفيت النبي يقول قولاً ... صدوقاً ليس بالقول الكذوب
يبشِّرني بدين الحق حتى ... تبيَّنت الشريعة للمنيب

وأبصرتُ الضياء يضيء حولي ... أمامي إن سعيت ومن جنوبي
ألا أبلغ بني عمرو بن عوف ... وأختهم حذيلة أن أجيبي
دعاء المصطفى لا شك فيه ... فإنك إن تجيبي لا تخيبي
صلوات الله وسلامه عليه

ذكره في الإصابة ١ / ٤٩٧ ، وشعر الدعوة ص ١٠٧ ، ومنح المدح ص ١٠٣ .

البقرة تدعو الناس إلى «لا إله إلا الله»

✪أخرج أحمد عن مجاهد قال : حدثني شيخ أدرك الجاهلية ونحن في غزوة رُودَس- جزيرة بأرض الروم - يقال له ابن عيسى قال : كنت أسوق لآل لنا بقرة فسمعت من جوفها : يا آل ذريح ، قول فصيح ، رجل يصيح : أنْ لا إله إلا الله قال : فقدمنا مكة فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج بمكة . (قال الهيثمي ٨ / ٢٤٣ : رجاله الثقات).

البقرة تنهى صاحبها عن المنكر

✪فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «بينما رجل يسوق بقرة إذ أعيا ، فركبها ، فقالت : إنّا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا لحراثة الأرض ، فقال الناس : سبحان الله بقرة تكلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «فإني أوْمِنُ به أنا ، وأبو بكر ، وعمر ، وما هما ثم . وقال بينما رجل في غنم له ، إذا عدا الذئب على شاة منها ، فأخذها ، فأدركها صاحبها ، فاستنقذها ، فقال له الذئب : فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري ، فقال الناس : سبحان الله ! ذئب يتكلم ، فقال : «أومِنُ به أنا ، وأبو بكر ، وعمر ، وما هما ثمّ» . (متفق عليه كما في المشكاة «باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما » .

الهدهد يدعو ملكة سبأ إلى الإسلام والمسلمين

✪ وهذا طير معروف رسولُ رسولِ الله سليمان صلوات الله وسلامه عليه إلى الملكة بلقيس يدعوها إلى الإسلام ، وقد ذكرالله تعالى اسمه في كتابه الكريم

وقصته مع سليمان صلوات الله وسلامه عليه معروفة ، قال تعالى : ﴿ وتفقّد الطيرَ فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ۝ لأعذّبنّه عذاباً شديداً أو لأَأْذبَحَنَّه أو لَيأتيَنّي بسُلطان مبين ۝ فمكث غيرَ بعيدٍ فقال أحطتُ بما لم تحط به وجئتُك من سَبإٍ بنبإٍ يقين ۝ ﴾ النمل : ٢٠-٢٢ .

✪ فلما جاء الهدهد بنبإٍ من سبإٍ لسليمان ﷺ وقال : ﴿ إني وجدتُّ إمرأة تملكهم وأوتيتْ من كل شيء ولها عرش عظيم ۝ وجدتُّها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيَّن لهم الشيطان أعمالَهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون - إلى قوله - قال سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين ۝ ﴾ سورة النمل : ٢٣-٢٧ .

✪ فأخبر الهدهدُ سُليمان ﷺ عن المشركين من أهل سبإٍ بأنهم ممن يعبد الشمس ، لأنهم كانوا زنادقة فيما يروى ، وتملكهم بلقيس بنت شراحيل ، وأعلم سليمانَ عليه السلام ما لم يكن يعلمه ، فأرسله إليهم يدعوهم إلى الإسلام والمسلمين وقال : ﴿ إذهبْ بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ۝ قالت يا أيها الملؤُا إني ألقِي إلىّ كتاب كريم ۝ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ۝ ألاَّ تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ﴾ النمل : ٢٨-٣١ .

✪ قال القرطبي في تفسيره : ١٣ / ١٢٧ : [قال وهب وابن زيد : كانت لها كوّة - في قصرها - مستقبل مطلع الشمس ، فإذا طلعت سجدت ، فسدها الهدهد بجناحه (فمنعها من عبادة الشمس بفعله هذا ، وعمله هذا يدل على النهي عن المنكر الذي يعد من أخص أوصاف المؤمن الداعية إلى الله جلت عظمته) فارتفعت الشمس ولم تعلم ، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى الصحيفة إليها ، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت ، لأن مُلك سليمان عليه السلام كان في خاتمه ؛ فقرأته فجمعت الملأ من قومها فخاطبتهم ...] اهـ

✪ ثم قال القرطبي : [في هذه الآية دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة ، ودعائهم إلى الإسلام ، وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وإلى كل جبار]. اهـ

✪**ومـن اللطائـف مـا حكى القزويني** إن الهدهد قال لسليمان عليه السلام : أريد أن تكون في ضيافتي ، قال : أنا وحدي ؟ قال : لا ، أنت وعسكرك في جزيرة كذا ويوم كذا ، فحضر سليمان بجنوده ، فطار الهد هد واصطاد جرادة فخنقها ورمى بها في البحر ، وقال : كلوا يا نبي الله منه ، فإن اللحم ناله المرق ، فضحك سليمان (عليه الصلاة والسلام) وجنوده من ذلك حولا كاملا . اهـ من المرقاة شرح المشكاة : ٨/ ١٥١ .

الحمار ينهى مالكه عن المنكر والأذى

✪ذكر الإمام الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ رحمه الله تعالى في كتابه «الكبائر» ص ٢٠٥ : قال أبو سليمان الداراني : ركبتُ مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثا ، فرفع رأسه ونظر إليّ ، وقال : يا أبا سليمان ! هو القصاص يوم القيامة ، فإن شئت فأقلل ، وإن شئت فأكثر : قال : فقلت : لا أضرب شيئا بعده أبداً . اهـ

الكلب ينصر أهل الإيمان ويحرسهم ويعينهم على الحق والهدى

✪قال تعالى : ﴿ نحن نقصُّ عليك نبأهم بالحق إنهم فِتيةٌ آمنوا بربهم وزدناهم هدىٰ ﴾ الكهف : ٢٣٧ . قال القرطبي مفسرا لقوله تعالى ﴿ وزدناهم هُدىٰ ﴾ : [أي يسرناهم للعمل الصالح ؛ من الانقطاع إلى الله تعالى ، ومباعدة الناس ، والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة على الإيمان .

✪ وقال السُّديُّ : زادهم هُدًى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه مخافةَ أن يَنْبَحَ عليهم ويُنَبِّه بهم ؛ فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداعي فأنطقه الله ، فقال يا قوم ! لمَ تطردونني ! لِمَ ترجمونني ! لمَ تضربونني ! فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة ؛ فزادهم الله بذلك هدى] . اهـ من أحكام القرآن للقرطبي : ١٠ / ٢٣٧ .

✪ثم ذكر القرطبي : ١٠ / ٢٤١ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ وكلبُهم باسط ذراعيه بالوصيد ﴾ الكهف ب : ١٨ : [... وقال ابن عباس : هربوا ليلاً ؛

وكانوا سبعة ، فمروا براع معه كلب فاتبعهم على دينهم .

✪وقال كعب : مرُّوا بكلب ، فنبح لهم فطردوه ، فعاد فطردوه مراراً ، فقام الكلب على رجليه ، ورفع يديه إلى السماء كهيئة الداعي : فنطق فقال : **لا تخافوا مني ! أنا أحب أحباء الله تعالى ، فناموا حتى أحرسكم . اهـ .**

✪ **جوهرة من الجواهر** : قال ابن عطية : وحدثني أبي رضي الله عنه قال : سمعت أبا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على المنبر وعظه سنة تسع وستين وأربعمائة : «إن من أحب أهل الخير نال من بركتهم ؛ كلبٌ أحبَّ أهل فضل وصحبهم ، فذكره الله في محكم تنزيله » .

قلت ـ القرطبي ـ : **إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء** حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه جل وعلا فما ظنك بالمؤمنين الموحدين المخالطين / المحبين للأولياء والصالحين ! بل في هذا تسلية وأنس للمؤمنين المقصّرين عن درجات الكمال ، المحبين للنبي ﷺ وآله خير آل .

✪ روى الصحيح عن أنس بن مالك قال : بينا أنا ورسول الله ﷺ خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدّة المسجد فقال : يارسول الله ، متى الساعة ؟ قال رسول الله ﷺ : «ما أعددتَ لها ؟» قال : ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله – ﷺ – قال : «فأنت مع من أحببت» . قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر ، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم .

✪ قلت – القرطبي – : وهذا الذي تمسك به أنس يشمل من المسلمين كل ذي نفس ، فكذلك تعلقت أطماعنا بذلك وإن كنا مقصرين ، ورجونا رحمة الرحمن وإن كنا غير مستأهلين ؛ كلبٌ أحب قوماً فذكره الله معهم ! فكيف بنا وعندنا عقد الإيمان وكلمة الإسلام ، وحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ الإسراء : ٧ ، اهـ ما ذكرهُ القرطبي في تفسيره ١٠ / ٢٤٢ .

قصـــة الكلـب (الــوفيّ) لمـالكـه

[وفي عجـائب المخلوقات أن شخصـاً قتل شخصـاً بأصفـهان وألقاه في بئـر ، وللمقتـول كلب يرى ذلك ، فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر ، وينحّي التراب عنها ويشير ، وإذا رأى القاتل نبح عليه ، فلما تكرر منه ذلك ، حفروا الموضع فوجدوا القتيل ، ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به]. ذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢ / ٢٧٥ .

✪قلت : قد وقع القصاص (وهو حد من حدود الله) على القاتل بإعانة الكلب وهذا نصرة من الكلب لدين الله سبحانه .

✪وفي «تنوير الأذهان ٢ / ٣٧٥» [وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «كلب أمين خير من صاحب خوان ، وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم ، وكان شديد المحبة لهم ، فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد ، فدخل على زوجته فأكلا وشربا ثم اضطجعا ، فوثب الكلب عليهما فقتلهما ، (أى الخائنين والمفسدين في الأرض) فلما رجع الحارث إلى منزله ووجدهما قتيلين عرف الأمر فأنشد يقول :

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ... ويحفظ عرسي والخليلُ يخون
فيا عجباً للخل تحليل حرمتي ... ويا عجباً للكلب كيف يصون]

النملة المؤمنة تنصح لسيدنا سليمان ﷺ وتعظه

✪قوله : «النملة المؤمنة» ذكر القرطبي رحمه الله في تفسيره ١٣ / ١١٤ مفسرا لقوله تعالى ﴿قالت نملة يا أيها النملُ﴾ النمل : ١٨-١٩ :

✪وقال : [وسميت النملة نملة لتنملها : وهو كثرة حركتها وقلة قرارها، وقيل : كان اسمها «طاخية» . وقال السهيلي : ذكروا اسم النملة المكلِّمة لسليمان عليه السلام وقالوا : اسمها «حرميا» ... هذه النملة الناطقة

قد سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الزبور أو في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم ، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان أو بعضهم .

✪ومعنى قولنا : بإيمانها أنها قالت للنمل : ﴿ لا يحطمنّكم سليمانُ وجنودُه وهم لا يشعُرون ﴾ فقولها : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ التفاتة مؤمن . أي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألاّ يشعروا .

✪وقد قيل : إن تبسم سليمان كان سروراً بهذه الكلمة منها ، ولذلك أكّد التبسم بقوله ﴿ ضاحكاً ﴾ إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا ، ألا تراهم يقولون : تبسم تبسم الغضبان ، وتبسم تبسم المستهزئين . وتبسم الضحك إنه هو عن سرور ، ولا يُسرُّ نبيّ بأمر دنيا ؛ إنما سُرّ بما كان من أمر الآخرة والدين . وقولها : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ إشارة إلى الدِّين والعدل والرأفة .

✪ ونظير قول النملة في جند سليمان : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ قول الله تعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ فتُصيبَكم منهم معرّةٌ بغير علم ﴾ الفتح : ٢٥ التفاتاً إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن . إلا أنّ المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى . والمثني على جند محمد صلى الله عليه وسلم هو الله عز وجل بنفسه ؛ لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند غيره من الأنبياء ؛ كما لمحمد صلى الله عليه وسلم فضل على جميع النبيين صلى الله عليهم وسلم أجمعين .

ثم ذكر القرطبي في ١١٥ / ١٣ : (وقال : ﴿ ادْخلوا مساكنكم ﴾ فجاء على خطاب الآدميين ، لأن النمل ههنا أجرى مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون .

✪**موعظة النملة ونصحها لسيدنا سليمان عليه السلام**) قال أبو إسحاق الثعلبي : ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها : لِمَ حذّرتِ النمل ؟ أخفت ظلمي ؟ أما علمتِ أني نبيّ عدل ؟ فلم قلت : ﴿ يحطمنّكم سليمان وجنودُه ﴾ .

فقالت النملة : أما سمعت قولي : ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ مع أني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ،

أو يفتتن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر .

فقال لها سليمان : عظيني .

فقالت النملة : أما علمتَ لِمَ سُمِّي أبوك داود ؟ قال : لا .

قالت : لأنه داوىٰ جراحة فؤاده .

هل علمتَ لِمَ سُميتَ سليمان ؟

قال : لا .

قالت : لأنك سليم الناحية على ما أوتيته بسلامة صدرك ، وإن لك أن تلحق بأبيك .

ثم قالت : أتدري لِمَ سخّر الله لك الريح ؟

قال : لا .

قالت : أخبرك أن الدنيا كلها ريح . ﴿فتبسم ضاحكاً من قولها﴾ متعجباً .

✪**ثم مضت مسرعة إلى قومها** فقالت : هل عندكم من شيء نهديه إلى / نبي الله ؟ قالوا : وما قدر ما نهدي له ! والله ما عندنا إلا نبقة واحدة . قالت : حسنة ؛ ايتوني بها . فأتوها بها فحملتها بفيها فانطلقت تجرها ، فأمر الله الريح فحملتها ، وأقبلت تشق الإنس والجن والعلماء والأنبياء على البساط ، حتى وقعت بين يديه ، ثم وضعت تلك النبقة من فيها في كفه وأنشأت تقول :

ألم ترنا نُهدي إلى الله مالَه ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابلهْ
ولو كان يُهدَى للجليل بقدره ... لقصّر عنه البحرُ يوماً وساحلُهْ
ولكننا نُهدي إلى من نحبه ... فيرضىٰ به عنا ويشكر فاعلُهْ
وما ذاك إلا من كريم فعاله ... وإلا فما في ملكنا ما يشاكلُهْ

✪ فقال لها : بارك الله فيكم ؛ فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله ، وأكثر خلق الله .

✪وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب : الهدهد ، والصُّرد ، والنمل ، والنحلة» خرجه أبو داود وصححه أبو محمد عبدالحق .

✪ فالنملة أثنت على سليمان وأخبرت بأحسن ما تقدر عليه بأنهم لا

يشعرون إن حطموكم ، ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم ، فنفت عنهم الجور ؛ ولذلك نهى عن قتلها . وعن قتل الهدهد : لأنه كان دليل سليمان على الماء ورسوله إلى بلقيس ...] إلى آخر ما ذكره القرطبي رحمه الله .

✪**قول النملة** : «مع إني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنينّ مثل ما أعطيت ، أو يفتنن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر»

✪ قال أبو طلحة : قولها هذا أيضاً من التفاتة مؤمن مخلص، مبغض للدنيا وزخارفها ، والذي يذكر الله كثيراً ، يؤثر ذكره سبحانه وتسبيحه على ذكر غيره من الدنيا بترك حبها ، والاعراض عن زوائدها ، والإقبال على الآخرة وعوائدها ، إذ أرادت بقولها : ﴿لايحطمنكم سليمان وجنوده﴾ : حطم القلوب وفسادها ، لأن حطم القلوب وفسادها أعظم وأشنع من حطم النفوس ، والقلب هو منبع الصلاح والفساد ومنشأهما ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « ... ألا وإن في الجسد مضغطةً ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب» . متفق عليه كما في المشكاة كتاب البيوع .

✪ **وقال بعض الصالحين** : خرجت إلى السوق ومعي جارية حبشية ، فأجلستها في مكان وقلت لها : لا تبرحي حتى أعود إليك ، فذهبت حتى عدت إلى المكان فلم أجدها فيه ، فانصرفت إلى منزلي وأنا شديد الغضب عليها ، فجاءتني وقالت لي : يا مولاي ! لا تعجل عليّ ، فإنك أجلستني بين قوم لا يذكرون الله تعالى، فخشيت أن ينزل بهم خسف وأنا معهم ، فقلت : إن هذه الأمة رفع عنها الخسف إكراماً لنبيها محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت : إن رفع عنها خسف المكان فما رفع عنها خسف القلوب ؟ فسررتُ بجوابها فأعتقتها ثم تزوجتها .

ذكر الإله للقلوب قوت ... إذا انتهى فإنها تموت

✪أخي الكريم وأختي الكريمة ! انظر إلى فكرة الجارية المسلمة المؤمنة وذكائها ، وإلى قولها بخسف القلوب ، وحبها بذكر الله تعالى وهي في السوق أو الطريق .

✪ثم انظر إلى فكرة النملة المؤمنة وذكائها ، وقولها لسيدنا سليمان ﷺ : «إني لم أرد حطم النفوس ، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت ، أو يفتتن بالدنيا ، ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر» الذي فيه لذة للشاربين ، ومن لم يذق لم يدر .

✪ثم قارن بين هاتين الأختين المؤمنتين وفكرهما في الآخرة ، وحبهما لذكر الله ، ثم قارن بينك وبينهما في فكر الآخرة والاستعداد لها ، ولا تكن أعجز من النملة والجارية الحبشية في ذكر ربك - حيث كنت - الذي أثنى على قوم فقال : ﴿ رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة ﴾ . النور : ٣٧ .

✪فلا بد من تدارك الأمر والاستعداد للآخرة بالتوبة والاستغفار ، قبل نزول ما نزل بالقوم الأشرار ، نعوذ بالله من ذلك .

✪ **وقول النملة** : «ويشتغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر» قال أبو طلحة: ما هي مجرد كلمة قالتها النملة ، ولا تمثيل فقط ، بل يؤيده النص القطعي والظني من كتاب الله وسنة رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

✪فقد قال تعالى : ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ الإسراء : ٤٤ .

✪وفي الصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وابن أبي حاتم (وابن ماجه) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه من أجل نملة واحدة : أحرقت أمة من الأمم تسبح (الله) . ذكره السيوطي رحمه الله في الدر المنثور : ٤ / ١٨٣

✪ **ومن الغرائب** ما روى الدار قطني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لا تقتلوا النملة ، فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى ، وإذا هو بنملة مستلقية على قفاها ، رافعة قوائمها تقول : اللهم إنا خلق من خلقك ، ولا غنى لنا عن فضلك ، اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين ، واسقنا مطراً تنبت لنا به شجراً ، وأطعمنا ثمراً ، فقال سليمان عليه السلام لقومه : «ارجعوا فقد كفينا وسقينا بغيركم» ذكره في المرقاة : ٨ / ١٥٠

✪ **النملة والحوت ليصلون على معلم الناس الخير** فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : ذكرلرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم ، فقال رسول الله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» ثم قال :رسول الله ﷺ : «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض – من الإنس والجن وجميع الحيوانات – حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير» رواه الترمذي ورواه الدارمي عن مكحول مرسلا كما في المشكاة كتاب العلم .

✪ **عشرة من الحيوانات تدخل الجنة** وبما أننا ذكرنا في هذا الفصل بعض القصص والروايات المتعلقة بالحيوانات مثل الذئب والبقر والحمار والكلب و الهدهد والنمل والحوت ، فكانت هذه الحيوانات تدعو الناس إلى رب الناس ، وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر – كما ذكرناه فمن الوفاء أن نذكر ههنا بأن عشرة من الحيوانات يدخلون الجنة مع المؤمنين .

✪ ففي «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» ٢ / ٣٧٥ : روى أنه يدخل الجنة مع المؤمنين على ما قال مقاتل عشرة من الحيوانات : تدخل الجنة ناقة صالح ، وعجل إبراهيم ، وكبش إسماعيل ، وبقرة موسى ، وحوت يونس ، وحمار عزير ، ونملة سليمان ، وهدهد بلقيس ، وكلب أصحاب الكهف ، وناقة محمد – صلى الله عليهم وسلم أجمعين – فكلهم يدخلون الجنة . ذكره في مشكاة الأنوار اهـ . اللهم ادخلنا جنة الفردوس مع الأبرار، آمين .

✪ قال أبو طلحة : **وفي هذا المذكور عبرة لمن اعتبر** :

✪ **فمن العار والخجل** : أن دخل هذه الحيوانات الجنة ويقضى لبعض بني آدم بالنار والعار نعوذ بالله من ذلك .

✪ وما ذلك إلا بسبب غفلة الإنسان عما خلق له وهو العبادة ، وتمرده عن الطاعة ، وإيثاره الدنيا على الآخرة ، قال تعالى : ﴿فأما من طغىٰ وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوىٰ﴾ النازعات : ٣٧-٣٩ .

✪ وقدنسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله : «الناس نيام ، إذا ماتوا انتبهوا» .

✪وقال الذهبي في الكبائر : كن كيف شئتَ ، فبين يديك الحساب والزلزلة ، ونعّم جلدك فلابد للديدان أن تأكله ، فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله ، فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .اهـ ينبه أحدهم ويقول :

عمرك بالحمية أفنيته خوفاً من البارد والحار
فكان أولى لك أن تتقي من المعاصي حذر النار

✪ ففي هذه الروايات التي تدل على أن الجن والحيوان والطير كانوا يدعون الناس إلى رب الناس - عبرة لمن ادعى الإسلام ، وشهد بالشهادتين ، ودعواه أنه يحب الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه - .

✪ فلا تكن أيها المسلم ! أعجز من الجن والبقر والحمار والطير والكلب والنمل في الدعوة إلى الله ، ففي ذلك كفاية لمن كان له قلب .



الفصل السادس

إنعام الباري على من نصر دينه في الدنيا

✪ قال الله تعالى في كتابه : ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ ونصرة الله هي نصرة دينه سبحانه بطريق الدعوة والعمل بما جاء به رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، فما نال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الفضل والثناء المذكور في الكتاب والسنة ، والذي شهدت به الأعداء ، إلا بنصرة دين الله في الأرض ، وإتباعهم له صلى الله عليه وآله وسلم في الشدة والرخا ، وإيثار دار البقاء على دار الفناء ، حتى سخر الله لهم عدداً من المخلوقات ، كخضوع الأسد ، وتكليم الذئب لراع ، وتسخير البحار ، وإطاعة النيران ، وإضاءة العرجون ، وإظلال السحاب ، ونزول الغيث بالدعاء ، وتحول الغصن سيفاً وغير ذلك ، وكان ذلك من الكرامات التي يؤيد الله بها بعض عباده الصالحين .

✪ وكان آنذاك إذا خاطب أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم - حيواناً - ويقول : «يا أبا الحارث - كنية الأسد - أنا مولى رسول الله ﷺ ، وكان من أمري كيت وكيت ، فكان يقبل الأسد له بصبصة ويهوي إليه ، ويخدمه على ما يريد القائل الخارج لإعلاء كلمة الله .

✪ هذا حال الحيوان في امتثاله لأمر صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما بالك في امتثاله بأمر النبي ﷺ نفسه ؟! هل يرفضه ؟ كلا ! لا ينكره ولا يرفضه بمشيئته سبحانه . ولنا في ذلك عبرة وعظة.

قصة خضوع الأسد لمن خرج لإعلاء كلمة الله

✪ وقصة خضوع الأسد هذه أخرجها الحاكم ٣ / ٦٠٦ عن محمد بن المنكدر ، أن سفينة رضي الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها ، فركبتُ لوحاً من ألواحها ، فطرحني اللوح في أجمة - المكان الذي يوجد فيه القَصَب - فيها الأسد ، فأقبل إليّ يريدني

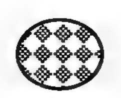
فقلت : يا أبا الحارث ! أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فطأطأ رأسه ، وأقبل إليّ ، فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ، ووضعني على الطريق ، وهمهم - أي صات صوتا خفيفا - فظننتُ أنه يودعني ، فكان ذلك آخر عهدي به .

✪قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (ق ١ ج ٢ ص ١٧٩) عن ابن المنكدر ، قال : سمعت سفينة ، فذكر نحوه ، وهكذا أخرجه أبو نعيم في الحلية ١ / ٣٦٩ ، والدلائل ص ٢١٢ عن ابن المنكدر عن سفينة ، وأخرجه ابن منده كما في البداية ٥ / ٣١٦ والطبراني كما في المجمع ٩ / ٣٦٦ .اهـ

✪ وأخرج البيهقي عن ابن المنكدر : أن سفينة أخطأ الجيش بأرض الروم ، أو أسر في أرض الروم فانطلق هاربًا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث ! إني مولى رسول الله ﷺ ، كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد يبصبصه - يحرك ذنَبه له - حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوته أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه ، فلم يزل كذلك حتى أبلغه الجيش ، ثم رجع الأسد عنه . (كذا في البداية ٦ / ١٤٧ ، وشرح السنة رقم : ٣٧٣٢).

✪ قال أبو طلحة : و قصة سيدنا سفينة رضي الله عنه هي في الوقت نفسه تدل على الإدراك والتمييز الذي كان في ذلك الحيوان ، وأدرك كلامَ سفينة محب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وخضع له ، وأطاع من أطاع الله ورسوله ﷺ حينما خرج لإعلاء كلمة الله وأخطأ الطريق ، ولم يؤذه بل أعانه ونصره على الرجوع إلى الجيش - وقد قال تعالى : ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾ فسبحان من ألقى في الحيوان حب محبّ المصطفى ﷺ وطاعته .

✪ أيها المسلم ! إذا لم تستطع أن تخرج لإعلاء كلمة الله ولم تستطع أن تدعو الناس إلى رب الناس ، فلا تكن أعجز من الحيوان في نصرة الداعية إلى الله الذي خرج من بيته لإعلاء كلمة الله . فأعانه الحيوان في مهمته ولم يؤذه ، وفقنا الله لنصرة دينه ولمن نصر دينه جلت عظمته .



قصة أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه في ذلك

✪وهذه قصة ثانية لأبي أمامة الباهلي رضي الله عنه حينما بعثه ﷺ إلى قومه باهلة وقد أخرجه الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قومي أدعوهم إلى الله عز وجل وأعرض عليهم شرائع الإسلام ، فأتيتهم وقد سقَوا إبلهم وحلبوها وشربوا . فلما رأوني قالوا : مرحباً بالصُّدَيّ بن عجلان ! قالوا : بلغنا أنك صبوت إلى هذا الرجل . قلت : لا ، ولكن أمنت بالله ورسوله (ﷺ) ، وبعثني رسول الله ﷺ إليكم أعرض عليكم الإسلام وشرائعه . فبينا نحن كذلك إذ جاؤوا بقصعتهم فوضعوها واجتمعوا حولها فأكلوا بها ، قالوا : هلّم يا صُديّ ! قلت : ويحكم ! إنما أتيتكم من عند من يُحرم هذا - هو الدم كما في رواية أبي يعلى من الإصابة في ترجمة أبي أمامة - عليكم إلا ما ذكّيتم كما أنزل الله . قالوا : وما قال ؟ قلت : نزلت هذه الآية : ﴿حرّمت عليكم الميتةُ والدّمُ ولحمُ الخنزير - إلى قوله - وأن تستقسموا بالأزلام﴾ المائدة : ٣ ، فجعلتُ أدعوهم إلى الإسلام ويأبَون . قلت لهم : ويحكم ! إيتوني بشربة من ماء فإني شديد العطش قال : وعليَّ عِمامةٌ . قالوا : لا ولكن ندعك تموت عطشاً . قال : فاعتممتُ وضربتُ برأسي في العمامة ونمت في الرمضاء في حر شديد ، فأتاني آتٍ في منامي بقدحٍ زجاج لم يرَ الناس أحسن منه ، وفيه شراب لم ير الناس آلف منه ، فأمكنني منها فشربتها ، فحيث فرغتُ من شرابي استيقظت ، ولا والله ! ما عطشت ولا عرفت عطشاً بعد تيك الشربة. (قال الهيثمي ٩ / ٣٨٧ وفيه : بشير بن شريح وهوضعيف اهـ . وأخرجه ابن عساكر أيضاً بطوله مثله كما في كنز العمال ٧ / ٩٤) . (وأخرجه أبو يعلى مختصرا ... ورواه البيهقي في الدلائل وزاد فيه : «أنه أرسله إلى قومه باهلة» كذا في الإصابة ٢ / ١٨٢) .

خضوع الأسد والنمور والفهود لسيدنا موسى عليه السلام

✪وهناك قصة أخرى عجيبة في خضوع الحيوانا ت المختلفة لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام حينما أتيا إلى من ادعى وقال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ يدعوانه إلى ربه الأعلى جلت عظمته وهي كما ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٦٥ مفسراً لقوله تعالى : ﴿فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ الشعراء : ١٦-١٧.

✪ [قوله : ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ أي أطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا إلى فلسطين ولا تستعبدهم ، وكان فرعون استعبدهم أربعمائة سنة ، وكانوا في ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين ألفا : (٦٣٠٠٠٠) .

✪ فانطلقا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه ، فدخل البواب على فرعون فقال : ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين ، فقال فرعون : إيذن له لعلنا نضحك منه ، فدخلا عليه وأديا الرسالة .

✪ وروى وهب وغيره : أنهما لما دخلا على فرعون ، وجداه وقد أخرج سباعاً من أسد ونمور وفهود يتفرج عليهن ، فخاف سواسها أن تبطش بموسى وهارون فأسرعوا إليها ، وأسرعت السباع إلى موسى وهارون ، فأقبلت تلحس أقدامهما ، وتبصبص إليهما بأذنابها ، وتلصق خدودها بفخذيهما ، فعجب فرعون من ذلك فقال : ما أنتما ؟ قالا : ﴿إنا رسولُ ربِّ العالمين﴾ فعرف موسى لأنه نشأ في بيته ؛ فـ﴿ـقال ألم نُربِّكَ فينَا وَلِيداً﴾ على جهة المن عليه والاحتقار . أي ربيناك صغيراً ولم نقتلك في جملة من قتلنا ﴿ولَبِثتَ فينا مِن عُمُرِك سِنينَ﴾ فمتى كان هذا الذي تدعيه ؟!] اهـ ما ذكره القرطبي .

وهناك قصص كثيرة في ذلك تركناها للاختصار .

✪قوله : «**فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه**» قال أبو طلحة : (انظر إلى صبر الداعية إلى الله وتضحيته في دين الله وحرصه البالغ على إصلاح عباد الله البعيدين - عن رحمة الله رب العالمين - الضالين المضلين ، قام عليه الصلاة والسلام على باب رجل واحد مدة سنة يدعوه إلى الله وهو يأبي الخروج إليه ، ولا يؤذنه للدخول عليه .

✪ فهل نجد فينا هذا الحرص البالغ لسلطان الأديان : دين الله الإسلام بالنسبة لغير المسلمين حتى يدخل هؤلاء في دين الله أفواجاً ويكون الدين كله لله ؟ أو لإخواننا المسلمين الغارقين في الغفلة والسكرة أن يدخلوا في السلم كافة ويؤمنوا بالله ورسوله حق الإيمان ، واللهُ يدعوهم إلى ذلك ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ البقرة : ٢٠٨ . ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله ﴾ النساء : ١٣٦ . فهل من مجيب ؟

قال أحدهم : واعلموا ! أن النور من ورائه سراج ، والنصر من ورائه أسباب : قال رب العزة والجلال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (محمد : ٧) .

وقال : إن لكل شيئ سبباً ، والخير والشر ، والهزيمة والنصر مرجعها : إلى النفس أولا ، قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾ الرعد : ١١ .

وقال : ﴿ إن يعلمِ الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم ، والله غفور رحيم ﴾ الأنفال : ٧٠ .

وقال تعالى : ﴿ فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ الفتح : ١٨ .

✪ **فقوموا وقولوا يا معشر المسلمين** كما قال آباؤكم رضي الله عنهم وهم أول دعاة من أمة محمد ﷺ فلبوا الله وقالوا : ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ المائدة : ٨٤ .

✪ **ثم اجتهدوا فيه واعملوا عملا فالدين قول وعمل** حتى يصدق عليكم قوله سبحانه كما صدق ذلك في حقهم رضي الله عنهم : ﴿ فأثابهم الله بما قالوا جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ المائدة : ٨٥ .

✪ رزقنا الله أشواق الأنبياء والصالحين الداعين إلى الله ، وأذاقنا أحوالهم وأخلاقهم ، وأحيانا على طريقهم ، وأماتنا على محبتهم ، وحشرنا في زمرتهم حتى نشرب معهم في الجنة من لبن لم يتغير طعمه ، آمين يارب العالمين .

الفصل السابع : فصل خاص بالتجار

تجار الحرمين (وغيرهم) وواجبهم نحو الحجاج والمعتمرين والدعـــوة إلى الله تعالى

✪اعلموا يا معشر التجار ! أنه سبحانه خلق الجن والإنس لعبادته لا لإحتياجه إليهم كما قال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعِمون﴾ الذاريات : ٥٦ -٥٧ .

✪واعلموا أيضاً أن أبانا إبراهيم صلى الله عليه وسلم لما أسكن بعض ذريته بجوار بيت الله ، فأول ما قصد بذلك ورغب فيه إلى الله : أن يأتمنهم وأن يوفقهم لإقامة الصلاة فدعا لهم قائلا : ﴿ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾ إبراهيم : ٣٧ .

✪فقدّم أبونا إبراهيم ﷺ في دعائه : الصلاةَ على جميع الفوائد الدنيوية وخصها من جملة الدين لفضلها فيه - أي في بيته سبحانه - ولأن الصلاة إذا أدِّيت بخشوع وبمراعاة آدابها : تنهى عن الفحشاء والمنكر ، كما قال تعالى : ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ...﴾ العنكبوت : ٤٥ ، وتسد بها جميع أبواب الفساد في الأرض الذي من أسبابه :

✪(١) المال : الذي هو رأس التجارة .

✪(٢) والأرض .

✪(٣) والمرأة .

✪فما يقع الفساد في الأرض غالباً إلا بهذه الأشياء الثلاثة ، فالصلاة قامعة لهذا الفساد -إذا كانت الصلاة صلاة - كما في قوله تعالى المذكور ، لذا قدم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام الصلاة على الدعاء في جميع الأمور الدينية والدنيوية . والله أعلم .

✪ فالحرم المكي والمدني : مكان عبادةٍ ، وتفرغٍ لله تعالى ، وإقبالٍ عليه ، قبل أن يكون موضع تجارة . قاله العلماء .

✪ وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان . وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به .كما في شرح «إحياء العلوم» ٤ / ٢٨٠ .

✪وذكر ابن وهب في جامعه عن مالك [أن آدم عليه السلام لما أُهبِط إلى الأرض قال : يا رب هذه أحب إليك أن تُعبدَ فيها ؟ قال : بل مكة] . تفسير القرطبي ٩ / ٢٤٤.

✪هذا وكما ذكر لي بعض أهل المدينة - من أهل العلم - حاله في التجارة . ومعاملات الناس مع وفد الله وحجاج بيت الله الحرام ، فقال متأسفا على نفسه :

فتح الله لي باب الرزق بجوار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم . وكان الدكان قريبا جدا من الحرم النبوي الشريف ، فأصبح أكثر يومي في الدكان ، فأنتابني الحياء والخجل من رب العزة والجلال من طول الجلوس لحطام الدنيا ، وبما أرى من الاستفادة من الحجاج والمعتمرين الذين هم وفد الله عز وجل ، وضيوف مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أستفيد منهم متاع الدنيا الزائل ، وأجلب نقودهم من جيوبهم إلى جيبي بدلا من تقديم خدماتي لهم بالضيافة والكرم والإسكان ، وقد كان السلف الصالح يخدمونهم ابتغاء وجه الله تعالى ، فكان بعضهم يرون تأجير البيوت للحجاج غير مباح ولا عجب في ذلك ، فقد كان كفار قريش يلزمون أنفسهم بخدمة الحجيج ، منهم من يقوم بالسقاية ، ومنهم من يقوم بالإطعام ، ومنهم من يقوم بالإسكان بدون مقابل ، فيتفاخرون بهذه الأعمال .

✪ وأما نحن اليوم فضلا عن أن نخدمهم ، نستغل ظروفهم لعدم معرفتهم الأسعار وحاجتهم إلى الراحة والغذاء ، فنضاعف عليهم قيمة الشيء ثم نتفاخر على ذلك العمل والكسب الجزيل ، والشيطان يفرح ويضحك من عملنا هذا الذي زينه لنا ، وأشغلنا فيما أراده منا ، ألا نعلم بأن الله يرانا ومعاملتنا مع ضيوفه سبحانه الذي يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وأشرق عليه النهار ، لا تواري

منه سماءٌ سماء ، ولا أرض أرضاً ، ولا بحر ما في قعره ، ولا جبل ما في وعره ، وهو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟

✪ **وأقر بعض التجار وقالوا** : والله اكتسبنا من الحجاج ملايين ، ولكن ما وجدنا فيها البركة ، ولا شيئا من الصحة والطمأنينة التي تنال بخدمة ضيوف الرحمن جل وعلا .

✪ فعلى سبيل المثال : سلعة قيمتها عشرة ريالات ، فنزيد عليها مثلها فتصبح عشرون ريالا حتى الخمسين والمائة ، وكذلك الإيجار ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ . أليس هذا غبناً فاحشاً شرعاً ، وأليس هذا يدل على أنه أقصى حدود الحرص والهلع والطمع في حب المال الذي يسبب العذاب في الدنيا والنار في الآخرة ، وذلك لمن آثر الدنيا على الآخرة كما أشار إلى ذلك سبحانه وتعالى قائلا : ﴿ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ﴾ النازعات : ٣٩ .

✪ وقال تعالى : ﴿ فلا تُعجبُك أموالُهم ولا أولادُهم إنما يريد الله ليعذِّبهُم بها في الحياة الدنيا ... ﴾ التوبة : ٥٥ .

✪ وقال تعالى : ﴿ بل تُؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ﴾ الأعلى : ١٦-١٧

✪ وقال تعالى : ﴿ وتحبُّون المال حباً جماً ﴾ الفجر : ٢٠ ، أي تحبون المال حبا كثيراً فاحشاً خارجاً عن الحد . ذكره ابن كثير رحمه الله .

✪ **فهل يحب التاجر لنفسه مثل هذه المعاملة** ؟ وقد قال ﷺ وهو يُقسم : «والذي نفسي بيده ! لا يؤمن عبد حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه » رواه البخاري ومسلم كما في المشكاة «باب الشفقة والرحمة على الخلق» .

فكما لا يحب التاجر لنفسه مثل هذه المعاملة فكيف بضيوف الرحمن ؟ وقد قال تعالى : ﴿ ويل للمطففين ۝ الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ۝ وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ۝ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ۝ ليوم عظيم ۝ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ المطففين : ١-٦ من خسر فيه أدخل ناراً حامية ؟ أعاذنا الله من ذلك .

✪ **هذا في المعاملات ، وأما من ناحية الأخلاق** ، فبعض الناس لا يراعي الأدب معهم ، يجرح فؤادهم ، أليس هو في سبيل الله ؟ إنه قد خرج لأداء فريضة

الحج ، يبذل لأجلها المال الكثير والجهد البالغ ويغترب عن أهله وذويه إنه جاء من مكان سحيق ، وقد ساقه الإيمان إلى الحرمين الشريفين ، وأجلبه حبُّ البيت العتيق والنبي الشفيق ﷺ ، لا يعرف لغتك ، ولا أنت تعرف لغته إلا لغة الإشارات ، ويجهل كلياً أحوال بلدتك وظروفها الطبيعية ، يمشي بين الناس بقلب منكسر - ألا إنه سبحانه عند المنكسرة قلوبهم - لا يجد من يعينه ولا من ينصره ، مع هذا كله تقابل أخاك الغريب بصورة لا تليق به وبك .

✪ **ما أجود ما بشر به** النبي صلى الله عليه وآله وسلم التجار قائلا : «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة » . (رواه الترمذي والدارمي والدارقطني ، ورواه ابن ماجة عن ابن عمر ، قال الترمذي : هذا حديث غريب كما في المشكاة كتاب البيوع «باب المساهلة في المعاملة) .

✪ وروى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن رجلا كان فيمن كان قبلكم ، أتاه الملك ليقبض روحه فقيل له : هل عملت من خير؟ قال : ما أعلم ، قيل له : أنظر ، قال : ما أعلم شيئا غير أنّي كنُت أبايع الناس في الدنيا وأجازيهم ـ أي أحسن إليهم حين أتقاضاهم ـ فأنظر الموسر ـ أي أمهله ـ وأتجاوز عن المعسر ـ أي أعفوه ـ فأدخله الله الجنة» متفق عليه .

● واعلموا يا معشر التجار: إن الله تعالى يقول : ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما﴾ النساء : ١٢٧ ، ففيه حث على فعل الخير والترغيب فيه :

✪ **حكي أن امرأة جاءت إلى حانوت أبي حنيفة** تريد شراء ثوب ، فأخرج أبو حنيفة ثوباً جديداً قيمته أربعمائة درهم ، فقالت المرأة : إني امرأة ضعيفة ولي بنت أريد تسليمها إلى زوجها ، فبعني هذا الثوب بما يقوم عليك .

فقال أبو حنيفة : خذيه بأربعة دراهم ، فقالت المرأة : لِمَ تسخر بي ؟ فقال أبو حنيفة : معاذ الله أن أكون من الساخرين ، ولكني كنت اشتريتُ ثوبين فبعتُ أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم ، فبقي هذا علي بأربعة دراهم ، فأخذت المرأة الثوب بأربعة دراهم ، ورجعت مستبشرة فرحة» (نقلناه من «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٣٨٠) .

✪ **هكذا بشّروا ويسّروا على إخوانكم المسلمين في كل مكان ، أيها التجار !**

ولا تنفِّروهم من كانوا وحيث كانوا ، وهو من هدي نبيكم سيد الأنبياء والمرسلين - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - قد زينه ﷺ ربٌّ عظيم ، بخُلق عظيم في كتابه العظيم وقال : ﴿ إنك لعلى خُلق عظيم ﴾ . القلم : ٤ .

✪ و اغتنموا الحسنات صغيرها وكبيرها لأن الله تعالى يقول : ﴿ وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ النساء : ٤٠ .

✪ واعلم أيها الأخ الكريم أن كلمة ﴿ يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ هي كلمة الرب لا العبد ، وهو يعلم عظمتها ومضاعفتها ليس غيره ، والإنسان قاصر عن إدراك كنه هذه العظمة والمضاعفة : **حكاية غريبة :**

✪حكي أن أبا منصور بن ذكير كان رجلاً زاهداً صالحاً ، فلما دنت وفاته أكثر البكاء ، فقيل له : لم تبكي عند الموت ؟ قال : أسلك طرّيقاً لم أسلكه قط . فلما توفي رآه ابنه في المنام في الليلة الرابعة ، فقال : يا أبت ما فعل الله بك ؟ فقال : يا بني إن الأمر أصعب مما ترى (أي تظن) لقيتُ مَلِكاً عادلاً أعدل العادلين ، ورأيت خصماء مناقشين ، فقال لي ربي : يا أبا منصور ! قد عمَّرتك سبعين سنة : فما معك اليوم ؟ فقلت : يا ربي ! حججتُ ثلاثين حجة ، وتصدقتُ بأربعين ألف درهم بيدي ، وغزوتُ أربعين غزوة ، فقال : لم أقبل منك ، فقلت : إذاً قد هلكتُ ، فقال الله تعالى : ليس من كرمي أن أعذِّب مثل هذا يا أبا منصور أما تذكر اليوم الفلاني نحّيتَ الحجر والأذى عن الطريق ، كيلا يعثر بها مسلم ، فإني قد رحمتك بذلك ، فإني لا أضيع أجر المحسنين» . حكاه صاحب (تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ١ / ٣٨٣) .

✪ ثم قال : فظهر من هذه الحكاية أن دفع الأذى عن الطريق ، إذا كان سبباً للرحمة والمغفرة ، فلأن يكون دفع الأذى عن الناس ، نافعاً للدافع يوم الحشر أولى ، خصوصاً عدم الأذية للمؤمنين ، وخصوصا للأهل والعيال وضيوف رب الجلال «والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» أخرجه الشيخان . اللهم اجعلنا من النافعين لا من الضارين ، آمين يارب العالمين .اهـ بتصرف يسير .

✪ قال الإمام الغزالي : [الميزان حق ، ووجهه أن الله تعالى يُحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله ، فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد ، حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو تضعيف الثواب .

✪ **وروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريَه الميزان** ، فأراه كل كفة كما بين المشرق والمغرب ، فغُشيَ عليه ، ثم أفاق فقال : إلهي ! من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات ؟ فقال : يا داود ! إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة . وفي الحديث : « كلمتان خفيفتان على اللسان ،ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » رواه البخاري ومسلم والترمذي ، وانظر الفتح الكبير ٢ / ٣٣٢ .

✪فيا أخي التاجر ! اغتنم الحسنة صغيرها وكبيرها ، واغتنم الحياة قبل الموت ، وكن مثل هؤلا الأبرار، واكتسب الدنيا والدين والجنة . وفق الله الجميع .

✪ ذكر القرطبي في تفسيره ٥ / ١٠٢ : [ويكره للتاجر أن يحلف لأجل ترويج السلعة وتزيينها ، أو يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عرض سلعته ، وهو أن يقول : صلى الله عليه وسلم ! ما أجود هذا]. انتهى (أو كما هو معروف في الحجاز اليوم بقوله : «صل على النبي») .

✪ ويستحب للتاجر ألا تشغله تجارته عن أداء الفرائض ، فإذا جاء وقت الصلاة ينبغي أن يترك تجارته - ويذهب إلى الصلاة لا إلى غيرها كما يفعله بعض الذين غلبت عليهم الدنيا وهم بجوار بيت الله وبجوار حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يكون من أهل هذه الآية : ﴿رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ النور : ٣٧ - اهـ.

✪ **فيا معشر التجار ويا إخوتي في الله !** اعلموا أنه لا بد أن يكون أهل الحرمين الشريفين [قدوة لغيرهم من المسلمين في دينهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وأحوالهم وآدابهم وسائر تصرفاتهم ، كيف وهم يجاورون صاحبَ الشريعة (ﷺ) - وبيت الله الحرام - ويشاهدون ليل نهار المآثر والدلائل على قيام الإسلام في أيامه الأولى ، وأينما ساروا يرون ما يذكِّرهم بدين الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، ومثل هذا له تأثيرٌ كبيرٌ جدا لمن كان له قلب] (مابين القوسين من «فضائل المدينة المنورة» لملا خاطر) .

✪فعلينا أن نتقي الله ونتوب إليه ، ونعاملهم معاملة حسنة بعزيمة صادقة يرضى بها الله عنا ، ونكون لهم قدوة حسنة يرجعون بها إلى بلادهم ، وينشرون الهداية في بلدانهم ، ويبشّرون أهلها ومواطنيها عن أهل الحرمين

الشريفين ، وبما يمتازون به من الصفات الحميدة من الأخلاق والكرم والمعاملة النزيهة ، ودينهم القرآن والسنة كأنه يمشي بهما على الأرض ، فنكون نحن هداة ودعاة للعلم ، وموسم الحج من الفرص العظيمة لذلك .

✪ ومما يجب على أهل المدينة : (وكذلك أهل مكة) : القيام بشكر النعمة ، بحسن استقبال القادمين ، وحسن معاملتهم ، وصادق مودتهم ، حيث إن هذه هي صفة الأنصار من قبل ، كما قال الله عنهم : ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ الحشر : ٩ ، والتواضعُ وحسن العشرة ، وإيثار الغير على النفس ، حيث هذه صفتهم أيضاً كما قال تعالى : ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ الحشر : ٩ ، ولكي ينالوا الفلاح من الله تعالى . (من فضائل المدينة لملا خاطر) .

✪ ألا ترى أنه لما قام النبي ﷺ بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فذابت بذلك عصبيات الجاهلية ، فلا حمية إلا للإسلام ، وسقطت فوارق النسب واللون والوطن ، فلا يتقدم أحد أو يتأخر إلا بمروءته وتقواه ، وكانت عواطف الأخوة والإيثار ؛ والمواساة ، والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة ، وتملأ المجتمع الجديد بأروع الأمثلة ؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية فأين نبحث عن هذه العدالة ؟

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب ، ولا كلمات باللسان فقط ؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب ، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال ، لا كلاماً يثرثر به اللسان ، إنها مؤاخاة في القول والعمل والنفس والمتاع والأملاك ، في العسر واليسر . (ينظر «التاريخ الإسلامي» لمحمود شاكر ٢ / ١٦٥ . و«فقه السيرة» لمحمد الغزالي ، ص ١٩٢) .

✪ [**ومن أروع الأمثلة لذلك ما رواه البخاري في صحيحه** : «آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين عبدالرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، فقال سعد : قد علمتْ الأنصار أني من أكثرها مالاً ، فسأقسم مالي بيني وبينك نصفين ، ولي امرأتان ، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، فقال عبدالرحمن : بارك الله لك في أهلك ومالك أين سوقكم ؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط

وسمن ، ثـم تابع الغدوة ثم جاء يوماً وبه أثر صُفرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «مَهْيَمْ ؟» ، قال : تزوجت امرأة من الأنصار ، فقال : «ما سقت فيها ؟» قال : وزن نواة من ذهب ، أو نواة من ذهب ، فقال : «أولِم ولو بشاة» (البخاري مع الفتح ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار ، ٧ / ١١٢ ، حديث رقم : ٣٧٨٠-٣٧٨١) .

✪ قوله ﷺ : «مَهْيَمْ ؟» كلمة استفهام ، أي : ما حالك ، وما شأنك كما في «القاموس المحيط» .

وهذه المؤاخاة حكمة فذة ، وسياسة صائبة ، وحلاً رائعاً لكثير من المشاكل التي كان يواجهها المسلمون] . هذا كله من كتاب «الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى» .

✪ فهذا هو منهج أهل مكة والمدينة السابقين كما يصف النعمان بن عجلان بن النعمان بن عامر الأنصاري كان لسان الأنصار وشاعرهم رضي الله عنه ، وهو القائل يفخر بقومه من أبيات كما في الإصابة ٦ / ٢٤٣ :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة ... ويوم حنين والفوارس في بدر
نصرنا وآوينا النبي ولم نخف ... صروف الليالي والعظم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا : مرحباً بكم ... وأهلاً وسهلاً قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وديارنا ... كقسمة ايسار الجزور على الشطر

✪ ويا معشر التجار لسنا نقول : بأن تتركوا أنواع المكاسب والتجارات بأنواعها ولكن نقول : اطلبوها من طرقها المشروعة واطلبوها من الحلال واجتنبوا الشبهات والحرام ، واجعلوا مراقبة الله تعالى نصب أعينكم لتستحقوا الحلاوة الحقيقية والبركة الموعودة من صاحب الشريعة المحمودة صلوات الله وسلامه عليه .

فعليكم أن تفكروا وتتأملوا ما قاله صلى الله عليه وآله وسلم : «إن هذا المال خضرة حلوة مَن أصابه بحقه بورك له فيه ، ورُب متخوّض فيما شاءت به نفسه من مال الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ليس له يوم القيامة إلا النار» كما في «تحفة الأحوذي بشرح الترمذي رقم : ٢٤٨٠ ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وفي هذا الحديث دليل على أن كسب الدنيا ليس بمذموم بل يبارك له في ماله إذا أصابه بحقه ، لكن الخوض في كسبها وجمعها من أي سبيل كان هذا هو الخطر ، وهذا هو المتخوِّض الذي أشار إليه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بقوله : «ليس له يوم القيامة إلا النار» .

✪ ألا ترى أن الله سبحانه يخاطبنا ويقول : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾ الملك : ١٥ . [أي فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات] . قاله ابن كثير رحمه الله .

وكذلك يخاطبنا ربنا ويقول : ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾ الجمعة : ١٠ .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى ٤ / ٣٦٨ : [لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والإبتغاء من فضل الله ..]اهـ .

✪ **هنا نقول : يا معشر التجار !** لا شك أن الله سبحانه قال :

✪ (١) ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها﴾ وكذلك قوله سبحانه :

✪(٢) ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ .

وكذلك لا شك أن آباءنا الأولين كانوا يسافرون في أقاليم الأرض وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات كما قال تعالى :

✪(٣) ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ المزمل : ٢٠ (أي) [... ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله ، في المكاسب والمتاجر] . قاله ابن كثير رحمه الله .

✪ **وما أجود ما ذكره القرطبي في حق التجار** في تفسير الآية المذكورة : ١٩ / ٣٧ حيث قال : [سوّى الله تعالى في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله ، والإحسان والإفضال فكان هذا دليلاً على أن كسب المال بمنزلة الجهاد ؛ لأنه جمعه مع الجهاد في سبيل الله» ✪وروى إبراهيم عن علقمة قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من

جالب يجلب طعاماً من بلد إلى بلد ، فيبيعه بسعر يومه إلا كانت منزلته عندالله منزلة الشهداء» ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ المزمل : ٢٠ .

✪وعن ابن عمر : ما خلق الله موتة بعد الموت في سبيل الله أحب إليَّ من الموت بين شعبتي رَحلِي أبتغي من فضل الله ضارباً في الأرض .] اهـ ماذكره القرطبي رحمه الله تعالى . **هذا ما قيل في إباحة التجارة** المحمودة والمقصودة وفضلها في ديننا السني الحنيف .

ولكن هناك شيء عجيب

وهو : أنه سبحانه خاطبنا وأرشدنا إلى اكتساب الدنيا وطلبها بقوله :

✪(١) ﴿فامشوا في مناكبها ...﴾ الملك : ١٥.

✪(٢) ﴿فانتشروا في الأرض ....﴾ الجمعة : ١٠.

✪(٣) ﴿وآخرون يضربون في الأرض ...﴾ المزمل : ٢٠ ، كما مر في الآيات المذكورة أعلاه .

والمعنى ظاهر بأن المراد به المشي العادي والانتشار العادي ، وليس في هذه الآيات المذكورة ما يدل على الاستباق والإسراع والانشغال في طلب الدنيا ، والاستعجال والمبادرة في كسبها كما نراه اليوم .

✪ولكنه سبحانه لما خاطبنا ودعانا إلى اكتساب الآخرة والجنة : حضنا وشجعنا على الاستعجال والمسارعة والمبادرة والمسابقة إليها فقال تعالى لعباده :

✪(١) ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ سورة الحديد : ٢١ .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية ٤ / ٣١٤ : [... فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات ، من فعل الطاعات وترك المحرمات التي تكفر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى ﴿سابقوا إلى مغفرة ...﴾] الآية اهـ .

✪(٢) وقال : ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات

والأرض أعدت للمتقين﴾ آل عمران : ٣٣ .

وقال ابن كثير رحمه الله : ١ / ٤٠٥ : [ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلي نيل الدرجات] اهـ .

✪(٣) وقال : ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ البقرة : ١٤٨ .

✪ قال القرطبي في تفسيره : ٢ / ١١٢ : [أي بادروا ما أمركم الله عز وجل من استقبال البيت الحرام ، وإن كان يتضمن الحث على المبادرة والاستعجال إلى جميع الطاعات بالعموم] اهـ .

✪(٤) وقال : ﴿ففروا إلى الله﴾ الذاريات : ٥٠ .

✪ [أي فروا من أنفسكم إلى ربكم ، وقال أيضاً : فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم]. ذكره القرطبي .

✪ **أحبابي وأصحابي** هذا هو الفرق في اكتساب الدنيا واكتساب الآخرة دعانا إليه خالق الدنيا والقائل في كتابه : ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ هود : ٦ .

فهل نجد هذا الفرق في تجارتنا مع الله ، وتجارتنا مع عباد الله ؟ وهل نبادر إلى الخيرات ، ونسافر لإعلاء كلمة الله في مشارق الأرض ومغاربها ، كما نسافر ونستبق إلى أقاليم الأرض وأقطارها لجمع هذا الحطام الدنيوي كل على قدر طاقته واستطاعته ضمن الحدود الشرعية ؟ فاستفت قلبك !

✪يا للأسف ! صار الأمر على عكس المأمور به تماماً ، نسابق ونبادر ونجري ونفر جميعا إلى جمع حطام الدنيا وكسبها ، ونمشي - وهم قليل إلا ما رحم ربي- مشي النمل إلى الطاعات ، والحال أن الدين أحرى وأليق أن نستبق إليه .

✪ **وينبغي أن تعلم** أنك لا تجد في كتابه سبحانه إشارة ولا آية واحدة رغّب الله تعالى فيها في حب الدنيا وزخارفها ، بل حيثما ذكرها الله تعالى قدّم أخطارها وأضرارها على فوائدها وزهرتها .

✪ أحبتي وأصحابي لسنا نقول : اجتنبوا الكسب في الدنيا بل نقول : اكتسبوها بالطرق المشروعة ، وبقلّة الحرص والهلع عليها ، وبتقديم أمور الدين في جميع شئونها .

✪لأنه لا يخفى على العاقل : أن المصباح إذا كانت فتيلته أرفع من

مقدارها المعتاد ، يتولد منها الدخان ، فيسود به وجوه الحاضرين ، وكذلك السقف والجدران ، وقد يكون هذا المصباح سببا لإحراق المكان وأهله من الرجال والنساء والصبيان ، بسبب غفلة الإنسان ، فلا بد أن يكون ضوؤه وفتيلته منخفضة معتدلة متوسطة ، وخير الأمور أوسطها .

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرّ بجدي – أي ولد المعز – أسك ميت – أي صغير الأذن أو عديمها أو مقطوعها (فقال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب أنه لنا بشئ) والمراد إنا لا نحبه بلا شيئ (قال : فوالله للدنيا) أي لجميع أنواع لذاتها (أهون) أى أسهل وأحقر وأذل (على الله) أي عنده تعالى (من هذا) أي من هوان هذا الجدي (عليكم) .(رواه مسلم كما في المرقاة شرح المشكاة ٩ / ٣٤٦ / ٣٤٧ كتاب الرقاق)

✪ثم ذكر الشارح وقال : [ويؤيد ما سياتي أن الدنيا لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ، والمقصود منه التزهيد في الدنيا والترغيب في العقبى فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة على ما رواه البيهقي عن الحسن مرسلا ، كما أن ترك الدنيا رأس كل عبادة ، والسبب في ذلك : أن محب الدنيا ولو اشتغل بأمور الدين تكون أعماله مدخولة باغراض فاسدة وتارك الدنيا ولو اشتغل بأمر دنيوي يكون له مطمح أخروي، ولذا قال بعض العارفين . . «من أحب الدنيا لم يقدر على هدايته جميع المرشدين ، ومن ترك الدنيا لم يقدر على ضلالته جميع المفسدين»] انتهى ماذكره صاحب المرقاة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (رواه مسلم كما في المشكاة كتاب الرقاق) .

✪قال صاحب المرقاة : ٩ / ٣٤٧ علي القارئ رحمه الباري شارحاً لهذا الحديث : [أي كالسجن للمؤمن في جنب ما أعد له في الآخرة من الثواب والنعيم المقيم . وكالجنة للكافر في جنب ما أعد له في الآخرة من العقوبة والعذاب الأليم وقيل : إن المؤمن أعرضت نفسه عن الملاذ وآخذها بالشدائد فكأنه في السجن ، والكافر فرجها بالشهوات فهي له كالجنة كذا ذكر في «الفائق» ويؤيد القول الأخير ما قاله فضيل بن عياض : من ترك لذات الدنيا وشهواتها فهو في سجن ، فأما الذي لا يترك لذاتها وتمتعاتها فأي سجن عليه .

✪وأقول : الظاهر أن مراتب السجن ومنازله مختلفة باختلاف أحوال أهله مع أنه لا يخلو أحد من ضيق التكاليف الشرعية من ارتكاب الواجبات الفعلية واجتناب الأمور المنهية ، وكذا من مشقات الأحوال الكونية من ا لبرد والحر في الصيف والشتاء والبلاء والغلاء وموت الأحياء وغلبة الأعداء وأمثال ذلك من ابتداء خلق النطفة وأطوارها في مشيمة البطن إلى الظهور في المهد والبطون في اللحد وما بينهما من أنواع الكد والكبد ، ولذا قال الله تعالى : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في كبد ﴾ البلد : ٤ ، أي لا يزال في تعب عظيم مبدؤه ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت وما بعده إلى أن يكون ما بعد هذا السجن ، إما إلباس الخلع السلطانية والقرار في المناصب العلية ، وإما تسليط الزبانية بموجب الغضب الإلهي عليه ونقله من السجن السهل الفاني إلى الحبس الصعب الباقي نعوذ بالله من ذلك . ولما مات داود الطائي سمع هاتف يهتف : اطلق داود من السجن .

✪قال أبو حفص السهروردي : إن السجن والخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على الساعات ومرور الأوقات ، لأن النفس كلما ظهرت بصفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد ، وهل السجن إلا تضييق وحجز من الخروج والولوج ، فكلما هم القلب بالتبرز عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة تسببا إلى الآجلة وتنزهاً في فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلي حجزه الشيطان المردود من هذا الباب المطرود بالاحتجاب فيدلى بحسب النفس الأمارة إليه فكدر صفو العيش عليه ، وحال بينه وبين محبوب طبعه ، وهذا من أعظم السجون وأضيقها ، فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه ، ولهذا المعنى أخبر الله تعالى عن جماعة من الصحابة حيث تخلفوا عن رسول الله صلى الله علي وآله وسلم في بعض الغزوات فقال تعالى : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ﴾ التوبة : ١١٨ .

✪وأخرج أبو نعيم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر : «يا أبا ذر ! إن الدنيا سجن المؤمن والقبر أمنه والجنة مصيره ، يا أباذر ! إن الدنيا جنة الكافر والقبر عذابه والنار مصيره»] .انتهى ما ذكره صاحب المرقاة .

قصة عجيبة وفي كشف الخفا للعجلوني ١ / ٤٩٥ قال : [ذكر المناوي في شرح الجامع الصغير : أن الحافظ ابن حجر لما كان قاضي القضاة مر يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة ، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار ، وأثوابه متلطخة بالزيت ، وهو في غاية من الرثاثة ، والشناعة ، فقبض على لجامِ بغلته ، وقال : ياشيخ الإسلام ! تزعم أن نبيكم (ﷺ) قال : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» فأي سجن أنت فيه ؟ وأي جنة أنا فيها ؟ فقال : أنا بالنسبة لما أعد الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن ، وأنت بالنسبة لما أعد لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنك في الجنة ، فأسلم اليهودي] . انتهى .

✪وقال في المرقاة ١٠ / ١٩٠ : [وينبغي أن تعلم ! (أن زهرة الدنيا بالنسبة إلى أربابها لعدم حضورهم مع ربها كالسم في الدسم ، والهم في الدرهم والنار في الدينار ، وربما لا يحسون بها كالمجنون والمجروح في حال ابتداء الجراحة وكالمصروع ولذا قيل : سوف ترى إذا انكشف الغبار

أفرس تحت رجلك أم حمار] اهـ

✪ ومن أحسن ما قيل في هذا المعنى قول بعضهم كما ذكره القرطبي رحمه الله تعالى : [

النار آخرُ دينارٍ نطقتَ به والهمُّ آخر هذا الدرهم الجاري

والمرء بينهما إن كان ذا ورع معذّبَ القلب بين الهم والنار

✪ وقال بعضهم :

زيادة المرء في دنياه نقصانُ وربحه غير محض الخير خسرانُ

✪ ذُكر أن إبليس عليه اللعنة يرفع الدنيا كل يوم في يديه فيقول : من يشتري ما يضره ولا ينفعه ؟ فيقول أصحاب الدنيا : نحن . فيقول : لا تَعْجلوا فإنها معيوبة ، فيقولون : لا بأس به ، فيقول : ثمنها ليس بدراهم ولا دنانير ، إنما ثمنها نصيبكم من الجنة ، وإني اشتريتها بأربعة أشياء : بلعنة الله ، وغضبه ، وعذابه ، وقطيعته ، وبعتُ الجنة بها ، فيقولون : يجوز لنا ذلك ، فيقول : أريد أن تُربّحوني على ذلك ؟ وهو بأن توطّنوا قلوبكم على أن لا تدعوها أبداً ، فيقولون : نعم ، فيأخذونها فيقول الشيطان : بئست التجارة]. كما في (تنوير الأذهان من تفسير روح البيان : ١ / ١٠) .

✪[قال ابن عباس : يؤتى بالدنيا يوم القيامة ، في صورة عجوز شمطاء زرقاء ، وأنيابها بادية مشوهة خلقها ، وتشرف على الخلائق ، فيقال : أتعرفون هذه ؟ فيقولون : نعوذ بالله من معرفة هذه ، فيقال : هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها ، وبها تقاطعتم ، وبها تحاسدتم وتباغضتم ، ثم تقذف في جهنم فتنادي يارب : أين أتباعي وأشياعي ؟ فيقول الله تعالى : ألحقوا بها أتباعها»] .

المرجع السابق : ١ / ٣١٠ .

✪ قال العلماء : الراغب في الدنيا والمحب لها ميت قلبه ، يعمل الحسنة ولا يجد حلاوتها في القلب .

✪ كما قال الشيخ أبو عبدالله القرشي رحمه الله : شكا بعض الناس لرجل من الصالحين ، أنه يعمل البر ولا يجد حلاوته في القلب ، فقال : لأن عندك ابنة إبليس في قلبك ، وهي الدنيا ولا بد للأب أن يزور ابنته في بيتها وهو قلبك ، ولا يورث دخولها إلا فساداً .

روي أن الله تعالى قال لداود (عليه السلام) : «يا داود إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب أبداً » .

✪ وروي أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه : لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قالوا : ومن الموتى ؟ قال الراغبون في الدنيا ، المحبون لها]. ذكره في «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٣٠٣-٣٠٤» . • ولله در القائل :

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها

يمسي ويصبح مغروراً وغراراً

هلا تركتَ من الدنيا معانقة

حتى تعانق في الفردوس أبكاراً

إن كنتِ تبغي جنان الخلد تسكنها

فينبغي لك أن لا تأمن النارا

✪ **النار والدينار!** وما أدراك ما النار وما الدينار ؟ يخبر عنهما سبحانه قائلا : ﴿ كلا إنها لظىٰ ۝ نزّاعة للشوىٰ ۝ تدعو من أدبر وتولّى ۝ وجمع فأوعىٰ ۝ ﴾ المعارج : ١٥-١٦ .

✪ **وقـال في النـــار والدينار وصاحــبه** : ﴿ الذي جـمع مالاً وعـدده ○ يحسب أن ماله أخلده ○ كلا لَيُنبَذَنَّ في الحطمة ○ وما أدراك ما الحطمة ○ نار الله الموقدة ○ التي تطلع على الأفئدة ○ إنها عليهم مؤصدة ○ في عمد ممددة ﴾ الهـمـزة : ٢-٩ [أي ألهـاه مـاله بالنـهـار هذا إلى هذا ، فـإذا كـان الـليل نام كـأنه جيفة منتنة .

✪ وقـال الحسن البصري : والله ! ليبــلغ من أحــدهم بدنياه أنه يقلّب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي] . ذكره ابن كثير ٣/٤٢٨ .

✪ هذه هي الدنيـا والـدينار والنار - إخـوتي في الله - التي نسـافـر لكسبها إلى أرجاء الأرض ، وقد نفعل ما نفعل في الديار الأجنبية - والعياذ بالله - حتى لتصل ببعضـهم إلى ترك الأمـور الدينيـة من الفـرائض والواجبـات ، ولا نبـالي ولا نخــاف ، ولا نـشعر أن أمامنا عقبـة الجسر حيث يقال : ﴿ وقفوهم إنهم مسئولون ﴾ الصافات : ٢٤ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

✪ فنسينا ما ذُكِّرنا وتركنا ما أمرنا به المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن نتمسك به ونعضَّ عليه بالنواجذ ، وفقدنا ما حصلناه من ميراث آبائنا ، وتفـرقنا بعـد أن اعـتـصـمنا بحبل الله المتين ، ونقـضنا ما عـاهدنا عليـه في الأيام السالفة ، وضيَّعنا فضلنا وكيـاننا الذي قد شهد به أعداؤنا من قبل ، وانشغلنا في الدنيا أكثر وأكثر من ديننا ، ونسينا رازقنا الذي تولى رزقنا ، حتى نسينا هذا الـنسيــان الذي نسـيناه ، لا حـول ولا قـوة إلا بالله وصـدق الله العظيـم : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ○ مايأتيـهم من ذِكر من ربهم محدثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون ○ لاهية قلوبهم ... ﴾ الأنبياء : ١-٢ .

✪ فحــذار من الوقوع في مثل هذه الحياة لأن فيها مشابهة بالذين قال الله في حـقـهم ﴿ يعلمـون ظاهراً من الحـياة الدنيـا وهم عن الآخرة هم غـافلون ﴾ الروم : ٧ [يعني أمر معايشهم ودنـياهم : متى يزرعون ومتى يحصدون ؟ وكيف يغرسون وكيف يبنون ؟ قاله ابن عباس وعكرمة] (ذكره القرطبي رحمه الله) .

ثم قـال القرطبي : [قلت : وقول ابن عبـاس أشبـه بظاهر الحياة الدنيـا ، حتى لقد قال الحسن : بلغ والله من علم أحدهم بالدنيا أنه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن أن يصلي .

✪ وقال أبو العباس المبرِّد : قسم كسرى أيامه فقال : يصلح يوم الريح للنوم ، ويوم الغيم للصيد ، ويوم المطر للشرب واللهو ، ويوم الشمس للحوائج .

✪قال ابن خالَوَيْه : ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا ﴿ وهم عن الآخرة ﴾ أي عن العلم بها والعمل لها ﴿ هم غافلون ﴾ قال بعضهم :

ومــن البليّــة أن تـرى لك صـاحبـا
في صـورة الرجـل السميـع المبصـر
فـطـنٍ بــكل مصيبـة في مـالــه
وإذا أصيـب بـدينـه لـم يشعـر]   انتهى

✪هـذا . فلابـد أن يكون هناك فـرق بيننـا وبين أعـداء الإسـلام في السفـر والحضـر .

✪ قـال القـرطبي ٤ / ٣١ : [وفي التنزيل : ﴿ المنافقـون والمنافقـات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ﴾ .

ثم قــال : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم أوليـاء بعض يأمـرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ التوبة : ٧١ .

✪ فجـعل تعـالى الأمـر بـالمعـروف والنهي عن المنكر فـرقا بين المؤمنين والمنافقـين ؛ فـدل عــلى أن أخص أوصـاف المؤمنين الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعوة إلى الإسلام والقتال عليه] . اهـ ما قاله القرطبي .

✪ ألا ترى أن لأعداء الإسلام أجناداً مجندة منظمة منتشرة في الدول الإسلامية يأمرون فيـها بالمنكر وينهون عن المعروف ، ويرغّبون الناس فيـما يبعِّدهم عن الإسلام ورب الأنام ، أو هم جـالسون في ديارهـم ويبلّغون رسالات آلهتهم الشياطين بآلاتهم الحديثة يخادعون بها المسلمين المستبصرين ، وقد أخبر سبحانه وتعالى عما يريد هؤلاء ويدعوننا إليه فقال : ﴿ أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ﴾ البقرة : ٢٢١ .

وقال سبحانه : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً ﴾ النساء : ٢٧ .

✪ وقال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارىٰ حتى تتبع ملتهم﴾ ثم يحذّر من اتبع أهواءهم فقال : ﴿قل إنّ هدى الله هو الهدىٰ ولئن اتّبعتَ أهواءَهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولّيّ ولا نصير﴾ البقرة : ١٢٠ .

✪فيا إخوتي في الله ! هذا كافر ، ودينه باطل ، وهو يدعوك إلى الباطل والنار ، طوال الليل والنهار بآلاته الحديثة . وأنت على الحق ودينك الحق ، فهل حاولت يوما من الأيام أن تدعوهم إلى الحق ضد محاولاتهم الحديثة والخبيثة ؟

✪ للأسف ! أن كثيرا من المسلمين يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى الكافرين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل إلى رجوع من سبيل ، قبل نزول ملك الموت .

✪ فيا معشر المسلمين ! أما لنا نصيب في نشر الإسلام (سلطان الأديان) في أنحاء الأرض لقمع ما قدمه أعداؤنا في أرض الله الواسعة لدمار ديار المسلمين وأخلاقهم السماوية السنية ؟

✪واعلم أنه من صفات الأمة المحمدية كما قال تعالى : [﴿وممن خلَقنا﴾ أي : وبعض من خلقنا ، أو وبعض ممن خلقنا ﴿أمةٌ﴾ أي : طائفة كثيرة ﴿يهدون﴾ الناس ملتبسين ﴿بالحق﴾ أي : يهدونهم بكلمة الحق ، ويدلونهم على الاستقامة ﴿وبه﴾ أي وبالحق ﴿يعدلون﴾ أي : يحكمون في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون . ✪واعلم أن أهل الحق إنما نالوا ما نالوا بهدايتهم للناس ، وعدلهم فيما بين الخلق بعدما كانوا مهديين وعادلين في أنفسهم]. ما بين القوسين من «تنوير الأذهان ١ / ٥٨٧».

✪وقال القرطبي ٧ / ٢٠٩ رحمه الله : [وفي الخبر أن النبي ﷺ قال : «هم هذه الأمة» وروي أنه قال : «هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسىٰ مثلها» . وقرأ هذه الآية وقال : ✪«إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم» عليه الصلاة والسلام فدلت الآية على أن الله عزوجل لا يخلِي الدنيا في وقت من الأوقات من داعٍ يدعو إلى الحق»] انتهى .

وفي الصحيحين عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى تقوم الساعة» ذكره ابن كثير مفسرا لقوله تعالى المذكور .

✪ فكونوا ممن يثني عليها رب السموات السبع والأرضين ، ولا تسوفوا في نصرة دينكم سلطانِ الأديان ، وانصروا دين محمد ﷺ بالنفس والمال ، لأن الكفر قدكشّر عن أنيابه مع جنوده المنظمة المنتشرة كالذئاب الضارية ، و اجتمع في ظل الشيطان (وأولئك حزب الشيطان) ، وينفقون أنفسهم وأموالهم الطائلة بالليل والنهارسراً وعلانية ، يشترون بها المسلمين الغافلين الجاهلين في ديارهم وديار غيرهم ليصدُّوكم عن سبيل الله ، وينظرون إليكم نظر المغشي عليه من الموت ، فهل أنتم منتهون ؟

✪وليس هــذا بجديد بل هو من عادات آبائهم الضالين المضلين إخوة القردة وقد قال تعالى : ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا - أي يمنعون الناس - عن سبيل الله - إلى قوله - أولئك هم الخاسرون﴾ الأنفال : ٣٦. الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أموالهم وأنفسهم . قاله المفسرون .

وروي أيضاً كما في «تنوير الأذهان : ٢ / ٢٣» : [أن أبا سفيان - قبل أن يُسلم - استأجر ليوم أُحد ألفين من العرب على محاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنفق عليهم أربعين أوقية» . اهـ .

وفي موضع آخر من «تنوير الأذهان : ٢ / ٣٧» حيث ذكر قصة إسلام عمر (رضي الله عنه) ففيها : « ... فأبو جهل خال عمر ، فلما قام خطب الناس فقال : يا معشر قريش ! إن محمداً قد شتم آلهتكم ، وسفَّه أحلامكم ، وزعم أنكم وآباءكم وآلهتكم في النار ، فهل من رجل يقتل محمداً ، وله عليَّ مائة ناقة حمراء وألف أوقية من فضة... الخ .

✪ فالمقصود من بيان هذا المذكور : أن الكفار وآباءهم كانوا ينفقون أموالهم الطائلة ضد المسلمين من أول يوم بجسارة .

فلذلك نذكّركم أيها المسلمون ونقول : [انظروا إلى الكفار وجسارتهم على الإنفاق لغرض فاسد وهو الصد عن السبيل ، وأقل من القليل من المسلمين من يبذل ماله ولو قليلاً لجذب القلوب والوصول إلى رضى المحبوب ، فلا بد للمرء من قطع النفس عن مألوفاتها وهو حب المال .

ومن كلمات الجنيد رحمه الله : ما أخذنا الدين عن القال والقيل ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رجل : يارسول الله ! أي الناس أفضل ؟ قال : «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله ...» الحديث أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن] مابين القوسين من «تنوير الأذهان ٢ / ٢٢ .

✪ **فيا معشر التجار ويا أهل التراب -أي المال-** : فمن يخرج منا من بيته إلى أقطار العالم لكسب الدنيا والتجارة مع الناس ، فهو إن كان يؤمن بالله ورسوله ﷺ والدار الآخرة ويريد أن يلحق بآبائه الكرام ، ويرغب فيما حرضنا عليه ربنا تعالى وقال : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة : ٧١ :

✪ **فعليه أن يخرج من بيته إلى أرض الله** لكسب الدين ونشره وللتجارة مع الله ، وينفق فيه نفسه ونفيسه وماله وعرقه ودمه ، حتى يكون الدين كله لله كما يخرج لكسب الدنيا وجمعها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، فهل إلى رجوع من سبيل ؟

✪ فهذا خير له مما يجمع من حطام الدنيا وزهرتها الفانية لا محالة ، ومن فعل ذلك فهو السابق إلى الخيرات ، والمسارع إلى الجنة التي عرضها السموات والأرض ، والفار إلى الله ، وهذا هو الذي يحب ما يحب الله ورسوله ﷺ . ويدعوا إلى ما دعا إليه الله ورسوله ﷺ ، وهذه هي غاية المسلم وأمنيته .

✪ وهذا هو مال المؤمن وسلاحه الذي يفوز به في الدنيا والآخرة ، وما هو المال الذي يفهمه الإنسان أنه مال ، بل المال هو الذي يفيده في المآ ل ، وهي الأعمال والباقيات الصالحات من الخيرات والحسنات . وفقنا الله جميعاً .

✪ **ولا تنس أيضاً يا من يجمع المال** ولا ينفقه في سبيل رب الجلال أنه كما [يروىٰ أن الله تعالى يضم الأموال الخبيثة بعضها إلى بعض ، فيلقيها في جهنم ويعذب أربابها كقوله تعالى : ﴿ يوم يحمىٰ عليها في نار جهنم فتُكوىٰ بها جباههم وجنوبُهم وظُهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ التوبة : ٣٥] مابين القوسين ذكره صاحب «تنوير الأذهان : ٢ / ٢٢ »

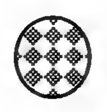
✪فوالله وبالله وتالله ! لا تجد الروح والراحة ولا حلاوة الحياة وسعادة الآخرة بالمال ولا باللهو والطرب ، كما تجدها بالأعمال الصالحة ، وهذا وعد من الله سبحانه كما قال : ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحيِيَنَّه حياة طيبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوايعملون ﴾ النحل : ٩٧ .

✪وصدق أهل الله فيما قالوا : «**أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم** » . إي والله إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون . ومن لم يذق لم يدر .

✪ هذا ما قيل في أهل الأعمال الصالحة وحياتهم الطيبة .

✪وقال فيمن أعرض عنه : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ طه : ١٢٤ .

✪ قال ابن كثير في تفسيره : ٣ / ١٦٩ : ﴿ ومن أعرض عن ذكري ﴾ [أي خالف أمري وما أنزلتُه على رسولي - ﷺ - أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ أى ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ، ولا انشراح لضدره ، بل صدره ضيق حرج ، لضلاله ، وإن تنعم ظاهره ، ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء ، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى ، فهو في قلق وحيرة وشك ، فلا يزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة ...] اهـ .



هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان ؟

✪ إخوتي في الله ! لا يخفى على أحد من المسلمين اليوم أن تشتتهم الحالي كفاية لخذلانهم ، فعلينا أن نرجع إلى ربنا ، ونترك الاختلاف في المسائل العلمية الفرعية ، لكي لا تتوسع الجروح والقروح في الأمة المجروحة .

للأسف ! صارت حالة أكثر المسلمين اليوم : أنهم لا يعرفون حال من يقودهم . ولا يدرون أين يذهبون؟ كذلك والله ! بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب؟ قال : معهم ، قيل : فإلى أين؟ قال : لا أدري . ونعم ما قال الشاعر :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فهذا هو حال أكثر المسلمين اليوم أنهم لا يدرون إلى أين ذاهبون؟ فبهذا السبب : صار كلامهم ظلمة ، وعملهم ظلمة ، ومدخلهم ظلمة ، ومخرجهم ظلمة ، والله أعلم بمصيرهم يوم القيامة ، إلي وادي الظلمات والنيران؟ أم إلى وادي الفراديس والجنان ؟

✪ هم عطشى فمن يسقيهم شراب الإيمان ؟ ومن يعين هؤلاء الغارقين الغائصين في بحر لُجِّيٍ يغشاهم ظلام من فوقه ظلام ، ومن فوقه سحاب الظلمات والأهواء ، بعضها فوق بعض ، وهم رافعوا أيديهم ورؤوسهم في بحر الظلام ، ولا يظهر منهم إلا الأصابع يشيرون بها كأنهم ينادون : الغوث الغوث ! أيها المسلمون ! نحن الغارقون ، وأنتم تختلفون إلى الآن فيما بينكم ولا تفهمون ؟

✪ إخوتي في الله ! فهل إلى رجوع من سبيل؟ بأن نترك الاختلاف والمناظرة والمجادلة ، ونجنح للسلم ، ونستبق إلى الخيرات ، ونختار أسلوب الاستفسار والإستفهام الذي تنحل به الاختلافات ، وتذهب به الأسقام ، التي بها تلاعب بنا أعداء الإسلام ، لكي نخرج نحن ، ونُخرج إخوتنا الغارقين في بحار الظلام والثبور ، إلى النور والحبور والسرور ، وما ذلك على الله بعزيز .

✪ **أيها المسلم : كن مفتاحا للخيرمغلاقا للشر**، وكن سحابا ثقالا متراكما في السماء ، تحمل ماء الرحمة والوفاء ، ومن ثَمَّ انظر إلى البلاد الميتة المحرقة للمسلمين في أنحاء العالم ، ثم امطر عليهم مطر الخير والرحمة والبرد ، حتى

تُطفئ النار الموقدة من جهة أعدائنا وأعداء الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه .

✪ وكن شمساً كالتي تَسبَح في الفلك وتطلع من هذه الجهة في وقت وتنِّور بنورها وضوئها أهل الشرق ، من كانوا وحيث كانوا في البر والبحر ، ثم تغرب وتطلع من جهة أخرى ، فتجرى في الفلك ، وتنور بنورها وضوئها أهل الغرب والشمال والجنوب في أوقات أخر ، حتى تنوّر بنورها جميع أهل الأرض ومن عليها .

فهذا هو شأن المؤمن الذي نوّر الله قلبه بنور الإيمان ، والذي محياه ومماته لله رب العالمين ، فيجري في الأرض كالشمس ، و يطلع من هذه الجهة في وقت ، وينوّر بنور إيمانه أهل الشرق مَن كانوا وحيث كانوا في البر والبحر ، ثم يطلع من جهة أخرى ، فيجرى في الأرض وينور بنور إيمانه أهل الغرب والشمال والجنوب في أوقات أخر ، حتى ينور بنور إيمانه جميع أهل الأرض ، ليكون الدين كله لله ، فهذا هو معنى قول الشاعر الذي يصف المؤمن من أهل الإيمان باللغة الأردية ويشبههم بالشمس في جريها وإيصال نوره وضوئه إلى أهل الأرض ومن عليها .

✪ قال أبو طلحة : بل وشأن المؤمن أعلى وأولى وأبقى وأرفع وأدوم وأخلد من الشمس ، لأن المؤمن الحقيقي يستفاد من نور إيمانه وتتنور به القلوب المظلمة بعد موته وبعد إقباره في الأرض ، ويخلد في الجنة أبد الأباد ، ولا يموت فيها قط بعد موتته الأولى ، والشمس ليست كذلك ، لا يستفاد من نورها ولا من ضوئها ، بعد تكويرها وإظلامها ، ولا خلود لها في الجنة بل ولا دخول لها وقد قال تعالي ﴿ لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ﴾ الإنسان : ١٣ ، (فالمعنى لا يرون فيها - أي في الجنة - شمسا كشمس الدنيا ولا قمراً كقمر الدنيا) قاله القرطبي رحمه الله .

✪ وذكر صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان» في تفسير قوله تعالى : ﴿ إذا الشمس كوّرت ﴾ التكوير : ١ :

✪[وقيل : معنى ﴿ كوّرتْ ﴾ ألقيتْ من فلكها في النار ، وقد ورد «إن الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة» (أخرجه البزار في مسنده عن أبي هريرة مرفوعا انظر الدر المنثور : ٦ / ٣١٨) .

✪ ثم قال : فإلقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما ، ولكنْ لإزدياد

الحر في جهنم اهـ ما ذكره صاحب «تنوير الأذهان» . والله أعلم بالصواب .

✪ **خلاصة الباب** ومما يجب على أهل الحرمين من التجار وغيرهم : القيام بشكر النعمة ، بحسن استقبال القادمين ، وحسن معاملتهم في جميع أحوالهم والصبر على ما أصابهم من هؤلاء الغرباء في أقوالهم وأفعالهم ، وصادق مودتهم ، لأن هذه صفة الأنصار من قبل كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يحبون من هاجر إليهم ﴾ الحشر : ٩ ، والتواضع وحسن العشرة ، وإيثار الغير على النفس ، والنصح لكل مسلم ، من كان وحيث كان .

✪ وما أجود التجارة الرابحة التي أرشد إليها رب الناس وخاطب فيه أهل الإيمان خاصة فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ○ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون ○ يغفرلكم ذنوبَكم ويُدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ الصف : ١٠-١٢

✪ ومن أروع الأمثلة في النصح ما ذكره النووي شارحاً لحديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم» متفق عليه . كما في المشكاة «باب الشفقة والرحمة على الخلق» .

✪ قال النووي رحمه الله : روي أن جريراً - راوي الحديث - رضي الله عنه اشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أ تَبيعُه بأربعمائة ؟ قال : ذلك إليك يا عبدالله ! فقال : فرسك خيرٌ من ذلك ، أ تَبيعُه بخمسمائة ؟ ثم لم يزل يزيده مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة ، فاشتراه بها ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على النصح لكل مسلم . » (كما في المرقاة شرح المشكاة : ٩/٢٢٦) .

هؤلاء آبائي فجئني بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع



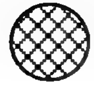


الدعوات السابقة

ويشتمل على فصل واحد وهو :

الفصل الأول : دعوات الرسل الكرام

عليهم الصلاة والسلام



الفصـــل الأول

دعــوات الرسـل الكـرام عليهـم الصـلاة والسـلام

دعـوة سيـدنا نـوح عـليه الصـلاة والسـلام

✪ نوح عليه الصلاة والسلام أول الرسل الذين أوحيت إليهم الشرائع ، وقد قص الله علينا في القرآن كيف كان يدعو قومه فقال : ﴿قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهاراً ● فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ● وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ● ثم إني دعوتهم جهاراً ● ثم إني أعلنت لهم وأسررتُ لهم إسراراً﴾ نوح : آية ٥ إلى ٩ .

✪ونحن نلاحظ في هذه الآيات الكريمات أساليب الدعوة متنوعة في طرق الدعوة إلى الله حيث تشتمل على دعوة دائبة مستمرة لا تعرف الملل ولا تركن إلى الراحة ، فهو عليه السلام يدعو قومه بالليل والنهار ولم يثنه إعراضهم عنه والنفور منه ، وإصرارهم على الكفر ، واستكبارهم عن الحق ، عن الاستمرار في دعوتهم ومحاولة إنقاذهم ، بل كان هذا الموقف منهم داعيا إلى تغيير الأسلوب في محاولة جديدة لجذبهم واستمالتهم ، فدعاهم في السر مرة وفي العلن مرة أخرى ، وفي النهارمرة وفي الليل مرة أخرى ، واستنفد في دعوتهم كل طاقاته ، ولم يكف حتى قال له الله تبارك وتعالى :

✪ ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون ● واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ هود : ٣٦-٣٧ . (مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص ١٣١) .

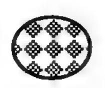
صبـر سـيدنا نـوح ﷺ عـلى أذيـة قومـه في الدعوة إلى الله

ذكر القرطبي في تفسيره: ٩ / ٢٩ ـ ٣٠ : قصة نوح عليه السلام مع قومه فقال : [... ذكر الحافظ ابن عساكر في التاريخ له عن الحسن : أن نوحاً أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه

فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً﴾ (العنكبوت : ١٤) وكان قد كثرت فيهم المعاصي ، وكثرتْ الجبابرة وعَتَوْا عُتُوّاً كبيراً ، وكان نوح يدعوهم ليلاً ونهاراً ، سراً وعلانية ، وكان صبوراً حليماً ، ولم يلق أحد من الأنبياء أشد مما لقي نوح ؛ فكانوا يدخلون عليه / فيخنقونه حتى يترك وَقيذاً ، ويضربونه في المجالس ويطرد ، وكان لا يدعو على من يصنع به بل يدعوهم ويقول : «ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» فكان لا يزيدهم ذلك إلا فراراً منه ، حتى أنه ليكلم الرجل منهم فيلفّ رأسه بثوبه ، ويجعل أصبعيه في أذنيه لكيلا يسمع شيئاً من كلامه ، فذلك قوله تعالى : ﴿وإنّي كلّما دعوتُهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم﴾ (نوح : ٧) .

✪وقال مجاهد وعبيد بن عمير : كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فإذا أفاقَ قال : «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» . وقال ابن عباس : إن نوحاً كان يضرب ثم يُلفّ في لِبد فيلقى في بيته يرون أنه قد مات ، ثم يخرج فيدعوهم ؛ حتى إذا يئس من إيمان قومه جاءه رجل ومعه ابنه وهو يتوكأ على عصا ؛ فقال : يا بُنيّ انظر هذا الشيخ لا يغرنّك ، قال : يا أبت أمكنّي من العصا ، فأمكنه فأخذ العصا ثم قال : ضعني في الأرض فوضعه ، فمشى إليه بالعصا فضربه فشجه شجة مُوضحة في رأسه ، وسالت الدماء ؛ فقال نوح : «ربّ قد ترى ما يفعل بي عبادك فإن يك لك في عبادك خيرية فاهدهم وإن يك غير ذلك فصبّرني إلى أن تحكم وأنت خير الحاكمين» فأوحى الله إليه وآيسه من إيمان قومه ، وأخبره أنه لم يبق في أصلاب الرجال ولا في أرحام النساء مؤمن ؛ قال : ﴿وأُوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومكَ إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون﴾ أي لا تحزن عليهم ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ ..] الخ .

ثم ذكر القرطبي في ص ٣٤ الجزء التاسع مفسراً لقوله تعالى : ﴿فاصبر﴾ [على مشاق الرسالة أذية القوم كما صبر نوح ... ﴿إن العاقبة﴾ في الدنيا بالظفر ، وفي الآخرة بالفوز ﴿للمتقين﴾ عن الشرك والمعاصي] . انتهى .



دعوة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام

ويتعاقب الرسل ويأتي دور خليل الله إبراهيم عليه السلام - فيرى قومه وقد تفرقوا شيعاً ، واتخذ كل فريق منهم لنفسه إلهاً يدين له ، واختلف أجناس الآلهة إلى حد يزعج حتى عابديها ، ووجد إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - نفسه يحارب في جهات متعددة فاستعد لكل حركة بما يناسبها ، فأرخى العنان لمن كانوا يعبدون آيات الله الكونية ، فتظاهر بالميل إليها ، وأعلن أنه اتخذها أرباباً ليستميل إليه عبادها ، ثم يكر عليها بعد ثقتهم فيه والتفاهم حوله بما يثبت عجزها وعدم صلاحيتها للربوبية .

﴿ فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ۝ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۝ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون ﴾ الأنعام : ٧٦-٧٨ .

وكذا يثبت إبراهيم عليه السلام لقومه بطريق البراهين أن الإله لا يجوز عليه التغير والانتقال من حال إلى حال ، بل يجب أن يكون دائما على أكمل حال ، ثم ينتقل إلى القمر فإذا هو والآخر يأفل ويغيب ، فيعرض بضلالهم ، ويبين أن الهدى في غير ما يعبدون ، ثم يطمح ببصره إلى الشمس ويشير إلى أنها أكبر معبوداتهم ، ولكنها مع ذلك لم تتميز عن غيرها بشيء يجعلها مستحقة للتعظيم والعبادة ، لأنها كما تتغير كما تغير النجم والقمر ، ولأنها تغيب عن العالم كما يغيب النجم والقمر .

وهنا يعلن أبونا إبراهيم عليه الصلاة والسلام براءته مما يعبدون ، ويتوجه بقلبه إلى الإله المستحق للعبادة مبينا أن ربه الذي يدين له ، ويخضع لربوبيته هو الذي خلق النجوم والقمر والشمس بل هو الذي فطر السماوات والأرض وما فيهن ، وهو لهذا يكون جديراً بإخلاص العبادة له وحده سبحانه وتعالى عما يشركون ، فيقول عليه السلام : ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾ الأنعام : ٧٩ .

ويخرج إبراهيم من هذه المعركة مظفراً ، بهر أعداءه ، بحجحه الساطعة وأذهلهم ببراهينه القاطعة فأدهشتهم المفاجأة ، فلم يفكروا في إيذائه .

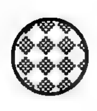
وولى إبراهيم وجهه شطر ميدان آخر ، وهناك التقى بالوثنية وعبادها ، ودارت المعركة حامية في ساحاتها ، وعزم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يصرفهم عن لجاجهم بمفاجأة لم تخطر ببالهم بعد أن حاجوه فيها محاجة الجاهل العنيد ، فحطم الأصنام بيده ، وعلق الفأس في عنق كبيرها الذي تركه على حاله ليحاجهم به .

وجاء القوم من لهوهم فوجدوا آلهتهم صرعى ، ورأوا عميدها يتحداهم بالفأس الذي علق برقبته ، والعجيب أنهم يسألون كبيرهم وقد رأوا الفأس في عنقه ، وهو اعتراف منهم بأنه عاجز عن إجابتهم ، وتوجهوا نحو إبراهيم قائلين : ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟﴾ الأنبياء : ٦٢ .

وأجابهم عليه الصلاة والسلام إجابة المستهزئ الساخر ليجبرهم على الاعتراف بما حاولوا الانصراف عنه والهروب منه فقال : ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ الأنبياء : ٦٥ .

وواتت إبراهيم صلى الله عليه وسلم الفرصة ليعلن على الملأ أن ما يعبدون عاجز عن نفعهم ، غير قادر على خيرهم ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم • أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ الأنبياء : ٦٦ - ٦٧ .

(مقتبس من كتاب «مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر » ص ١٣٢) .



دعوة إبراهيم لأبيه وتلطفه وإلحاحه في ذلك بقوله : يا أبت ! يا أبت ! يا أبت ! يا أبت !

قال العلماء : إن إبراهيم عليه السلام رسم للدعاة منهجا يسيرون عليه في دعوتهم لأنه القدوة الحسنة في هذا الشأن كما أخبرنا الله بذلك في كتابه بقوله : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُراؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ الممتحنة : ٤ .

وقال تعالى مبينا تدرج إبراهيم في دعوته وتلطفه وإلحاحه بمن يدعوهم واستمالته لهم : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ● إذ قال لأبيه **يا أبت** لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ● **يا أبت** إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سوياً ● **يا أبت** لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ● **يا أبت** إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ● ﴾ مريم ٤١-٤٥ .

بينت لنا هذه الآيات الكريمات منهج إبراهيم وأسلوبه في دعوته . وذلك أنه بدأ في دعوته فدعا أباه لأنه أقرب الناس إليه ، فقد سلك عليه السلام أحسن منهج وأقوم سبيل في دعوته لأبيه إذ دعاه بأدب وحسن خلق وألح عليه وكلما بدأ يخاطبه قال : ﴿ **يا أبت** ! لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ﴾ ثم يكرر كلمة يا أبت فيقول : ﴿ **يا أبت** ! إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك .. ﴾ الآية ثم يكرر نفس الكلمة ويقول : ﴿ **يا أبت** ! لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ● ﴾ ثم يكرر كلمته الأولى فيقول : ﴿ **يا أبت** ! إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ مريم : ٤١-٤٥ .

✪ النكتة في التكرار : قال أبو طلحة : تكرار كلمة ﴿ **يا أبت** ﴾ من الابن لأبيه في دعوته إلى الله ينبيء عن حرصه البالغ وإلحاحه الزائد وطلبه الرائد وشفقته ورحمته لأبيه ، ويظهر منه علاقة الأبوة والبنوة والحب بينهما الذي وضعه الله في قلوب الأبناء لآبائهم وعكسه . ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ الروم : ٣٠ .

فكّر أيها الداعي ! في تكرار إبراهيم عليه السلام بكلمته ﴿ يا أبت ﴾ - أربعاً - حينما دعا أباه إلى الله ، ثم قارن بينه وبين إيمان الرسل والمؤمنين وتكرارهم بكلمة ﴿ **ربنا** ﴾ ﴿ **ربنا** ﴾ ﴿ **ربنا** ﴾ ﴿ **ربنا** ﴾ -أربعاً أيضاً - وإلحاحهم وتضرعهم وحرصهم في طلبهم من الله العفو والعافية والرحمة والمغفرة وعدم المؤاخذة في الدنيا والآخرة على ما صدر منهم من الخطأ والنسيان فيلحون إلى ربهم ويتضرعون ويدعون ويقولون : ﴿ **ربنا** ... ﴾ ﴿ **ربنا** ... ﴾ ﴿ **ربنا** ... ﴾ ﴿ **ربنا**... ﴾ بألسنتهم مع حضور قلوبهم كما أخبر عنه ربنا حكاية عنهم فقال :

﴿ .. لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك **ربنا** وإليك المصير ● لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **ربنا** لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا **ربنا** ولا تحمل علينا إصراً كما حملتَه على الذين من قبلنا **ربنا** ولا تُحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفرلنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾البقرة : ٢٨٥-٢٨٦ .

فكما هذا التكرار أي تكرار كلمة ﴿ **ربنا** ﴾ مطلوب ومحبوب عند الله سبحانه ، ويدل على الإلحاح البالغ والتضرع إلى الله في الدعاء والطلب - كما هو من شيم الرسل والمؤمنين المخلصين ، وقد ذكره في كتابه رب العالمين اهتماما لشأنه - فكذلك التكرار والإلحاح البالغ واهتمامه إلى هذا الحد بل أكثر منه مقصود ومطلوب في الدعوة إلى الله لنيل المرام ، وذلك لكل من تدعوه إلى الله من كان وحيث كان . وهذه هي شيمة أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ميدان الدعوة ، فبهداه اقتده ، وفق الله الجميع .

✪ جوهر من الجواهر : هناك جوهر من الجواهر يؤكد ما ذكرناه في (النكتة في التكرار) وقد ذكره القرطبي مفسراً لقوله تعالى :

﴿ **ربنا** ما خلقتَ هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار .
ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار .
ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا .
ربنا فاغفرلنا ذنوبنا وكفّر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار .
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد . **فاستجاب لهم ربهم** ﴾ .. الآيات ١٩١ إلى ١٩٤ من سورة آل عمران

ثم ذكر القرطبي رحمه الله : [قوله تعالى : ﴿فاستجاب لهم ربهم﴾ أي أجابهم . قال الحسن : ما زالوا يقولون : **ربنا ربنا** حتى استجاب لهم .

✪ وقال جعفر الصادق : **من حزبه أمرٌ فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد** . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : إقرءوا إن شئتم ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم - إلى قوله - : إنك لا تخلف الميعاد﴾ آل عمران : ١٩١-١٩٤] . انتهى ما ذكره القرطبي رحمه الله .

✪وقد ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره : ٣ / ١٢٤ أسلوب الدعوة والتحاور بين الأب والابن حينما دعا إبراهيم لأبيه حيث قال :

[يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ : واذكر في الكتاب إبراهيم ، واتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الأصنام ، واذكر لهم ما كان من خبر إبراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته ، وقد كان صديقاً نبيناً مع أبيه ، كيف نهاه عن عبادة الأصنام فقال ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا﴾ أي لا ينفعك ولا يدفع عنك ضرراً ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ يقول : وإن كنتُ من صلبك وتراني أصغر منك لأني ولدك ، فاعلم أني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك ﴿فاتبعني أهدك صراطاً سوياً﴾ أي طريقاً مستقيماً موصلا إلى نيل المطلوب ، والنجاة من المرهوب ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ أي لا تطعه في عبادتك هذه الأصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك الراضي به كما قال تعالى ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ وقال : ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطانا مريداً﴾ وقوله : ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ أي مخالفاً مستكبراً عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ أي على شركك وعصيانك لما آمرك به ﴿فتكون للشيطان ولياً﴾ يعني فلا يكون لك مولى ولا ناصراً ولا مغيثاً إلا إبليس ، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك كما قال تعالى : ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم﴾ .

جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم عليه الصلاة والسلام

ثم ذكر ابن كثير : ويقول تعالى مخبراً عن جواب أبي إبراهيم لولده إبراهيم فيما دعاه إليه أنه قال : ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ؟﴾ مريم : ٤٦ ، يعنى إن كنت لا تريد عبادتها ولا ترضها فانته عن سبها وشتمها وعيبها فإنك إن لم تنته عن ذلك اقتصصتُ منك وشتمتك وسببتك وهو قوله ﴿لأرجمنك﴾ قاله ابن عباس وغيره وقوله : ﴿واهجرني ملياً﴾ قال : أبداً - أو - سويا سالما قبل أن تصيبك مني عقوبة ، فعندها قال إبراهيم لأبيه : ﴿سلام عليك﴾ كما قال تعالى في صفة المؤمنين ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ وقال تعالى : ﴿وإذ سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ ومعنى قول إبراهيم لأبيه ﴿سلام عليك﴾ يعنى أما أنا فلا ينالك مني مكروه ولا أذى وذلك لحرمة الأبوة ﴿سأستغفر لك ربي﴾ ولكن سأسأل الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك ﴿إنه كان بي حفياً﴾ .. لطيفاً أي في أن هداني لعبادته والإخلاص له، وقد استغفر إبراهيم ﷺ لأبيه مدة طويلة وبعد أن هاجر إلى الشام ، وبنى المسجد الحرام ، وبعد أن ولد له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في قوله ﴿ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهليهم من المشركين في ابتداء الإسلام وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله - إلى قوله - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء﴾ الآية يعني إلا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بيّن تعالى أن إبراهيم أقلع عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى : ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين - إلى قوله -وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ وقوله : ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي﴾ أي اجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهتكم التي تعبدونها من

دون الله ﴾ وأدعو ربي ﴿ أي أعبد ربي وحده لا شريك له ﴾ عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً ﴿ وعسى هذه موجبة لا محالة فإنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد ﷺ] (انتهى قول ابن كثير رحمه الله) .

[وقد رسم أبونا إبراهيم الطريق السوي للدعاة وعلّمهم كيف يدعون وبيّن لهم منهج الدعوة الصحيح ، وأنه لا بد أن يكون بحرص بالغ وبحكمة وموعظة حسنة ومجادلة بالتي هي أحسن ، فالواجب على الدعاة أن يتأسوا في دعوتهم قال تعالى : ﴾ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴿ البقرة : ١٣٠ . أي لا يرغب عن ملة إبراهيم إلا من يزهد فيها وينأى بنفسه عنها وقال بعضهم : لا يرغب عن ملته إلا من جهل أمر نفسه فلم يفكر فيها ، وقال بعضهم : فعل بها من السفه ما صار به سفيهاً] ما بين القوسين من كتاب (الدعوة إلى الله) للشيخ محمد بن سيدي الحبيب .



دعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام

[وبعد فترة من الزمان يبعث الله موسى - ﷺ - ويوجهه إلى فرعون وقومه ، وكان الله عز وجل قد أراد لموسى عليه السلام أن يتربى في بيت عدو الله وعدوه وينشأ بينهم حتى يعلم عن أحوالهم ما يهيئة للقيام بواجبه فيهم . ﴿ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ القصص : ١٤ ﴿وإذ نادى ربك موسى أنِ ائْتِ القوم الظالمين • قوم فرعون ألا يتقون﴾ الشعراء : ١٠-١١ .

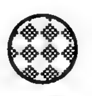
وصدع موسى بأمر ربه ، وتوجه إلى فرعون وقومه ، ودارت المناقشة بين موسى - عليه الصلاة والسلام - وبين رجل أحمق بلغ من حمقه أنه ادعى الألوهية ، ويفحم موسى فرعون ، فيلجأ الطاغية إلى أسلوب الوعيد والتهديد ، فيهدد بالسجن مرة : ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ الشعراء : ٢٩ .

ولكن موسى عليه الصلاة والسلام لا يرهب السجن . وكيف يرهبه وقد قال له الله تعالى : ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ طه : ٦٨ . ويظهر أن فرعون أحس بأن التهديد بالسجن لم يؤثر في موسى فهدد بالقتل وهو آخر ما يمكن أن يفعله طاغ لدود في خصومته ، فقال لقومه : ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه﴾ غافر : ٢٦ .

وهنا يستعيذ موسى - ﷺ - بالله ، فيأمره أن يضرب لقومه طريقاً في البحر يبساً ويطمئنه عزوجل بقوله : ﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ طه : ٧٧ .

وهكذا ينجي الله أولياءه وينصر من نصر دينه ، ويهلك أعداءه : ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم • وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ طه : ٧٨-٧٩] .

(مقتبس من كتاب «مستلزمات الدعوة» ص ١٣٥) .



دعوة عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

[ثم يرسل الله عيسى- ﷺ - ليتم ما بدأ به موسى ، ويأخذ بيد خراف بني إسرائيل الضالة ليعيدهم إلى الحق وإلى صراط مستقيم ﴿وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ المائدة : ٧٢ .

ولكن الخراف الضالة تفضل أن لا تعود إلى حظيرة الإيمان والتوحيد ، وعيسى - ﷺ - يبذل جهده لإقناعهم بأن الله قد اصطفاه وعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ويقول لهم : إني قد جئتكم بآية من ربكم ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ آل عمران : ٤٩ .

والمعاندون لا يزيدون إلا عتوا وفساداً ، ويحس عيسى منهم التآمر على قتله ، فينادي أصحابه وحواريه : ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ . (آل عمران : ٥٢) .

وتبوء محاولتهم بالفشل لأن الله لا يسلم رسله لأعدائهم إلا لحكمة يعلمها تكون فيها العظة والعبرة أكثر وأهم نفعاً ، قال تعالى : ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ ، ﴿وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ الآية : النساء : ١٥٧ - ١٥٨] . (مستلزمات الدعوة ص ١٣٥) .

وذكر محمد أبو الفتح البيانوني في كتابه المدخل إلى علم الدعوة ص ٦٧ حيث قال : [وآتاه - عيسى عليه السلام - الله الإنجيل ، فدعا بني إسرائيل إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿وقفّينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونورٌ ، ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظةً للمتقين﴾ المائدة : ٣ .

وقد عرض القرآن الكريم جانباً من دعوة عيسى عليه السلام ، وذكر بعض حواراته مع قومه ، فقال تعالى : ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال : قد جئتكم

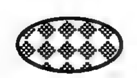
بالحكمة ، ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ، فاتقوا الله وأطيعون ● إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ● فاختلف الأحزاب من بينهم ● فويلٌ للذين ظلموا من عذاب يوم أليم ﴾ الزخرف : ٦٣-٦٥ .

واستمر عيسى عليه السلام في دعوته حتى كادوا له ومكروا به ، فأنجاه الله ورفعه إليه قال تعالى : ﴿ومكروا ومكر الله واللهُ خير الماكرين ● إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهّرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ آل عمران : ٥٤-٥٥ ، النساء : ١٥٧-١٥٨ .

قد بين القرآن والسنة أنه سينزل ثانية في آخر الزمان ليحكم بشريعة الإسلام ، ويؤمن به كل من كان موجوداً حينئذ من أهل الكتاب قال تعالى : ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ النساء : ١٥٩ (وانظر تفسير القرطبي لهذه الآية (٦ / ١٠-١١) .

وقد تواترت الأحاديث النبوية الواردة بنزوله في آخر الزمان . فجاء في الحديث المتفق عليه : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكَماً عدلاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب (وفي رواية الجزية) ويفيضَ المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقروا إن شئتم : ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمننَّ به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً ﴾ صحيح البخاري مع الفتح (٦ / ٤٩٠-٤٩١) وصحيح مسلم بشرح النووي (٢ / ١٨٩ / ١٩٠) .

وكانت رسالة عيسى عليه السلام آخر رسالة قبل رسالة الإسلام وكان موكبه آخر موكب من مواكب الدعوة إلى الله قبل بعثة سيد الأنبياء رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين]. انتهى .



وما أحسن قصة الرسل الثلاثة في الدعوة إلى الله

وذكر الشيخ محمد شفيع العثماني (رحمه الله تعالى) في تفسيره «معارف القرآن» مفسراً لقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ، إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون ، قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا - إلى قوله - قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ يس : ١٣-٢٧) :

قال الشيخ رحمه الله تعالى : [فلو نظرنا إلى أسلوب الدعوة لهؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إلى أهل انطاكية (قرية في الشام) حينما دعوا أهلها إلى عبادة الله وحده برفق ولين مع أن أهل القرية زجروهم وكذبوهم وأنذرهم بعذاب أليم .

وكذلك لو نظرنا إلى أسلوب الداعي (حبيب النجار) الناصر لدين الله سبحانه الذي أسلم على أيدي هؤلاء المرسلين عليهم السلام وكان حديث عهد بالإسلام من أهل القرية . فلو نظرنا إلى أسلوب دعوته الفريد مرة بعد أخرى ، وقصته مع أهل القرية في الدعوة إلى الله ، فنجد في أسلوب دعوة هؤلاء مواعظاً بليغة وحكماً وأسراراً فريدة للدعاة إلى الله سبحانه .

واعلم أن القرآن الكريم يبين ثلاثة أقوال لهؤلاء المشركين والكفار (أهل القرية) في جواب دعوة الرسل والنصح لهم فقالوا :

✪ (١) ﴿ ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا ﴾ تأكلون الطعام وتمشون في الأسواق فكيف نطيعكم ؟

✪ (٢) ﴿ وما أنزل الرحمن من شئ ﴾ يأمر به ، ولا من شيء ينهى عنه كما تقولون .

✪ (٣) ﴿ إن أنتم إلا تكذبون ﴾ في دعواكم الرسالة .

✪ ✪فانظر أيها الداعية إلى الله إلى رد الرسل (الدعاة) وجوابهم لأهل القرية ، وكظمهم الغيظ ، وحلمهم عن أهل الجهل ، وترؤفهم على الأشرار والأعداء مع أنهم قالوا لهم ما قالوا وكذبوهم وهددوهم بالرجم والقتل والسجن والصلب] .

✪ فـمـا كـان جـوابهم ضـد هؤلاء إلا أن قـالوا : ﴿ربنـا يعلم إنا إليكم لمرسلون﴾ [وإن كذبتمونا ولكن الله يعلم أنا رسله إليكم ، ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار] .

وقـالوا : ﴿ومـا علينا إلا البلاغ المبين﴾ في أن الله واحـد ، وإنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والأخرى وإن لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك] قاله ابن كثير رحمه الله .

أو كـمـا قـال تعـالى : ﴿قل الحق من ربكم فـمن شـاء فليـؤمن ومن شـاء فليكفر . . ﴾ الآية . الكهف : ٢٩ .

فهل تجد في كلام هؤلاء الدعاة شيئا من السخط والغضب الذي يحرضهم على الضرب والقتال معهم ، أيها الداعية إلى الله ؟!

✪ ثم قام أهل القرية بعد ذلك فقال لهم ما قال ، وشددوا في جوابهم اللين وأضاف التشاءم إليهم فقالوا : ﴿إنا تطيرنا بكم﴾ [أي تشاءمنا بكم ، ولم نر على وجوهكم خيراً في عيشنا ، وقالوا : إن أصابنا شرٌ فإنما هو من عملكم ، وقـالوا : ما يدخل مثلكم إلى قـرية إلا عذب أهلها] (قاله المفسرون كما في تفسير القرطبي)

ثم زجروهم وهددوهم بعذاب أليم وقالوا : ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنّكم منا عذاب أليم﴾ هو القتل أوالتعذيب المؤلم قبل القتل كالسلخ والقطع والصلب .

✪ فكان من المناسب أن يقال لهم في جوابهم : ما نحن بالمشائيم ، بل أنتم النحوس والمشائيم .

ولكن أجاب الرسل بأسلوب فريد وبحكمة بالغة ولم يصرحوا بذلك (أي أنكم المشائيم والنحوس) بل قالوا : ﴿طائركم معكم﴾ أي حظكم من الخير والشر معكم .

ثم خاطبوهم بخطاب مشفق رحيم وحريص على هدايتهم فقالوا : ﴿أئِن ذُكِّرتم﴾ أي من أجل أنا ذكرنا ونصحناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا ، وهذا كما قال تعالى :

﴿أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله﴾ غافر : ٢٨ ، وقال تعالى : ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ البروج : ٨ .

✪ ✪ فما صدر منهم في أثناء الدعوة إلا كلمة واحدة تثقل على سامعها وهو قولهم : ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي أنتم الذين تجاوزون الحدود وتتعدونها . (وقد وقانا الله من ذلك بفضل منه ونعمة) .

فهذه مكالمة الرسل (الدعاة) وأسلوبهم مع الأشرار من المشركين والكفار في الدعوة إلى العزيز الغفار .

وإليك مكالمة الرجل الحبيب (حبيب النجار) وأسلوبه الغريب في الدعوة إلى الله وهو الذي أسلم وآمن بدعوة هؤلاء الرسل واتّبعهم ، وكان حديث عهد في الإسلام ، وكان منزله عند أقصا باب من أبواب المدينة كما يذكره الرحمن في القرآن حتى يذكر حالة مشيه وسعيه إلى نصرة هؤلاء الرسل وتحاوره مع قومه وحرصه على أن يكونوا مؤمنين فقال تعالى : ﴿وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم عليه أجراً وهم مهتدون﴾ الآية من سورة يس : ٢٠ - ٢١ .

✪ فقام حبيب النجار ودعا قومه إلى ما دعاهم الرسل وقال لهم أول الأمر : ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾ أي انظروا يا أهل قريتي ! إلى هؤلاء الرسل وتفكروا فيهم : قد جاءوكم من مكان بعيد ، وهم في مشقة السفر ومفارقة الأهل والأولاد ، ولا يطلبون منكم على ماجاؤا به أجرا . وقال : ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون﴾ يس : ٢١ ، أي لو كانوا متهمين لطلبوا منكم المال ، فهذا الشيء يدعو الإنسان إلى التفكر فيما يقولون ويدعونكم إليه .

✪ ثم لما أراد الداعية (حبيب النجار) أن ينبه قومه على خطأ وضلالة من عباد الأصنام وطلب الحوائج منهم التي لا تضر ولا تنفع وأنهم ينحتونها بأيديهم ، ويتركون واحداً القادر المقتدر الذي يفرج الهموم ويكشف السوء .

✪ فما أضاف هذه الضلالة إلى نفس المدعوين (أهل القرية) عندما دعاهم إلى الواحد القهار ، بل أضاف الكلام إلى نفسه -ألا هذه هي حكمة بالغة ومجادلة حسنة ، قد علمها رب عظيم ، لنبي عظيم - ﷺ - في كتاب عظيم ، بقول عظيم فقال : ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ النحل : ١٢٥ .-

✪ فقال حبيب النجار : ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ [وهذا احتجاج منه عليهم ، وأضاف الفطرة إلى نفسه ؛ لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر ، والبعث إليهم ؛ لأن ذلك وعيدٌ يقتضي الزجر ؛ فكان إضافة النعمة أظهر شكراً ، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً] ما بين القوسين قاله القرطبي رحمه الله .

✪ ثم خاطبهم بنفس الأسلوب إضافة إلى نفسه فقال : ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يرد الرحمن بضرّ﴾ [أي ما أصابه من السقم) ﴿لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون﴾ يخلصوني مما أنا فيه من البلاء ﴿إني إذاً﴾ يعني إن فعلتُ ذلك ﴿لفي ضلال مبين﴾ أي خسران ظاهر] . من تفسير القرطبي رحمه الله .

فكل هذه المحاولات يا معشر الدعاة ! اختارها هذا الداعي الكبير ليكون أوقع في النفس للمدعوين وتلين بها قلوبهم ، ولئلا يكون ما يفسد أكثر مما يصلح ، ولا يحرضهم على العداوة والعنف الشديد .

فلما لم يتأثر قومه بجميع هذه المحاولات المذكورة قاموا ليقتلوه - وقد قتلوه - مع ذلك لم يصدر من لسانه كلمة ساخطة وثقيلة في حق أهل القرية المدعوين ، ولا دعا عليهم هذا الداعية إلى الله ، بل دعا لهم بالهداية وقال : [«رب اهد قومي» ، «مع أنهم ردموا فوقه التراب فمات ردماً ، أو حرقوه حرقاً وعلقوه في أسوار المدينة ، وقيل : نشروه بالمنشار حتى خرج من بين رجليه»] مابين القوسين قاله المفسرون .

✪وهكذا كانت بنو إسرائيل تفعل بأنبياء الله وأتباعهم، وقد ذكره صاحب «تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٢٣١-٢٣٢» : مفسرا لقوله تعالى حيث قال :

[﴿إن الذين يكفرون بآيات الله﴾ الناطقة بحقيقة الإسلام ﴿ويقتُلون النبِّيين بغير حق﴾ هم أهل الكتاب قتلوا الأنبياء عليهم السلام وقتلوا أتباعهم ، بغير حق من الحقوق ﴿ويقتُلُون الذين يأمرون بالقسط﴾ آل عمران : ٢١ ، أي بالعدل ﴿من الناس﴾ عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قلت : يارسول الله أيُّ الناس أشد عذاباً يوم القيامة ؟ قال : «رجل قتل نبياً أو رجلاً أمر بمعروف أو

نهي عن منكر ، ثم قرأها ثم قال : يا أبا عبيدة ، قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً ، من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائةً واثنا عشر رجلا من عبّاد بني إسرائيل ، فأمروا قتَلَتَهم بالمعروف ، ونهوهم عن المنكر ، فقُتلوا جميعاً من أخر النهار» أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير ، ورواه ابن كثير أيضاً في تفسيره وانظر الدر المنثور للسيوطي ٢ / ١٣ .

﴿ فبشرهم بعذاب أليم ﴾ أي وجيع دائم ... ﴿ أولئك ﴾ المتصفون بتلك الصفات القبيحة ﴿ الذين حبطتْ أعمالهم في الدنيا والآخرة ﴾ بطلت أعمالهم من البر والحسنات ، ولم يبق لها أثر في الدارين ﴿ وما لهم من ناصرين ﴾ ينصرونهم من بأس الله وعذابه .

✪ وفي الآية ذم لمن قتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، فبئس القوم قوم يقتلون الذين يأمرون بالمعروف ، وبئس القوم قوم لا يقومون بالقسط بين الناس ، ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبداً ...

✪ روي أن يهودياً قال لهارون الرشيد في سيره مع عسكره : اتق الله ، فلما سمع هارون قول اليهودي نزل عن فرسه ، وكذا العسكر نزلوا تعظيماً لإسم الله العظيم ، ومن أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه : «اتق الله» فيقول في جوابه : «عليك بنفسك ، أنت تأمرني بهذا ؟»] انتهى .

✪ **(ومن العجيب أن الداعية إلى الله : حبيب النجار)** [تمنى بعد ما قتلوه أن يعلموا بحاله ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته ، وتمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله] (قاله ابن كثير رحمه الله) .

الله أكبر ! وسبحانه ما أعظم شأنه ، فكيف كان هؤلاء الدعاة وحرصهم على عباد الله مع عداوتهم لهم وظلمهم وقتلهم ، قتلوه أهل القرية وهو يتمنى لهم الإيمان والإكرام عند الرحمن جلت عظمته .

✪ وهذا من صفات ربكم يا معشر الدعاة ، ومن أخلاق نبيكم سيد الأنبياء كذلك (عليهم الصلاة والسلام) قال تعالى : ﴿ ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ التوبة : ١١٨ . قال الحسن البصري رحمه الله : **انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .اهـ**

✪**وهذا نبيك من هو رحمة للعالمين صلوات الله وسلامه عليه** : قتل عمه حمزةَ بن عبدالمطلب وحشيٌّ بن حرب وهو يدعوه إلى الإسلام كما أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي ابن حرب قاتل حمزة رضي الله عنه يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه يا محمد ! كيف تدعوني أنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى ﴿ يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهانا ﴾ وأنا صنعتُ ذلك ، فهل تجد لي من رخصة ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك الذين يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ الفرقان : ٧٠ . فقال وحشي : يا محمد ! هذا شرط شديد ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ﴾ فلعلي لا أقدر على هذا ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ النساء : ٤٨ ، فقال وحشي : هذا أرى بعد مشيئته فلا أدري هل يغفر لي أم لا فهل غير هذا ؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ الزمر : ٥٣ .

قال وحشي : هذا نعم ، فأسلم ، فقال الناس : يا رسول الله ! إنا أصبنا ما أصاب وحشي (أي فعلنا مثل فعله) ، قال : «هي للمسلمين عامة» . قال الهيثمي : ٧ / ١٠٠ : وفيه أبْيَنُ بن سفيان ضعّفه الذهبي . اهـ

✪وعن البخاري ٢ / ٧١٠ - الطبعة الهندية - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنَوا فأكثروا ، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسنٌ لو تخبرنا أنَّ لما عملنا كفارة فنزل : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ الفرقان : ٦٨ ، ونزل : ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ الزمر : ٥٣ ، وأخرجه أيضاً مسلم ١ / ٦٧ الطبعة الهندية وأبوداود والنسائي كما في العيني ٩ / ١٢١ وأخرجه البيهقي ٩ / ٩٨ بنحوه .

✪ **فهذه هي سمات الدعاة ومزاياهم من** : الخلق الحسن والصبر والحرص والإخلاص والتلطف والترؤف والرحمة والشفقة على خلق الله عندما يدعوهم إلى الله : وصدق الله العظيم ﴿ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ . فصلت : ٣٥ .

✪ **وهذه هي الصفات والسمات** التي تفيد الأقوام لإخراجهم من عبادة الأصنام إلى عبادة رب الأنام ويفتخر بها وبأهلها الملائكة الكرام من فوق سبع سمٰوات ، وبذلك عرفتهم السماء قبل الأرض . ولا يمكن الحصول على ذلك إلا لمشفق على عباد الله ولحريص على هدايتهم وتخليصهم من الكفر وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

✪ ذكر القرطبي في تفسيره : ١٥ / ١٥ مفسرا لقوله تعالى : ﴿ قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ﴾ يس : ٢٧ ، [قال ابن عباس : نصح قومه حياً وميتاً . رفعه القشيري فقال : وفي الخبر أنه عليه الصلاة والسلام قال في هذه الآية : «إنه نصح لهم في حياته وبعد موته» .

✪ وقال ابن أبي ليلى **سبّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين** : علي بن أبي طالب وهو أفضلهم ، ومؤمن آل فرعون ، وصاحب ياسين ، فهم الصدِّيقون ؛ ذكره الزمخشري مرفوعا عن رسول الله ﷺ .

✪ وفي هذه الآية تنبيه عظيم ، ودلالة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم عن أهل الجهل ، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي ، والتشمر في تخليصه ، والتلطف في افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه . ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته ، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام . فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه ، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم] . انتهى قول القرطبي رحمه الله .

للأسف الشديد ان كثيراً من الدعاة اليوم - إلا ما رحم ربي - قد تركوا هذه الأسوة المباركة التي زين الله بها قلوب أنبياءه وأصفياءه وعباده المخلصين ، واختاروا أسلوب السخط والغضب والطعن في المحاضرات التي يلقونها على عباد الله ، فبذلك السبب لا يتأثر الناس بكلامنا ، فيكون ما نفسد أكثر مما نصلح ،

ويكون الناس أعدائنا بدلا من أن يكونوا أصدقاءنا ، ويضرونا بدلا من أن ينصرونا . ونحسب أننا نحسن صنعاً . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فلا بد أن يكون القول لطيفاً حسناً قال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنتَ لهم ، ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفَضُّوا من حولك ... ﴾ آل عمران : ١٥٩ .

وقال رب العزة والجلال : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ﴾ النساء : ١٤٨ . وقال : ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ البقرة : ٨٣ .

وقال : ﴿ فقولا له قولاً ليّناً لعله يتذكّر أو يخشى ﴾ طه : ٤٤ .

✪ فإذاً لا يصح للداعية أن يشغله فضل القول عن خطره ، فقد روي عن بعض السلف أنهم كانوا يضعون الحصاة تحت لسانهم ، حتى لا يُسرع لسانهم إلى الكلام ، ويكفي المؤمن تحذيراً من فتنة القول ، قوله تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ ق : ١٨ .

وقوله تعالى : ﴿ إذْ تَلقَّونَه بألسنتكم ، وتقولون بأفواهكُم ما ليس لكم به علم ، وتحسَبونه هَيِّناً وهو عندالله عظيم ﴾ النور : ١٥ .

اللهم اجعلنا متبعين لسنن أنبياءك ووفقنا لما تحب وترضاه آمين يا رب العالمين .

✪**وثبت من قصة (حبيب النجار)** التعاون مع الدعاة ، وقد قال تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ المائدة : ٢ .

✪ **ملاحظة هامة** : فإذا لم يرد أحد التعاون مع الدعاة في هذا العمل الخيري : وهو من أعظم الأعمال وأحسن الأقوال قاله رب العزة والجلال :

﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ فصلت : ٣٣.

فعليه أن لا يكون مناعاً للخير ، ولا يكون سبباً لإيذائهم ولا يصدهم عن سبيل الله إذا رآهم على الحق ، وذلك بعد المشي معهم في عملهم للمعاينة والمشاهدة ، ولا يكتفي بالأخبار المسموعة و قال ﷺ : «ليس الخبر كالمعاينة» . إلا إذا كان النقل عن ثقة ثبت فاضل ، و قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ الحجرات : ٦ . ويقول أحدهم :

خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به

وقال أحدهم :

خـــذ ما صفــا ودع ما كـدر   إذا مــررت بأشجار عليها ثمر

وقال :

من ذا الذي ما ساء قط   ولمن لــه الحسنى فقط

غيـــر نبينـــا الذي   عــليه جبـريل هبـــط

صلوات الله وسلامه عليه .

وقال أحدهم باللغة الفارسية :

مرا بخير تو أميد نيست بد مه رسان

معـــناه والله أعــلم : الخيـر (والمساعدة في الخير) لا أتوقعه منك ولا أرجوه قـــط ، فأرجوك أن لا تؤذني فحسب .

كتبت هذه الملاحظة : لأن هناك بعض الإخوة قد يوجد فيـهم هذا المرض كريه الرائحة وهم مسلمون ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وذلك حسداً من عند أنفسهم ، يهدينا ويهديهم الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

✪ وعلى الداعيــة أن يشـاور الدعــاة ويتناصح مـعـهم ، قـال تعـالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ الشورى : ٣٨ .

وفي الحـديث الشـريف : «الدين النصــيحــة ، قلنا : لمن ؟ قـال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم» صحيح مسلم (٥٥) .

وما أدراك ما النصــيحة : قال النووي رحمه الله : روي أن جريراً - هو جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - اشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك هذا خير من ثلاثمائة درهم ، أ تبيعه بأربعمائة ؟ قال : ذلك إليك يا عبدالله ! فقال : فرسك خير من ذلك ، أ تبيعـــه بخمسمائة ؟ ثم لم يـــزل يزيده مائة مائة حتى بلغ ثمانمائة ، فاشتراه بها ، فقيل له في ذلك ؟ فقال : بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم » (كما في المرقاة شرح المشكاة : ٩ / ٢٢٦) .

✪ **فهذا الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى** جاءته امرأة بثوب من الحرير تبيعه ، فقال : كم ثمنه ؟ فقالت : مائة ، فقــال : هو خير من مائة ، بكم

تقولين ؟ فزادت مائة مائة حتى قالت : أربعمائة ، قال : هو خير من ذلك . قالت : تهزأ بي ؟ قال : هاتي رجلاً يقوّمه فجاءت برجل فاشتراه بخمسمأئة» تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٣ .

هؤلاء آبائي فجئني بمثلهم　　　إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وإن العمل بهذا الأدب الدعوي يُعمّق المحبة بين الدعاة ، ويَدفع الشرور عنهم ، ويعالج إعجاب كل ذي رأي برأيه . إلى غير ذلك من صفات وآداب دعوية لا تخفى على العالم البصير ، والداعية الحريص ... ولا بد لتحصيل مثل هذه الصفات والآداب من مجاهدة قوية مستمرة قال تعالى : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلنا ، وإن الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت : ٦٩ .

وبهذا ينتهي العرض السريع المجمل لسير الدعوة إلى الله قبل الإسلام على يد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، الذين حدثنا القرآن عنهم وعن دعوتهم وختم حديثه عنهم في سورة الأنعام بقوله : ﴿أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده ...﴾ الأنعام : ٩٠ .

✪ وليعلم الدعاة أن في أداء الأمانة إقامة للحجة على الناس ، حتى لا يعتذر معتذر بعدم بلوغ الدعوة إليه ، ولا يقول قائل : إن الدعاة قد قصروا ، ولم يؤدوا الأمانة التي ائتمنهم الله عليها ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ النساء : ١٦٥ .

والدعاة حين يؤدون الأمانة كما يقيمون بها الحجة على الناس فإنهم يقدمون لأمتهم أجل الخدمات لأنهم ينقذونها من الضلال ويأخذون بيدها إلى الخير ، ويبعدونها عن النار والدمار والخراب ، حيث لا تتعرض لسخط الله ولا ينزل بها عذابه ، وتكون من الفائزين في الدنيا والآخرة . (مقتبس من أسس الدعوة وآداب الدعوة تأليف الدكتور محمد السيد الوكيل) .



الحكمة من قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

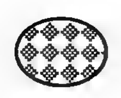
✪ [ليست الغاية من ذكر قصص الأنبياء إلا أن يتخذ الدعاة والمصلحون من سيرتهم العطرة نبراسا يستضيئون بضيائه ، ويهتدون بهديه ، وأن يسيروا على نهجهم فيجعلوهم قدوتهم في جميع التصرفات والأعمال ، وأن يكون أمامهم «المثل الأعلى» من حياة هؤلاء الرسل الكرام ، عليهم السلام .

✪ وليس الغرض من ذكر القصص في القرآن «التسلية» أو «الترفية» عن النفس ، وإنما الغرض «العظة» و «العبرة» . وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾ يوسف : ١١١ . كما أشارت الآية الأخرى إلى ضرورة الاستفادة من قصص القرآن بالتفكير والتدبير ، والسير على منهاج الأنبياء والمرسلين ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ الأعراف : ١٧٦ وخاصة بالنسبة إلى مقام الدعاة ، فإن الغرض من ذكر قصص الأنبياء لهم تثبيتهم على الدعوة وتقوية عزائمهم ، وبإطلاعهم على سيرة الأنبياء الأطهار وما تحملوه من أذى في سبيل الله . كما قال تعالى لسيد الخلق محمد ﷺ :

﴿ كلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾ هود : ١٢٠] (مقتبس من كتاب مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ص : ١٤١) .

وقال أحدهم : **القرآن الكريم كتاب الدعوة ودستورها ، ويجب أن يستمر مدداً وزاداً للدعوة والدعاة على طول الزمن .**

هذا و نكتفي على ما ذكرناه في هذا الباب



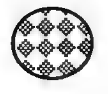
الباب الخامس

وفيـــه ثـــلاث فصـــول

الفصل الأول : قصص واقعـــية في الدعـــوة إلى الله للمسلمين الجدد وغـيرهم من الدعـاة

الفصل الثاني : الآيات والأحاديث في فضل الدعوة إلى الله تعالى .

الفصل الثالث : خـــتـــامـــه مســـك .



الفصـــل الأول

قصص واقعية في الدعـوة إلى الله للمسلمين الجدد وغيرهـم مـن الدعاة

قصـة عجيبة لبعض الفتية مـن الدعـاة

✪ قال أبو طلحة : وكأن إيمان هؤلاء الفتية من الدعاة (كما يظهر من القصة) مثل إيمان الفتية الذين ذكرهم الله في كتابه قائلا :

﴿ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى • وربطنا على قلوبهم إذا قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططا ﴾ الكهف : ١٣ - ١٤ .

✪ يحكى أن بعض الفتية من الدعاة خرجوا للدعوة إلى الله ودخلوا دولة من دول الكفر التي قد منع زعيمها دخول دعاة المسلمين فيها منعاً باتاً ، فلما دخل هؤلاء الفتية ودعو الناس إلى رب الناس ، بدؤا يدخلون في دين الله أفواجاً ، فثقل ذلك على زعيم الدولة وأهلها من الكفار ، فأخذوا وسجنوهم ، فجيئ بهؤلاء الفتية إلى القاضي ليحكم في أمرهم ، فقرر القاضي أن عملهم هذا يخالف قوانين الدولة وهم كفئة باغية لوطننا فلذا أحكم بقتلهم وصلبهم في يوم كذا وتاريخ كذا .

فلما سمع الفتية حكم القاضي بقتلهم وصلبهم فكان لا يرى أثر الخوف والحزن على وجوههم قط ، بل قالوا : وما لنا لا نعبد الذي فطرنا وإليه ترجعون ، وقالوا : ألا فاسمعوا : إنّا آمنا بربكم ولا نترك هذا العمل الذي يدعوا إليه ربنا وربكم وأنبياؤه وأصفياؤه ـ عليهم السلام ـ مهما كان الأمر . وثبتوا على ما قالوا واستيقنوا أنهم إن قُتلوا أوصُلبوا فهم من الشهداء في سبيل الله - إن شاء الله - لأنهم على الحق ويدعونهم إلى الحق، والحق أحق أن يتبع .

فلما جيء بهم إلى المقتل أمام الناس للقتل أو الصلب بدأ هؤلاء الشبان يهنئون ويعانقون ويودعون بعضهم بعضاً .

✪وبدأ يهمس أحدهم لصاحبه عند المعانقة وقال : إنك إن قُتلتَ قبلي أو صلبتَ سوف أكون وراءك إن شاء الله وسألحقك عن قريب ، وقال له أيضاً وهو يتبسم كما قال سيدنا بلال رضي الله عنه عند وفاته :

غداً نلقى الأحبة ... محمداً ﷺ وحزبه

وقال السامع لصاحبه : غداً سنلعب مع الحور العين إذاً ، ويلعبن معنا بفضل منه ونعمة - إن شاء الله - كأنهم يتلذذون بطعم الجنة بأقوالهم هذه وهم في دار الدنيا . وما ذلك على الله بعزيز .

وهذا طيِّب الجمَّال رحمه الله يقول : [صليتُ خلف سهل بن عبدالله - التستري - العتمة (أي صلاة العشاء) فقرأ : ﴿وسقاهُم ربُّهم شراباً طهوراً﴾ الإنسان : ٢١ ، وجعل يحرّك شفتيه وفمه ، كأنه يمصّ شيئاً ، فلما فرغ قيل له : «أتشرب أم تقرأ ؟» فقال : والله لو لم أجد هذه اللذة عند قراءته كلذته عند شربه ما قرأتُ]. (ذكره القرطبي في أحكام القرآن ١٩ / ٩٦ مفسرا لقوله تعالى المذكور) .

✪ ✪وذكر الإمام الحافظ ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب (طبع دار البيان دمشق ص ٦٨) : وقال : [سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وقال لي مرة : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة .

✪وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا .

وكان يقول في سجوده وهو محبوس : «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» - ما شاء الله - .

✪وقال لي مرة : المحبوس من حُبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه . ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قِبله العذاب﴾ (الحديد : ١٣) وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها .

✪ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرِّهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه .

✪وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض : أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة .

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها وما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

✪وكان بعض العارفين يقول : لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر : مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها ، قيل : وما أطيب ما فيها ؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره ، أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طرباً .

وقال آخر : إنه لتمر بي أوقات أقول : إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب .

✪فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته : هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة العارفين .

✪وإنما تقر عيون الناس به على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل ، فمن

قـرت عينه بالله قـرت به كل عين ، ومن لم تقـر عينـه بالله تـقطعت نفـسـه على الدنيا حسرات] . **انتهى ما ذكره ابن القيم رحمه الله في (الوابل الصيب من الكلم الطيب)** .

✪ **وقال ابن القيم رحمه الله في (الداء والدواء ص ٢٩٢)**: [«فلمحبي القـرآن من الوجـد ، والذوق ، واللذة ، والحـلاوة ، والسـرور أضعـاف مـا لمحبي السـمـاع الشـيطاني ، فإذا رأيت الرجل ، ذوقـه ، ووجـده ، وطربه وتشـوقـه إلى سماع الأبيات دون سـمـاع الآيات ، وفي سماع الألحان دون سـمـاع القرآن كما قـيل : تقـرأ علي الختـمـة وأنت جـامـد كـالحـجـر ، وبيت من الشـعـر يُنشـد تميل كالنشوان !!] انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

وقال إبراهيم بن أدهم رحمـه الله : [«لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف»] تنوير الأذهان ١ / ٣٥٦ .

وقال أيضا : «أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم»

انظروا إلى مقام هؤلاء البررة أيها الناس ! يقرأ آية من كتاب الله ويتلذذ بها وهو في دار الدنيـا ، **فهذه هـي حـلاوة الإيمان أخبر عنه صلـى الله عليه وسلم وقال** : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان . أن يكون الله ورسوله أحب إليـه مما سواهمـا ، وأن يحب المرء لا يحبـه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» رواه البخاري في كتاب الإيمان .

✪ وهـذا حسن البصري رحمه الله يقول : [«تفـقّدوا الحلاوة في ثلاثة أشـيـاء : (١) في الصـلاة ، (٢) وعند تلاوة كـتـاب الله ، (٣) وفي ذكـر الله تعالى ، فإن وجدتم ، وإلا فاعلموا ! أن الباب مغلق . (ذكره في تنوير الأذهان من تفسير روح البيان) .

✪ نعم ! وكـان هؤلاء الدعـاة يتلألؤ وجـوهم في المقـتل عندمـا يهنئـون بعضهم بعضا كأن الشمس تـجري على وجوههم ، أو كأنما فقئ على وجنتيـهم مثل الرمان ، وكذلك الإيمان وحلاوته إذا خالطت بشاشته القلوب يا عباد الله .

فلمـا رأى القاضي هذا المنظر من هؤلاء الشبـان المسلمين ، بدأ ينظر إليـهم بتعجب بالغ ، واهتز قلبـه وتحير عقله حتى سأل أحد زملائه وكان ممن قد عاش بين

المسلمين من قبل ويفهم لغتهم جيداً ، وقال : هل فهموا هؤلاء بحكمي الذي حكمتُ عليهم من القتل والإعدام أم لا ؟ وهل يظنون أني تركتهم وعفوتُ عن جريمتهم ؟

فأجاب زميله قائلا : بلى ! قد فهموا ما حكمتَ به عليهم فهماً جيداً ، وقال : كل هذا الذي تشاهده أمامك من المعانقة والمصافحة وتحية بعضهم لبعض : ما هو إلا بعد الشعور والفهم الكامل وبقواهم العقلية المعتبرة ولا ريب فيه .

فسأل القاضي تعجباً : فلماذا يفرحون بإعدامهم إلى هذا الحد وقال : إني كلما حكمتُ على أحد بالقتل أو الصلب فإنه يصرخ ويبكي ويصفرّ وجهه من خوف القتل والصلب ، وأما هؤلاء أراهم في غاية السرور والحبور ، وثغورهم باسمة ووجوههم تتلألؤ نوراً وجمالاً ؟!

فأجاب زميله : إن هؤلاء مسلمون ويعتقدون أنهم من الشهداء إن قتلوا في هذا الجرم الذي قررته عليهم ، وهم يشتاقون إلى الموت الذي يوصل الحبيب إلى الحبيب ، ويجدون اللذة في الشهادة ما لا يجدونه في غيره ، وأنهم يعتقدون أن لهم في الجنة حياة أبدية بعد الموت ، والجهاد في سبيل الله من أوجز الطرق لدخول الجنة عندهم ، فلذلك هم يفرحون بما وعدهم الله بعد الموت وآتاهم ﴿ فرحين بمآ ءاتـٰهُم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألاَّ خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ . آل عمران : ١٧٠ .

قال القاضي : إني حكمتُ عليهم بالقتل والإعدام ليذوقوا العذاب ويتألموا به ، ولكي أراهم في كرب شديد وهمٍّ أكيد ، ولكني أراهم فرحين على غير العادة ووجوهم يتلألؤ نوراً وجمالاً ، فلذك أرجع في حكمي وأنسخه لئلا يشمت بي الأعداء البغاة ، فنسخ حكمه في حينه . ووقاهم الله من كيد أعداءه أعداء الدين . وصدق الله العظيم : ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ﴾ الطارق : ١٥-١٦ . وقال : ﴿ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك ننج المؤمنين ﴾ يونس : ١٠٣ ، وقال : ﴿ وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ الصافات : ١٧٣ . وقال : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ الروم : ٤٧ . انتهت القصة .

قال أبو طلحة : سمعت هذه القصة من لسان الداعية الكبير فضيلة الشيخ محمد عمر بالنفوري رحمه الله تعالى في المحاضرة التي ألقاها في بلدة لاهور(باكستان) عام ١٩٧٨ ميلادي ، ثم سجلتها بقلمي من الشريط المسجل على بياض صفحاتي الخاصة بي .

ها نحن هؤلاء يا معشر المسلمين ويا معشر الشباب ! وها هو ربنا الرحمن ينصر من نصر دين الإسلام ، وبابه هذا مفتوح إلى يوم القيامة وهو يدعونا إلى دار السلام فادخلوها بسلام وأنتم ترجون من الله ما لا يرجون .

فعلينا أن ندخل دار السلام الذي يدعونا إليه السلام ومنه السلام ولا نبخل عن الدعوة والجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً - طوعاً أو كرهاً - لإعلاء كلمة الله حتى يكون الدين كله لله وقد وعدنا الله تعالى قائلا وهو لا يخلف الميعاد : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ العنكبوت : ٦٩ .

وقال تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ الطلاق : ٢ .

✪ **وقد فهمنا من قصة هؤلاء الشبان** معنى قوله تعالى : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنياوفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ، ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت : ٣٠-٣٣ ، سبحان ربي العظيم .

✪ وفهمنا أيضاً معنى قوله تعالى : ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفىٰ بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ التوبة : ١١١ .

فمن يشتري قبة في عدن عالية — في ظل طوبى رفيعات مبانيها
دلالها المصطفى والله بائعها — ممن أراد وجبريل مناديها

صلى الله عليه وسلم

النبي ﷺ يدعو سلطان الوقت إلى الله وما أوقدت في بيته نار إلى شهرين

✪ ✪ **فاسعى إلى باب مولاك جل وعلا** - أيها الشاب والشيخ - لإعلاء كلمة الله .

✪ ألا ترى أننا مسلمون ومن أمة النبي الأمي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - **الذي دعا سلطانَ الوقت** : عظيم الروم (الطاغي الجبار) وقال له : «اسلم تسلم» وذلك في الوقت الذي لا توقد النار في بيته إلا بعد شهرين ، وكانت خزانته خالية من المال والريال والدولار ، وخرج صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير .

✪ **ودعا هذا الجبار وغيره من الملوك الكفرة** في الوقت الذي كان درعه ﷺ مرهونة بالمدينة عند يهودي وأخذ منه شعيرا لأهله ،.

✪ **ودعاهم إلى الله في الوقت الذي** كان لا يمسي عنده صلى الله عليه وسلم صاعُ برٍّ ولا صاعُ حَبٍّ وأن عنده لتسع نسوة .

✪ **ودعاهم في الوقت الذي قد صارت فيه بعض أقاربه كالعقارب** ، وقد انقطعت جميع علائق الحب والود والقرب والقرابة ، فتركه أعمامه وأخواله وأهل الأرض أجمع إلا من هداه الله وأولهم : ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾ التوبة : ٤٠ .

✪ **وهذه الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما** تحكي عن أكلة بيتها وبيت النبي ﷺ وتقول : «كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ، إنما هو التّمر والماء إلا أن نُوتىٰ باللُّحيم» (رواه البخاري في كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم) .

✪ وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لعروة : (يا) ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثلاثة أهلّة في شهرين وما أوقدتْ في أبيات رسول الله ﷺ نارٌ ، فقلت : ما كان يُعَيِّشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه

قد كان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار كان لهم منائحُ وكانوا يَمنحُون لرسول الله ﷺ فيسقيناه». (رواه البخاري في كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم) .

✪ ✪ **(واعلم أن الله تعالى أرسل محمداً إلى أقوام عتاة أشراس** ، فذلل منهم كل من عتا ، ونكس بمولده الأصنام ، وانشق إيوان كسرى ، وخمدت نار فارس ، واختاره مولاه وقدَّمه على الخلق ، فهو بمنزلة العين من الرأس فهو رحمة عامة للأنام ، وله خطر جليل عند الخواص والعوام ، ولما خطب به أبو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر قال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل وعنصر مضر ، وجعلنا حَضَنَةَ بيته وخدّام حرمه ، وجعل لنا بيتاً معظَّماً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم ابن أخي هذا : «محمد بن عبدالله» لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل) مابين القوسين من «تنوير الأذهان ١ / ٢٩١- ٢٩٢) وقد نقله من «السيرة النبوية لابن هشام» . **على صاحبها الصلاة والسلام** .

✪ **قول عمه** ﷺ : «ثم ابن أخي هذا : «محمد بن عبدالله» لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح به» قال المؤلف : لا ، بل هو أرجح من الكونين كما ذكره ابن القيم رحمه الله حيث قال : وقد سئل ابن عقيل الحنبلي رحمه الله عن المفاضلة بين الحجرة (الشريفة) والكعبة ، فقال : إن أردت مجرد الحجرة فالكعبة أفضل ، وإن أردت وهو فيها ﷺ فلا والله ! لا العرش وحملته ولا جنات عدن ولا الأفلاك الدائرة لأن في الحجرة جسداً لو وزن بالكونين لرجح» ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه (بدائع الفوائد) .

✪ **ها نحن من أمة هذا النبي الأكرم** ﷺ [الذي عاش فقيراً ، واضطر أن يغادر وطنه الحبيب العزيز الذي فيه الكعبة ، البيت الحرام ، هذا النبي ﷺ المظلوم الذي اضطرَ إلى الهجرة ، فهذا النبي ﷺ يكتب إلى رئيس من رؤساء الجمهوريات . «من فلان إلى فلان» ، أما بعد ! «أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين» ومحمد بن عبدالله على فقره وضعفه ، يستطيع أن يكتب إلى قيصر

امبراطور الروم ، إلى أقوى إنسان ، وأغنى إنسان في عصره ، يقول : «من محمد رسول الله - ﷺ - إلى هرقل عظيم الروم» ، إن الرسول ﷺ يستنكف في أن يسميه قيصر ويقول : من محمد (ﷺ) ، يقدم اسمه الشريف ، يقول : من محمد رسول الله (ﷺ) ولا يقول : من محمد بن عبدالله ، لا ! هذا كتاب دعوة ، هذا ليس كتاب سياسة ، أو معاهدة وحلف .

يقول : «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم أما بعد : «فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين» ، ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ آل عمران : ٦٤

✪ فهذا كان شأن النبي ﷺ مع كسرى الذي مزّق كتابه ، فقال : سيتمزق ملكه ، وقد مزّق الله ملكه تمزيقاً ، فتحققت نبوته عليه الصلاة والسلام ، إذ قال : «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده] . (مابين القوسين من كلام الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله ، وهو مقتبس من كتابه (أحاديث صريحة في أمريكا ص ٢٧-٢٨) .

✪ **فقوموا ، وقولوا يا معشر العرب والعجم !** ويا متبعي هذا النبي الأكرم الذي أُرسل إلى الناس كافة - صلوات الله وسلامه عليه - .

قوموا ، وقولوا للعالم أجمع وللغرب منهم خاصة :

✪ **أيها الغرب !** أنتم في جهل مطبق .

✪ أنتم في ظلام حالك .

✪ أنتم في ظلم فاحش .

✪ أنتم في حيرة لا نهاية لها .

✪ أنتم في وحشة فظيعة .

✪ أنتم في همجية رزيلة .

✪ نراكم غرقى في بحر الظلمات بعضها فوق بعض .

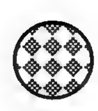
✪ ونراكم على شفا حفرة من النار .

✪ **وعنـدنا دواء لـداءكـم هـذا** لنخـرجكم به من الظلمـات إلى النور والحبـور والسرور، فتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم : أسلموا تسلموا .

✪ **أيـهـا المسـلم** ! إذا لم تسـتطع أن تدعـو الملوك الكفـرة الفجـرة ومتبعيهم إلى الله بإبلاغ رسالات الله ، فادعـهم للعمل بتعليمات القرآن والتأسي بالنبي الأكرم صلوات الله وسلامه عليه ﴿ولا تهـنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ آل عمران : ١٣٩ ، وقد يعدكم الله بقوله هذا ، فاستبقوا إليه ثم إلى الجنة التي أورثتموها وعرضها كعرض السماء والأرض وفقكم الله .

✪ فيـاأيهـا الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله (ﷺ) . ويا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة .

أسأل الله تعالى لي ولكم التوفيق ، وأن يثبت أقدامكم حيث تزل الأقدام وتزول الجبال الراسيات ، وأن يأخذ بأيديكم ويربط على قلوبكم وأن يشعل فينا وفيكم جمرة الإيمان ، آمين يارب العالمين .



قصة الشاب الأمريكي الداعية إلى الله

قال : أيها الظالمون ! أهكذا تفعلون ... وإلى متى ؟

✪**وهذه قصة ثانية في الدعوة إلى الله** : قال أحدهم : كنت أدرس في أمريكا قبل بضعة سنين ، وفي أثناء دراستي هناك ، كنت أدعو زملائي خاصة وغيرهم من الناس عامة إلى رب الناس ، فشرح الله صدر أحد زملائي من الأمريكان للإسلام فأسلم ونوَّر الله قلبه بالإيمان ، وفهم معنى الدعوة حق الفهم ، فبعد أن كان مدعواً صار داعيا إلى الله بتوفق منه سبحانه ، واتضح له حقيقة الحياة الدنيا وزهرتها ، وفهم معنى الإسلام والإيمان حق الفهم ، والحمد لله .

وقال : فرجعت إلى السعودية بعد إتمام دراستي وإكمالها ، ومازالت علاقتي قائمة مع زميلي هذا بواسطة الهاتف والرسائل ، وفي هذه الاثناء دعوتُه لأداء فريضة الحج ، فلبى دعوتي وجاء لأداء فريضة الحج ، فلما فرغ من الحج ، دعوته في بيتي باهتمام بالغ ودعوت جمع من الأصدقاء والأقارب من الرجال والنساء ليسمعوا كلام هذا الرجل وتأثراته في الإسلام ، وكان حديث عهد بالإسلام .

فاجتمع الناس من المدعوين في بيتي ، فبعد الحمد والثناء على الله تعالى بدأ الضيف (الأمريكي) يبين محاسن الإسلام ونعمة الإسلام التي أنعم الله بها عليه بمرافقتي له في أمريكا ، ففي أثناء محاضرته سأل الحاضرين عن بعض الأشياء التي كانت حولهم في البيت من المفروشات والثلاجات والستائر والكراسي وغير ذلك من المصنوعات ، فسأل عن صنع المفروشات ، فقيل : هي من المصنوعات الأمريكية ، وسأل عن الثلاجة التي كانت في زاوية من الغرفة ؟ فقالوا : من المصنوعات اليابانية ، وسأل عن الستائر المعلقة ؟ فقالوا : صنعت في إيطاليا ، وهكذا سأل عن السيارات والطيارات وغير ذلك من المصنوعات ، فقالوا : صنعها فلان وفلان من دول الكفر والإلحاد الخ .

✪فقال : قد أعطاكم الله تعالى جميع هذه المصنوعات المريحة وأنتم جالسون في بيوتكم ، وأصحاب الشركات (من الكفار) يوصّلونها إليكم بأنفسهم بعد أن بذلوا جهدهم الكبير في صنعها ، وهذا مبلغ حياتهم في الدنيا

وهم يؤدونه حق أدائه ولا يقصرون في ذلك ، ويبلغون مصنوعاتهم في مشارق الأرض ومغاربها لاستفادة الناس بها .

وقد أعطاكم الله تعالى جميع هذه المصنوعات بدون أي تعب ومشقة وتستفيدون بها كما يستفيد بها أعداء الله .

✪ثم قال : أيها المسلمون ! قد أنعم الله تعالى عليكم بأكبر ملك وثروة وزين بها قلوبكم وألسنتكم وهو كلمته «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فوالله لا يساويها العرش وحملته ولا جنات عدن ولا الأفلاك الدائرة لأنها كلمة - وأي كلمة - لو وزنت بالكونين لرجحت .

وكيف لا : وقد قال صلى الله عليه وسلم : «... فلا يثقل مع اسم الله شيء» الحديث كما يرويه ابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول الله تبارك وتعالى : هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا ، يارب ! فيقول : أظَلَمَتْكَ كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا ، ثم يقول : ألك عذراً ؟ ألك حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول : لا ، فيقول - الله تعالى - بلى ! إن لك عندنا حسنات ، وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج له بطاقةٌ فيها : «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله» فيقول : يارب ! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» .

✪وزاد الترمذي : «فلا يثقل مع اسم الله شئ» وقال : حديث حسن غريب . أورده القرطبي في تفسيره : ٧ / ١٠٧ .

✪ثم قال الأمريكي : لا شك في أن جميع نعيم الآخرة موقوفة على قول لا إله إلا الله ، وتفدى لها الدنيا والآخرة مع نعيمهما .

✪ **فها أنتم أيها المسلمون !** لا تستفيدون من نعمة «لا إله إلا الله» حق الاستفادة ولا تبلغونها إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم حق البلاغ ، وصدق الله العظيم : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ الانعام : ٩١ ، فاقدروها أيها الأحباب ولا تسوفوا وبلغوها في مشارق الأرض ومغاربها ليكون الدين كله لله ، ولئلا يموت الناس من أمة نبينا صلى الله عليه وسلم على الكفر والضلال ، كما مات أبي وأمي علـى ذلك وأنا على ذلك بفراقهما لمحزون ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

✪ ثم ذكر الأمريكي غفلة الدعاة وعدم اهتمامهم في ميدان الدعوة كما هو حقها ، وذكر بعض القصص في عطش الأمة واحتياجها إلى الدعوة ، وقال متأوهاً ومتأسفاً وعيناه تذرفان : مات أبي وأمي في حالة الكفر قبل أن يرزقني الله بنعمة الإسلام والإيمان ، وكان قلب كل واحد منهما ألينُ مني وأرق ، سمعت بأذنيّ هاتين وكانا يتذاكران الإسلام أحياناً ويعجبان بمحاسنه ، ولكن كان ما قدر الله لهما بسبب غفلة الدعاة (المسلمين) حتى ماتا على الكفر .

✪ وقال : أتفكر أحياناً وأجد نفسي في غيابة الجب من الحزن فأبكي على موتهما في حالة الكفر وأقول :

✪ أكان قد خُلق حسنهما للنار ؟

✪ وهل كان أبي ووالدتي توقد بهما النار وتشعر كغيرهما من الناس ؟ وقال تعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدّتْ للكافرين ﴾ البقرة : ٢٤ .

✪ وهل تدعوهما نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة : يوم القيامة بسبب إدبارهما وإعراضهما عن الإسلام ، و قال تعالى : ﴿ تدعو (أي النار) من أدبر وتولى وجمع فأوعى ﴾ المعارج : ١٧-١٨ .

✪ وصرخ بصوته الرفيع ولم يتمالك إلا أن بكى وجشع لموتهما على الكفر فخاطب الحاضرين قائلا : **أهكذا تفعلون أيها الظالمون ! مع أمة نبيكم الباقية على وجه الأرض كما فعلتم بأبي وأمي وإلى متى ؟** وقد قال ربكم مخاطباً لكم خاصة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ جميعاً لا للمسلمين فقط ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ آل عمران : ١١٠ ؟

✪ فأجيبوني ! يا معشر العرب ! فهل من مدكر ؟ وهل من مجيب ؟ فبكى الناس ببكائه وحزنه على موت أبيهما في حالة الكفر . انتهت القصة .

✪ ✪ قال أبو طلحة : **هذا الحب - حب الأبوة والبنوة - لا ينكره أحد في العالم أجمع** ، وحب الولد المسلم (الصالح) لأمه وأبيه أعظم وأجلُّ من حب الولد الكافر لأبويه . وقصة بكاء الأمريكي وإبكائه الناس ومخاطبته للمسلمين الحاضرين بقوله : «أهكذا تفعلون أيها الظالمون ... وإلى متى ؟» تخبر عن

شفقته وحبه الشديد وحرصه الأكيد على إسلام أبويه . وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب .

✪ **و كذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه يبكي من الحزن على أمه قبل أن تسلم** . وكان يحرص على إسلامها ويدعوها دائما إلى الله وإلى رسوله ﷺ فتأبي عليه حتى يسمع منها في حق رسول الله ﷺ ما يكرهه فيزيد حزناً على حزن وكرباً على كرب وبكاءاً على بكاء ، ومن ناحية أخرى كان أشد رغبة في إسلامها ، فيزيد حرصه على ذلك فيحكي قصته - بنفسه - في دعوته لأمه وحرصه على إسلامها وبكائه على ذلك فيقول رضي الله عنه كما ذكره مسلم في صحيحه :

✪ (كنتُ أدعو أمِّي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ماأكره ، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي - فأي شيئ أبكاه يا أخي ؟ - فقلت : يا رسول الله ! إني كنتُ أدعو أمِّي إلى الإسلام فتأبى عليَّ وإني دعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهديَ أمَّ أبي هريرة فقال : «اللهم ! اهد أُمّ أبي هريرة» فخرجتُ مستبشراً بدعوة رسول الله ﷺ . فلما جئتُ قصدتُ إلى الباب فإذا هو مجاف - مغلق - فسمعتْ أمِّي حسَّ قدمي فقالت : مكانك يا أبا هريرة ! وسمعتُ حصحصة الماء - أي صوت تحريك الماء - قال : ولبست درعها - قميصها أو ثوب تلبسه في بيتها - وأعجلت عن خمارها ففتحتْ الباب وقالت : يا أبا هريرة ! «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» قال : فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فحمد الله ، وقال : خيراً وأخرجه أحمد أيضاً بنحوه ؛ كذا في الإصابة (ج ٤ ص ٢٤١) .

وأخرجه بن سعد (ج ٤ ص ٣٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وزاد في آخره : «فجئتُ أسعى إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت : أبشر يا رسول الله فقد أجاب الله دعوتَك ، قد هدى الله أمَّ أبي هريرة إلى الإسلام . ثم قلت : يارسول الله ! ادع الله أن يحببني وأُمِّي إلى المؤمنين والمؤمنات وإلى كل مؤمن ومؤمنة . فقال : «اللهم ! حبب عُبَيْدكَ هذا وأمَّه إلى كل مؤمن ومؤمنة» فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني) . **مقتبس من حياة الصحابة (رضي الله عنهم) : ١/٢٨٩/٢٩٠) للداعية الكبير الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله .**

قصة الشاب البريطاني في ذلك

✪وذكر بعضهم : بينما كنا جلوساً في عام ١٩٦٤م في مسجد بانجلترا إذ اتصل بنا أحدهم هاتفياً في الساعة ما يقارب (٤٥: ١١ ليلاً) ، يخبرني أن هناك شاباً يرغب في زيارتنا ويريد اعتناق الإسلام ، فقلنا : إن هناك بعض الصعوبات في السفر ليلاً ويعانى هذا الرجل من المشاكل في الذهاب والإياب ، فلو يحضر صباح الغد لكان خيراً له ، وكان هناك طالب يدرس في مرحلة الدكتوراه فأخبر الشاب بذلك ، فقال له الشاب : أنا لا أدري هل أكون حيّاً حتى الصباح وأعيش إلى الفجر ، وبكلامه هذا شعرنا كأن الأرض انسلّت من تحت أقدامنا حيث أن هذا الفتى لما يدخلْ في الإسلام ومع ذلك يهتم ، ونحن لا نبالي به في حياتنا حيث أن آمالنا معلقة بحياة طويلة ورجاءنا مرتبط بأعمار مديدة فأذنّا لهذا الشاب أن يحضر في الوقت نفسه .

✪ قال راوي القصة : وأنا على ثقة وأتذكّر جيداً أن هذا الفتى حضر واستحمّ وفي الساعة ما يقارب الواحدة ليلاً جلس عند عمود في جزء من الطابق الأرضي للمسجد وإلى جانبه فضيلة الشيخ عبدالواحد العالم الجهبذ ، وأقرأه الشيخ كلمة التوحيد وأسماه بعبدالرحمن ، وأن هذا الشاب صبيح الوجه ، معتدل القامة ، قد بلغ من العمر مابين ٢٠ - ٢٢ تقريباً ، قد عانى صعوبات وواجه تضحيات لدخوله في الإسلام ، تفكرنا وقلنا : إنه لا بد من تقديم أيسر طريق وأسهل سبيل يمكّنه من التمسك بالدين والثبات على الإسلام .

✪ فقلت له : تلبية لذلك : إنك تسمع يا عبدالرحمن أن الخمور يشربها الشعبُ في بيئتك ويتداولونها على درجة كأنها ماء يسيل على وجه الأرض حيث أنها متوفرة لديكم حتى على مائدة الطعام ، فلتعرف أن الخمر عندنا في الإسلام حرام . فقال : إني قد عرفت ذلك من خلال قراءتي عنها قبل شهر ومنذ عرفت ذلك لم أتذوق منها قطرة إلى الآن والحمد لله ،

✪فقلت له : إن في بيئتك يتعايش الرجال والنساء مختلطين بعضهم مع بعض على حدٍ سواء ، وإن في ديننا ذلك مستحيل حيث أن الإسلام يحرم هذا

الاختلاط إلا ما يكون فيما بين الزوجات والأمهات والأخوات وغيرهن وما دون ذلك ، فهذا تبرج جاهلي محظور . فقال لنا الشاب : إنه كانت لي مخطوبة والآن مضت علينا عدة شهور ولم نتقابل إلى هذا الحين ، وسأتزوجها بعدُ إن شاء الله ، وبعد ما يتم الزواج سنلتقي بإذن الله تعالى .

✪وقلنا : يا عبدالرحمن : إن أفراد المجتمع الذي تعيش بينهم يقضون لياليهم في قاعات وحفلات وفنادق ومنتزهات مغنين راقصين ومستيقظين ، ولكن ديننا الإسلام لا يسمح لنا بذلك أبداً .

✪ فبدأ الشاب يجيب علينا بكلام تتحير له العقول فقال : حينما كنت أدرس في مدرستي فكلما كانت تأتي حصة الرومانس (الرقص والغناء) كنت أعتذر عن ذلك وأحذر من الحضور فيها . (قلت : هذا حاله في حالة الكفر فما بالك في حالة الإيمان ؟) .

✪فقلنا له : قد ولدتَ على الفطرة التي فطرالله الناس عليها وما زلت على ذلك فالحمد لله الذي هداك لهذا ، وهذا غيض من فيض ، إن هذا الشاب كان في تلك الأيام يدرس ويتعلم قدر المستطاع إلى زهاء ثلاث ساعات أو أكثر ، وكنت أستفسره وأسأله : أنت يا عبدالرحمن ألست تتعب من الجلوس الطويل فتمل وتسئم ، فقال لي : أبداً ، إن ما أشعر به هو الخير واليمن والبركة واللذة والحلاوة وأي حلاوة إي والله .

✪ثم إنه أصبح أستاذاً بعد سنين واشترط على نفسه أنه يوقف حياته كلها خدمة للإسلام تعليماً وتدريساً . قال الله تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعملا صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ . سورة فصلت : ٣٣ .

هذا ، وكانت الإتصالات الودية تتواصل بيننا وتستمر ، والحمد لله الذي نور قلب هذا الشاب بنور الإيمان بجهد بعض أهل الإيمان من عباد الرحمن فيا الله ! حبب إلينا وإلى شبابنا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا وإليهم الكفر والفسوق والعصيان ، آمين يا رب العالمين .

قصة الشابين الأمريكيين

✪ سمعت هذه القصة من بعض الدعاة حيث قال : إن هذان الشابان كانا يسكنان في أمريكا ويمتلكان منازل شامخة صلدة عالية فاخرة ، وسيارات فائقة ، وجميع وسائل الحياة المتطورة الراقية الجديدة متوفرة لديهما ، وكنت في ذلك الوقت أزاملهما وكنت أتمتع بصداقتهما ، ونتعايش تعايشاً سليماً أخوياً ودياً ، ففي يوم من الأيام أخذاني معهما إلى منزلهما ، وكان معي الأخ (باتيا) أحد الدعاة في جنوب أفريقيا فشاهدنا تلك القصور الفاخرة : فيها مسابح ومناظر رائقة ، وأزهار جميلة تسر الناظرين وتبتهج به النفوس ، وتدعوا الطبائع إلى الإغتباط والسرور ، سيارات ممتازة ، ومن بينها سيارة خاصة فاخرة للزوجة .

✪ أعجبني كل هذا وأدخل في نفسي الحيرة والإستعجاب مما كانا يتمتعان به من وسائل الحياة الموفورة .

✪ نعم والذي يفقدانه مع توفر هذه الوسائل الراقية والإمكانيات المتاحة إنما هو سكينة النفس وطمانينة القلب وهي التي إذا كانت مفقودة في الحياة فلا ريب أن النفس تضئل وتسئم والقلب يضطرب ويمل ، وهذا كما قال تعالى : ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ طه : ١٢٤ .

✪وحينما تحدث هذان الشابان فيما بينهما وفكّرا في عمل يأتي بالأمر الذي يرتاح به القلب وتطمئن به النفس ، فعهدا في الأخير إلى شراء تذاكر الطائرة للتجول في أنحاء العالم ، فاعتزما وسافرا، وبعد ما تمتعا من كل عيش موفور وطرب ميسور وترف مغمور ، ورجعا من هذه الجولة العالمية ، وجدا أن القلب - مع ذلك كله - يخفق ويضطرب والنفس تشمئز وتضطرم .

✪ وقد سمعا في زمن نعومة الفتوة والشباب من الناس أن في حياة الآخرة طمأنينة وراحة وسكينة واستقرار ، فاعتزما وتعاهدا السفر إلى الآخرة وهم في دار الدنيا ، فاستأجرا الباخرة وجلسا فيها ثم اعتزم كل منهما أنه يقذف

نفسه في البحر بعدما تتجاوز السفينة بهما المسافة البالغة ٧٥ كم تقريباً . ومن ثمَّ حصل لهما كل ما أرادا تبعاً لذلك فرمى كل منهما نفسه في أمواج البحر المتهالكة فمات الواحد منهما وأكلته أمواج البحر وأسماكه .

✪ قال راوي القصة : والذي ظلّ على قيد الحياة يحكي قصته ويقول : إنه عندما قذفنا أنفسنا في أمواج البحر ظهر سمك عظيم الخِلقة وابتلع زميلي ، ثم جعل هذا السمك يدور حولي فاتحاً فاه ، ولكن من سعادتي أنه تخلصت منه ونجوت بفضل من الله ، وإني لما شاهدت ذلك المنظر المخيف والهائل المهيب ونظرت موت أخي وصديقي الحميم بعيني هاتين الذي صادقته وزاملته زمناً طويلاً ومدة مديدة وعشت معه على ودّ لا مثال له .

✪وقال : (ولعل هذا من فضل الله على الخلق أنه عند حدوث المفاجأت في حياة الإنسان يندفع في جسمه بقوة اضطرارية فورية فتنشؤ بعض الرطوبات (هارمونز) التي تجعل الجسم كائناً حياً فيظهر عليه ملامح التعب والسآمة ، وخير دليل على ذلك ما نشاهده في موسم الحج عند كثير من الناس أنهم لا يجدون وقتاً فارغاً للراحة والنوم من أجل هجوم المشاغل عليهم في أثناء قيامهم بمناسك الحج وبعد أدائها يشتكي أكثرهم من الزكام والسعال وغير ذلك من التعب والمشقة انتهى) .

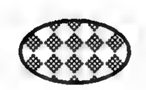
✪وهذا هو ما حدث معي تماماً فإنني عندما وصلت إلى شاطئ البحر بعد تعب وكد من خلال يومين خررت مغشياً على الأرض ، وفي هذا الوقت كان فئة من الرجال يمرون في هذا الطريق ، فرءوا هذا المنظر المُدهش فألقوا عليّ شرشفاً ، وعندما أفقتُ من الغشي نظرت إلى هذه الوجوه المنيرة المطمئنة المستبشرة والمستبصرة فسألت : من أنتم ، وكيف وجدتم هذه الطمأنينة والاستقرار ، فقالوا : إننا فئة مسلمة آمنا بالله ربنا وبمحمد نبينا ﷺ نضرب في الأرض .

✪ فقلت لهم : وهل من الإمكان أن تأخذوني معكم ، فلبوا رغبتي وأخذوني معهم وأكرموني نعم الإكرام ، فتأثرت من أفعالهم وأقوالهم خلال يومين أو ثلاثة ، فوجدت ما فقدت من الطمأنينة والراحة والسكون والنور

والسرور والحبور ، و قال : قد خرجت أنا وصديقي المتوفي - الذي قد أكلته أمواج البحر وأسماكه - لحصول هذه الطمأنينة التي ألقينا أنفسنا لأجلها في البحر ، وقد كنا سمعنا عنها بأن هذه الطمأنينة والراحة والسكون لا يوجد إلا بعد الموت في حياة الآخرة .

فأسلمتُ على أيدي هؤلاء الدعاة ، فأقرءوني وعلّموني كلمة التوحيد ولوازمها ، والحمد لله على ذلك .

✪ ✪و قال الراوي : هذا الشاب الذي يحكي قصته هو من بعض أصدقائي في أمريكا وانتقل من أمريكا إلى كندا في هذه الأيام ، يتلألؤ على وجهه مظاهر الكمال و الجمال والفتوة ، يتكلم كأن اللآلي تنتشر من فيه ، وهو ممن يغتنم خدمة الدعاة إلى الله ويعينهم على ذلك ، وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب ، وكان كلما ألقي كلمة على الناس يسمعهم قصته هذه التي حدثت معهما في البحر . اهـ



قصة غريبة للصانع والفنان الأمريكي الكبير

✪ هذه القصة يرويها أحد الدعاة ويقول : زارنا أحد الصائغين المسلمين من الأمريكيين وفنانهم الكبير في مركز الدعوة والتوعية الإسلامية بلاهور ، وكان من عادة المركز وهو من الحكمة أنهم يبعثون من الدعاة : ذووا الصناعة إلى ذوي الصناعة والأطباء إلى الأطباء وهلم جراً .

فرتب له في زيارة لقبيلة مشهورة من حيث الصناعة والحرفة ، ولهم مصانع كبيرة وكثيرة والتقى هذا الرجل الأمريكي في زيارة من زياراته مع المدعو / يوسف سهغل (وهو أحد أصحاب المصانع ومديرها العام) .

وعندما رأى يوسفُ هذا الأمريكي : لم يلتفت إليه ولم يهتم بشأنه ، فتوجه الأمريكي بنفسه إليه وجعل يحادثه بالإنجليزيه في أسلوب شيّق فسأله عن الخاتم الذي وضعه (يوسف سهغل) في إصبعه ، ثم قال له : أعتقد أن هذه الدرة التي تلمع وتتلألأ في خاتمك هذا قد استخرجوها من معدن كذا في أفريقيا ، صاغوها ونحتوها في دولة بلجيكا ، وصبغوها ولوّنوها في انجلترا ، وسعرها بالدولار كذا ، وبالروبية كذا . فاستعجب وتحيّر يوسف من كلام الأمريكي لأنه كان قد تعرّف على هذه الخلفية من كتاب خاص بالدرة الذي ينتظم في طيّه محتويات مبسطة حول الدرة واللؤلؤ ومن ثم علم أن هذا الرجل ليس كما يظنه هو ، وإنما هو يمتاز بسمات تميزه عن غيره ، فاهتم به وتوجه إليه .

✪ فسأله المسلم الأمريكي عن الأفلام الإنجليزية وقال : أتشاهدها ؟ قال يوسف : نعم ، فذكر له الأمريكي حوالي عشرين من الأفلام . فأجاب السهغل أنه شاهد منها خمسا أو ستاً ، فسأله الأمريكي عن الفنان الذي مثّل في هذه الأفلام ، فأمعن النظر إلى وجهه ، فقال الأمريكي أنا هو ذا ، لقد كان قلبي لا يطمئن ببال ولا يستقر في حال ، وكنت في حاجة ملحة إلى سكينة ونضرة واستقرار ، فكان همي الأكبر هو البحث عن هذه النعمة ، ولكن مما يؤسفني أني لم أعثر على ما كنت أرغب فيه ، وظل قلبي كالبيت الخرب الذي أبادته

أيادي الزمان ، فاندثر وانطمس ، ليس له عمران ولا قرار حتى اعتنقت الإسلام وشهدت بكلمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله» (ﷺ) عندها والله تذوقت حلاوة الإيمان في القلب ، وعرفت سكينة النفس ، وشعرت أن عذوبة الحياة الحقة ليس إلا في الإسلام وإعلاء كلمة السلام جل وعلا (وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب)

✪وقال : ليس يا أخي يوسف ! حلاوة هذه الحياة الضاحكة المستبشرة إلا في دينكم دين الإسلام ، فاتقوا الله أنتم في هذا الدين الذي متع الله به قلوبكم فإنكم لمسئولون عن هذه النعمة : نعمة الإسلام والإيمان ، فاهتموا بإبلاغها إلى غيركم وترسيخ عقيدة الإسلام الصحيحه في الأذهان ، وبث الوعي الديني وغرس الروح الإسلامية في القلوب الخاوية – والقلب قرية يا يوسف ! إذا خربت فليس لها عمران إلا أن يشاء الله – و نشر رسالة هذا الدين القويم السامية في أرجاء بلاد العالم فإن العالم كله اليوم في حاجة ماسة وحرص شديد ورغبة ملحة إلى رحمة الله وإلى هذا الدين القويم . ✪ **وبعد كلمته الوجيهة الطيبة هذه** عاد الأمريكي إلى بلده فقام بتأسيس عمارة ، فجعل الطابق الأول منها مسجداً والطابق الثاني مدرسة دينيه ، والثالث سكناً له .

✪ وكان لهذا الأمريكي صديق حميم وصانع كبير في أمريكا ، فكلما كان يأتي صديقه هذا لزيارته في بلده ، كان يبعث له سائقه الخاص إلى المطار ليستقبله ، ولكن عندما أخبره هذه المرة بمجيئه ، ذهب بنفسه على أمر غيرمعهود إلى المطار ، ليرحب به ويستقبله ولكي يستأنس به ويستمع إلى قوله ودعوته له إلى الإسلام ، فلما وصل صديقه هذا إلى المطار ، بدأ يبحث عن سائقه الخاص الأول لكنه لم يجده حسبما سبق له من قبل ، فبدا له الرجل الأمريكي (المسلم) فتعارفا وتعانقا ، وقال له الصديق متحيراً لما رآه : أأنت الآن في هذا اللباس ؟ قال : نعم جئتك لأستقبلك في أحسن صورة وأجمل زي ، والآن أنا أتباهى بما أنت تراني عليه .

والحمد لله حمداً لا انقطاع له وليس أحسانه عنا بمقطوع

انتهت القصة ففيها بعض الحكم والأسرار والآداب في ميدان الدعوة إلى الله وذلك لمن أراد اللهم وفقنا لما تحب وترضى .

ذكر الشيخ يحيى بن إبراهيم اليحيى حفظه الله تعالى في رسالته : «مشاهدات في بلاد البخاري» بعض القصص التي تدل على حب أهلها للدعاة ولدين الله وعطشهم للإسلام ، ويدل هذا على كرمهم وحسن ضيافتهم أيضا من ذلك :

القصة الأولى

يقول الشيخ حفظه الله تعالى : خرجنا من مدينة «طشقند» قرب المغرب ، وبعد مسيرة ثلاثين كيلا غربت الشمس ، فقصدنا شخصاً يعرفه أحد المرافقين معنا ، ففرح فينا فرحاً شديداً ، وأدخلنا بيته ، وما هي إلا دقائق حتى قدم لنا الطعام ، وما زال يقدم لنا أنواعاً من الأطعمة فما استطعنا أن نوقفه إلا بالمناداة للصلاة ، فلما أدينا الصلاة استأذنا في الخروج ، فبكى وطلب منا أن نبيت عنده ، وقال : ما أكرمتكم ، ثم أخذ بالإلحاح علينا علنا ننام عنده ، فلما علم إصرارنا على المسير قال : متى ترجعون إلى «طشقند» ؟ فقلنا : بعد عشرة أيام (إن شاء الله) ، فلما قدمنا «طشقند» وجدناه واقفاً على باب الفندق صباحاً ، فحاولتُ الحديث معه ولكن لا يعرف العربية ، وسمى لي شخصاً ممن يصحبوننا يريد مقابلته ، فدخلت الفندق وبحثتُ عنه ، فلم أجده ، فخرجت إليه وأخبرته ، فطلبت منه أن يدخل فأبى ، فدخلت الفندق وتصورتُ أنه سيذهب ، ولكنه بقي على باب الفندق حتى جاء صاحبه بعد العصر ، فقال : لا بد من أن يزورني الضيوف الكرام ، فقال له : إن سفرهم صباحاً ولا يستطيعون ، فإذا معه بعض الهدايا من عسل مصفى في برميل يبلغ وزنه خمسين كيلا ، فأقنعه صاحبي بعد إلحاح أننا لا نستطيع حمله بسبب الجمارك ، وظننا أن الأمر انتهى إلى هذا ، وبعد صلاة العشاء نزلت من الفندق فإذا بصاحبنا على بابه فأدخلته في غرفتي فبدأ يبكي ! كيف نذهب ولم نزره ؟ ثم أعطاني لباساً من ألبستهم وسكيناً ـ فهم

يشتهرون بصناعة السكاكين الطيبة ـ وجزءاً من العسل ، ولصاحبي مثل ذلك ، فحاولت إقناعه بعدم أخذها ، وأننا قد ربطنا أمتعتنا ، فبكى ! فأخذتها مجاملة له ، ثم خرج مودعاً لنا باكياً .

القصة الثانية

التقينا مع بعض زملائنا من أهل الرياض في مدينة (طشقند) فتجاذبنا وإياهم أطراف الحديث ، فذكروا لنا بعض ما شاهدوه من كرم الناس ، فقالوا : وجدنا رجلا عمره في الأربعين في طشقند فقال : أود أن تزورنا في قريتي ، فأمي منذ زمن تريد أن ترى أحداً من أهل مكة أو المدينة ، قلنا : كم تبعد قريتك عن (طشقند) ؟ قال : قرابة ست مائة كيلا ، فقلنا له : إن شاء الله سنزورك - كعادتنا في كل من طلب منا الزيارة نسوف له فإن حانت فرصة فعلنا - ولكن الرجل فهم منهم القبول فسافر إلى قريته ووصل إلى أمه ليلاً ، وأخبرها الخبر ، فأخذت تبكى من الفرح حتى الفجر ، وفي الصباح اشترت ضأناً بمبلغ ألفي روبل وللمعلومية أن راتب أستاذ الجامعة عندهم ألف روبل - وذبحته وطبخته ، فلما جاء الظهر خرج أهل القرية كلهم ومعهم الأعلام والرايات إلى ظاهر القرية لاستقبال الضيوف ومعهم المرأة ، فلما جاء العصر ولم يحضر الضيوف أمرت ولدها بأن يحضر طبيباً خشية أن أحداً منه قد مرض ، ثم بقوا في انتظارهم حتي العشاء الآخرة ، فقال الرجل لأمه : نرجع ، فقالت : لا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد رجلاً فجلس ينتظره ثلاثة أيام ، وأنا سأنتظر سبعة أيام ، وبعد الإلحاح عليها خشية البرد رجعت إلى البيت على أن يسافر ابنها في طلب الضيوف ، ولكن الضيوف سافروا إلى مدينة أخرى ، فهم في نظرهم لم يعقدوا موعداً معهم ، فخرج الرجل يبحث عنهم حتى وجدهم ، فقال لهم : أين الموعد ؟ فقالوا : - واستغربوا - وهل واعدناك ، فلما أخبرهم بانتظار الناس لهم رجعوا معه ، فوجدوا الناس في انتظارهم في ظاهر القرية ومعهم الرايات ، فلما رأونا رفعوا أصواتهم بالتكبير ، وأسرعت المرأة وأكبت عليهم تريد تقبيل أيديهم

فابتعدوا عنها ، ثم أكبت أقدامهم تقبلها ، فلما دخلوا القرية وجدوا طريقهم قد فرش حتى البيت ، قالوا : فلما جلسنا على الطعام والعجوز قريباً منا أخذت تبكي فرحاً حتى خشينا عليها من التشنج ، فلما أكلوا أحضرت لهم الماء بنفسها ليغسلوا أيدهم ، ومعها المنديل وأبت أن يأخذه أحد منا ، قالوا : ثم ذهبنا إلى المسجد فإذا الناس مجتمعون فيه فأخذ الصغار بالتكبير والكبار بالبكاء عند مرآنا .

هذا والقصص في كرمهم كثيرة ولكن ذكرت هاتين القصتين للتدليل فقط .

✪ ✪ثم ذكر الشيخ يحيي بن إبراهيم حفظه الله تعالى في رسالته المذكورة ص ٦٧ وقال :

✪**قلوب القوم معنا فهل قلوبنا معهم** : إن أولئك الناس يحملون في قلوبهم ويكنون لنا الود ، والمحبة ، وهم لم يرونا ـ سبحان الله ـ ولقد حملني كثير منهم السلام على إخوانهم في هذه البلاد ، على حين أغفلنا ذكرهم سنين طويلة ، ولم نقوم بشيئ من حقوقهم . وقال الشيخ بعد ذلك :

✪**لنكون صورة طيبة للإسلام** : إن الناس هناك ينظرون إلينا نظرة احترام ، وإجلال ، وإكبار ، ويرون أنّا حماة الإسلام وأهله ، والذابون عن حياضه ، والمسئولون عن نشره وتبليغه ، والعاملون بجميع تعاليمه ، فما نقدم مدرسة أو مسجداً إلا ونجد أنفسنا بين مشهدين : كبار يبكون فرحاً بمرآنا ، وشباب يكبرون بهجة بلقيانا ، يحيطون بالسيارة قبل نزولنا ، والكل يتزاحم لتكتحل عيناه برؤيتنا ، وما أن ننزل والأيدي تمتد إلينا من كل جهة ، حتى ليصافحنا الواحد منهم مرة ، ثم مرة يخرج من الجمع ، ثم يعود وكأننا نزلنا من الجنة .

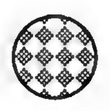
أما إن دخلت متجراً ، أو سوقاً ، وعلم أنك من المدينة تنهد فرحاً وشوقاً ، وحاول تقديم شيئاً لك ، ولما دخلنا مطار (تشاحوض في تركمانستان) وجلسنا كغيرنا ومعنا أمتعتنا في صالة المطار ، جاء إلينا أحد العسكريين وطلب منا أن ندخل غرفة المدير وقال : أمتعتكم أكون حارسا لها ، فلما دخلنا الغرفة

رحب بنا من فيها ، وقدموا لنا وجبة إفطار ، على فرح وسرور منه ، فقلت لهم : حان وقت إقلاع الطائرة ، فقالوا : الطائرة تنتظركم حتى تنتهوا !! فلما قمنا إذا بأغراضنا يحملها الجنود ، والضباط إلى الطائرة ، دون فحص لها أو تفتيش .

أما عند استقبالنا في المطارات فالصالات الراقية هي منزلنا ومكان استقبالنا ، أما عند مراكز التفتيش في الطرق البرية فما أن نقف إلا ونسمع منهم (السلام عليكم ورحمة الله) ثم يبادرنا بالاحترام والإجلال والتقدير .

ولذا أقول : لا بد أن نكون صورة طيبة لهذا الدين ، فيجب على كل من سافر أن يتمثل الإسلام قولاً وعملاً ، والله الله لا نخون الأمانة ونشوه السمعة ، أو يذهب المسافر منا هناك إلى مكان فيه ريبة ، أو تجمعات فيها شبهة ، وليتق الله أولا في نفسه فإنه يحمل شعار الإسلام والله مطلع عليه ، وليتق الله ثانياً في هذه البلاد الطاهرة ، لا يشوه سمعتهم وصورتهم هناك ، وليتق الله ثالثا في أولئك الأقوام ، فإنهم ينظرون إلى أهل هذه البلاد أنهم أهل خير وبر وإصلاح وأمانة وعفة .

هذا آخر ما أوردناه من كلام الشيخ يحيى إبراهيم حفظه الله تعالى .



وفي المقابل هناك قصص عجيبه لبعض الأمريكان من المسلمين الجدد أذكرها إتماماً للفائدة ففيها مواعظ وعبر للمسلمين أيضاً .

قصص عجيبة
لبعض الأمريكان من المسلمين الجدد

اعلم أن هذه روايات واقعية سجلتها ذاكرة رجل لم يكن داعية ولا إماما و لا طالب علم ، وإنما مجرد مدرس رياضيات وفيزياء . و لعل همه أول أمره لم يكن في الدعوة للإسلام ، ولكن الله سبحانه وتعالى استعمله في ذلك ، فعمل بما قدره الله عليه حسب علمه وإمكاناته .

علماً أن راوي هذه القصص وكاتبها : **هو أخي في الله امتياز أحمد المقيم بالمدينة النبوية** (**على صاحبها الصلاة والسلام**) **يذكر بنفسه ويقول** :

لقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليّ خلال فترة إقامتي في أمريكا ، بأن أتاح لي التعرف على العديد من الإخوة المسلمين الأمريكيين بحكم الجوار والمشاركة في العديد من المناسبات والنشاطات. وأحمده سبحانه وأثني عليه بما هو أهله لهذه المنة العظيمة التي أفادتني كثيرا وزادتني معرفةً بديني ، وحرصاً عليه ، مقارنة بما كنت عليه قبل ذلك. ومثلي في ذلك مثل كثير من المسلمين الذين كان في قدومهم لتلك البلاد خير كثير لدينهم حيث أرادوا به ابتداء طلب أمر دنياهم مما قد يكون مباحا ، وقد جعل اللهُ في هؤلاء المسلمين و ـ خاصة الداخلين فيه من ملل أخرى ـ الوسيلةَ التي يهتدون بها إلى الخيرات .

ورغم أن هؤلاء المذكورين في هذه الأوراق أغلبهم أناس عاديون ضمن الجالية المسلمة في أمريكا، إلا أني أرى أن فيما قاموا به أثرا عظيما على أنفسهم، وعلى من حولهم، وجدير بمن شهده مثلي أن يوثقه وينقله لغيرهم من المسلمين. إن مثل هذا الأثر العجيب الذي يحدثه هذا الدين في نفس معتنقه هو ما يدهش ويخيف الكثير من أهل الأديان الأخرى هناك. **فعلى سبيل المثال**:

الدخول في هذا الدين هو الذي يقلب سلوك أعتى المجرمين وأكثرهم وحشية في سجون أمريكا إلى أناس هم الأكثر التزاما وخلقا؛ وهذا ما دعا الإدارات الأمنية هناك إلى الموافقة على تعيين أئمة للمساجين من المسلمين في

السجون هناك و دعمهم ولا تكاد تخلو مدينة في طول أمريكا و عرضها من مثل هؤلاء المسلمين الجدد الذين يمثلون بفضل الله القدوة الحسنة للكثير من المسلمين القادمين لتلك البلاد ، بالإضافة إلى دعوتهم لغيرهم إلى الإسلام.

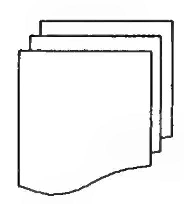
عوداً إلى بدءٍ: فعندما كنت مدرسا للرياضيات في إحدى المدارس الأمريكية، كانت معي في القسم مدرسة يهودية اسمها "سندي". وقد اعتاد المدرسون في قسم الرياضيات أن يجتمعوا في غداء مشترك في نهاية كل فصل دراسي ، يكون فرصة للارتياح من العناء والتعب والجهد المبذول خلال الفصل . وكان طعام الغداء ، الذي يطبخ في المدرسة، يتكون من لحم البقر المفروم ، بالإضافة إلى بعض المكونات الأخرى ، ولذا لم أكن أشاركهم في طعامهم، إلا مرة واحدة عندما أعلنت أنني سوف أشارك على أن أقوم بإحضار اللحم بنفسي ، فوافقوا بترحيب من سعد بأن يُكفى المؤونة. وخلال الغداء قلت لسندي: "ألست محظوظة أن تجدي طعاما يحل لك أكله هذه المرة ؟" وذلك لمعرفتي أن اليهود لا يأكلون طعام النصارى الذين لا يهتمون بذبحه حسب شرعهم . ولكنها أجابتني:" أنا لا أهتم بهذه الأمور، حتى أني آكل لحم الخنزير، فأنا يهودية سيئة" وعند ذلك لم أواصل الحديث معها في هذا الموضوع.

وبحكم اهتمامي بالعقارات في تلك الفترة، فقد علمت أن هذه المرأة تعمل في إدارة مؤسسة عقارية يملكها زوجها الذي يعمل في وزارة الدفاع الأمريكية(البنتاغون) في العاصمة واشنطن، وبالتالي فإنه لا يستطيع إدارتها بنفسه. لذلك سألتها عن سبب عدم حضورها للنشاطات الرياضية والفنية التي تقيمها المدرسة مساءاً، حيث لم أرها أبدا في تلك النشاطات رغم أن المدرسة تلزم المدرسين بالمشاركة فيها. فقالت بكل جرأة:" إن المدرسة لا تستطيع إجباري على المشاركة في هذه النشاطات لأني أقوم بمهمة أخرى، فأنا آخذ أبنائي وأبناء جيراني (اليهود) إلى المدرسة اليهودية ثلاث مرات في الأسبوع" وبالتالي فهي معفاة من هذه المهمة. وواصلت حديثها : "وبالإضافة إلى ذلك فإني أقوم

بتوصيلهم إلى جميع النشاطات الدينية المعتادة . لقد تطوعت لهذه المهمة منذ عدة سنوات".

وقد استغربتُ جداً من هذه المرأة ، فهي مدرسة رياضيات منتظمة لا تخرج من عملها إلا بعد الثالثة والنصف، ويستغرق منها الطريق من البيت إلى المدرسة حوالي ساعة إلا ربعاً صباحا، ومثلها للعودة. كما تقوم بإدارة مؤسسة زوجها العقارية، كما أنها مسؤولة عن عائلتها وأطفالها وحياتها الخاصة . ومع هذه المشاغل كلها فإنها تتطوع لمساعدة المدرسة اليهودية بإيصال الأطفال إليها، و مع هذا تعتبر نفسها "يهودية سيئة"، أي أنها ليست ملتزمة بتعاليم دينها. ولهذا دعاني تفكيري في حال هذه المرأة أن أنظر في أمر نفسي والعديد ممن حولي من المسلمين ممن نظن أننا ملتزمون بينما لا نعمل إلا أقل القليل لخدمة هذا الدين؛ هذا مع الفارق الكبير الذي يفصل بين الحق والباطل بيننا وبينهم . انتهي قول الأخ امتياز أحمد حفظه الله .

وإليك بعض هذه القصص الغريبة في الصفحات الآتية :



عبـــــد الله (ABDULLAH)
(جنـــدي أمريكي هــدي إلى صراط مستقيم)

انضم "جاسون" - (سمي عبد الله فيما بعد) وهو أمريكي من أصـل أفريقـي - بعد حصوله على الثانوية العامة إلى الجيش الأمريكي ، و تعلـم هنـاك بعض المهارات الفنية، وأصبح يعمل فيما بعد فنيا في ورشة لإصلاح الأجهزة الإلكترونية.

لقد كانت قصة إسلام عبد الله غريبة فعـلا . ففـي حـرب الخليـج الثانيـة كان ضمن الجنود الأمريكان الذين قدموا للسعودية وقد كانت إقامتـه في المنطقـة الشرقية. وفي يوم من الأيام دخل في أحد الأسواق المحليـة في مدينـة الخبر، و أراد شراء سلعة معينة من أحد المحلات، وبعد مـا اتفـق مـع البـائع علـى السعر، وهـم بدفع المبلغ، ارتفع صوت الأذان من مسـجد قريـب ، وعندئـذ قـال هـذا البـائع: "خلاص" معبرا عن إيقاف البيع، ثم أغلق الدكان ، وتوجه مسرعا إلى المسـجد ، وسط ذهول عبد الله ودهشته العظيمة . فما الذي يحمل هذا الرجل علـى رفـض ثمن السلعة بعد أن اتفقا عليه؟!! فحيث كان يعيش - في أمريكـا - لا يفـرط المرء في أي فرصة للحصول على المال ، فما بال هذا البـائع يرفـض أن يقبـض الثمـن، وأي دين هذا الذي تفوق أولويته الكسب في عين هذا الرجل ؟

وكانت هذه الحادثة بداية اهتمامه بالإسلام، حيث اجتهد أن يعـرف كـل ما يستطيع عن هذا الدين . وأخذ يقرأ عنه كل ما يعطى له حتى شرح الله صدره للإسلام وقرر أن يدخل فيه بعد أن علـم أنـه الديـن الحق، وأن الخـير كلـه فيـه. وعندما عاد إلى أمـــريكا حيث استقر في نيويورك (New York) ، أخـذ يتعلـم مبادئ الإسلام على يد بعض الأخوة هناك، وأصبح يستطيع أن يؤدي العبـادات، ويقرأ القرآن، ملتزما بأوامر الإسلام ومجتنبا لنواهيه.

وقد تعرفت على عبد الله عند انتقاله إلى مدينتنا حيـث اختـار السـكن في مكان قريب من المسجد الذي نصلي فيه ، وأخذ يتردد عليه في غـالب الأوقـات.

وقد كنت آنذاك متطوعا لإدارة أمور المسجد، وهي مهمة يعرف من مارسها أنها مضنية. وقد حدثت في البداية بيننا بعض المواقف غير المحمودة، ولكن لأن كلاً منا كان حريصا على المصلحة العامة لم تؤثر هذه الخلافات على الأخوّة في الله والتعاون على البر و التقوى، وتلاشت مع الزمن. والحق أنه أمر مزعج جدا أن تختلف مع امرئ تقابله عدة مرات في اليوم في بيت من بيوت الله. ولعل ذكر بعض الأمثلة يوضح ما أعنيه.

لّما لاحظت حرص عبد الله على أداء الصلوات الخمس في المسجد و مواظبته ونشاطاته الدعوية طلبت منه أن يتولى الأذان فيه. ولكنه رد بأنه سوف يؤديه في الشارع خارج المسجد لأن هذا هو الأصل والمقصود من الأذان. وكنا في تلك الفترة نقوم بالإجراءات الرسمية مع بلدية المدينة ، للحصول على الترخيص للمبنى كمسجد لأهل السنة والجماعة. وكانت البلدية قد دعت لجلسة عامة لمناقشة هذا الموضوع يحضرها أهل الحي الذي يقع فيه المسجد، ويبدون رأيهم في القضية. فأخبرته أن أداء الآذان خارج المسجد وفي وسط الشارع سوف يثير علينا بعض الحساسيات، وربما تؤثر على قبول طلبنا للرخصة، خصوصا وأن العديد ممن حولنا لا يرغبون في وجود مكان للمسلمين في حيهم. غير أن عبد الله كان مصرًّا على رأيه بأن الأذان يجب أن يؤدى خارج المسجد لكي يحصل الغرض الشرعي منه وهو نداء الناس للصلاة. فأخبرته أنه يجب علينا أن نتحلى بشيء من الحيطة والحكمة في التعامل مع من حولنا من الجيران غير المسلمين، وإن أدى ذلك إلى بعض التحفظات ، حتى لا نثير عداوة هؤلاء القوم. فالذي يجب علينا التركيز على دعوة العديد من إخوتنا المسلمين الذين لا يعرفون من الإسلام إلا القليل ولا يلتزمون به، وحثهم على الالتزام بشرائع الدين بدلا من الوقوع في مشاكل مع من حولنا من غير المسلمين. غير أن كلماتي لم تغير موقفه قيد أنملة ، ورفض أن يرفع الأذان من داخل المسجد. ولذلك لم أجد بُدّا من أن أخبره بأني لا أستطيع أن أجعله يؤذن في المسجد فاضطررت إلى أن أوكل

الأذان إلى غيره . وكان مما قلته له: أنا الذي سيواجه سكان الحي واللجنة المختصة بترخيص منشآت المدينة خلال الاجتماعات القادمة، بينما تأتي أنت وبعض الإخوة لتؤدوا الصلاة ثم تنصرفون آمنين خالية قلوبكم من الهموم والمشكلات التي تواجهني مع حكومة المدينة. وحسب علمي فإنه لا يوجد في أمريكا الشمالية كلها إلا مسجد واحد يرفع الآذان من مكبرات الصوت بحيث يسمعه جميع الجيران ممن حوله. لكن هذا لم يحصل إلا بعد أن حصلت إدارة المسجد تصريح بذلك عبر إجراءات طويلة انتهت بحكم صادر من المحكمة بهذا الصدد، وهذا المسجد هو الواقع في مدينة ديربون (Dearborn) في ولاية ميتشجن (Michagan) حيث إن أغلب سكان الحي المحيط بالمسجد هم من المسلمين القادمين من اليمن.

وحدث ذات مرة أن طلب عبد الله مني مفتاحا للمسجد، فأجبته بأني لا أستطيع لأن العدد محدود ، ونسخ مفاتيح جديدة سوف يزيد من تكلفة التأمين على مباني المسجد. كما أننا كنا لانريد زيادة عدد النسخ لمفاتيح المسجد ، فلم يرد عبد الله على ذلك فذهب وتركني . ومرة أتى برجل معه وطلب مني أن أسمح له بالمبيت في المسجد قائلا إنه ضيفه من ولاية أخرى . فأجبته : لم لا تستضيفه في بيتك ؟. فأجاب بأن بيته صغير ، ولا يتسع لضيفه ، خصوصا أنه متزوج ، فقلت له : إني سوف استضيفه في بيتي حيث أستطيع أن أجد له مكانا فيه ، فإذا لم يناسبه ذلك فأنا على استعداد لإسكانه في فندق ودفع التكلفة عنه . غير أن عبد الله تركني بغضب غير مقتنع بما قلت ، لأنه كان يريد أن تسير الأمور حسب ما يراه هو مناسبا . بينما كنت كمسؤول عن المسجد حريصا على عدم التفريط فيما أراه ضروريا للحفاظ على المسجد ، والاهتمام بشؤونه . حيث إن السماح للبعض بالمبيت في المسجد يعني أنك لا تستطيع رفض أيِّ أحد يأتي طالبا ذلك ، وربما تحدث بعض الأمور التي لا تحمد عقباها. وقد حدث فيما سبق شيء من هذا. ونظرا لمواقفي هذه فقد غضب عبد الله مني، واشتكى من

"اضطهادي" له لعدد من الأخوة . ولكن رغم كـل ذلـك فقـد بقـي محافظا على الصلوات في المسجد مع الجماعة لا يرده عنها أي خلاف مع أحد.

ومع مرور الأيام حفظ عبـد الله قـدرا لا بـأس بـه من القـرآن ، وكـانت تلاوته عذبة ومؤثرة ، كما كان يتفقه في دينه ويقرأ كثيرا . وذات يوم خاطبته في أن يؤم الأخوة في الصلاة حيث إنه لا يوجد للمسجد إمام راتب ، فوافق . وكان كثيرا ما يقرأ في الصلاة مـن جديـد حفظـه ، فتكـثر أخطـاؤه مما ضـايق بعض الأخوة في جماعة المسجد ، فأخـبروني بذلـك ، وطلبـت منـه أن لا يقـرأ سـورة في الصلاة حتى يحكم حفظها تمامـا . واقـترحت عليـه أن يسـمعني السـورة قبـل أن يقرأها في الصلاة ، فوافق على مـا قلـت لـه وفـرح بـه . ومـع الوقـت ، تحسـنت قراءته كثيرا وقلّت أخطاؤه ، كما ساهم ذلك في إزالة ما علق بيني وبينه من سوء فهم فيما سبق .

وقد قاده حرصه على السنة ـ بفضـل الله ـ إلى الخير ، رغـم كـون بعض اجتهاداته في البداية غير دقيقة . فقد كان دأبه أنه كلما تعلم سنة أو قرأ شيئا مـن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يسارع إلى تطبيقـه دون خـوف أو حيـاء من أحد . من ذلك أنه كان عندما يـؤم الجماعـة يقـرأ في الصلـوات الجهريـة من سـور طويلـة ثـم يتبعـها بسـورة الإخـلاص، فكـانت الصـلاة تطـول كـثيرا علـى الجماعة، خصوصا صلاة العشاء التي تكون في الصيف في وقت متأخر جدا. فثقل ذلك على بعض جماعة المسجد، فعدت إلى مخاطبته مـرة أخـرى نـاقلا لـه مـا أراه، وسألته ما الداعي لتطويل القراءة مع قراءة سورة الإخـلاص بعدهـا ؟! فذكـر لي: أنه يفعل ذلك اقتداء بالصحابي الذي ورد في السنة أنه يفعـل ذلـك. فقلـت لـه: بإمكانك أن تكتفي بقراءتها في الركعة الثانية، فقـال: إنـي قـرأت في الحديـث أنـه كان يفعل ذلـك في كلتـا الركعتـين إضافـة إلى مـا يقـرؤه من القـرءان قبلـها؛ ولم يستجب لطلبي واستمر في فعل ما يراه صحيحا.

وذات مرة دخلت إلى المسجد لصلاة الفجر بعد الأذان، فوجدته مضطجعاً على الأرض ، على جنبه الأيمن ، متوسدا يده اليمنى ، فقلقت عليه واقتربت منه مستفسرا إن كان مريضا أو متعبا ؟ فأجاب بأنه بخير وعافية، وإنما هو يطبق سنة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ورد أنه يضطجع على جنبه الأيمن بين الأذان والإقامة في صلاة الصبح .

أما عن سلوكه مع عائلته فكان مثالا يحتذى به . فقد أسلمت زوجته وأختاها ، وكان يربي أولاده على قراءة القرآن وأداء الصلاة في وقتها ، وكان يتعاهد أكبر أبنائه ذي السبع السنوات ويحفّظه القرءان حتى حفظ قدرا كبيرا من قصار السور. وكان يحضره معه للمسجد لأداء الصلوات حتى صلاة الفجر، سواء كان ذلك في عز الشتاء حيث البرد القارس والثلوج ، أو وسط الصيف حيث تكون الصلاة في وقت مبكر جدا ، ثم يجلس مع ابنه بعد الصلاة ويعلمه القرآن. ولا أعرف أحدا من المسلمين كان يحضر ابنا له في مثل عُمُر ابن عبد الله لصلاة الفجر في أشد أوقات البرد والعواصف الثلجية . وكنت إذا رأيت هذا الفتى الصغير ، رأيت فيه الخلق والأدب والالتزام الذي يندر أن تراه في الأطفال، بل لعله يستحيل في أطفال ولدوا ونشأوا في مثل هذه البلاد الكافرة مع وجود التأثيرات السلبية من إعلام ومدارس وغيرها. وقد كانت تلاوة هذا الصغير للقرآن جميلة جدا مثل والده .

وفيما بعد أصبح عبد الله مسؤولا عن الصلاة في المسجد كما حصل على نسخة من المفاتيح له . ورأيت أنه يمكن أن يخطب بالناس يوم الجمعة ، حيث أن اتصاله ببعض الإخوة ، وتعلمه منهم ، جعله لا يقل عن كثير ممن يتصدى لخطبة يوم الجمعة في مساجد المسلمين هناك ، إن لم يكن أفضل من كثير منهم. ولعل من عايش أوضاع المسلمين هناك يعرف الكثير من النماذج التي تَدَّعِي العلم وتُزَاحِم على مناصب القيادة والإمامة هناك ، وهي بين الجهل المطبق أو لوثة البدع والأهواء ، وسلاحها في ذلك مجرد فصاحة اللسان وتزويق الكلام ،

بينما ينزوي الكثير من الإخوة ممن يمكنهم سد الثغرات بحجة عدم الكفاءة ، وأنهم ليسوا أفضل من يقوم بهذه المهام، جاهلين أن هذا التورع هو أسوأ من تحمل المسؤولية وإن حدث فيها بعض التقصير، لأن نتيجته هو تصدي الجهلاء وأهل الأهواء لأمور المسلمين.

وعندما فاتحت عبد الله بالأمر رفض الإجابة معتذرا بقلة علمه، ولكنه بعد إلحاح مني قبل على مضض، وقام بإعداد خطبة جيدة وألقاها بأسلوب جميل لاقت استحسان الناس. وفيما بعد قمنا بتكليفه بإلقاء خطبة الجمعة مرة في الشهر في مسجده ، ومرة ثانية في مسجد آخر قريب كنا نتولى إدارته. وكان يتطوع لهذا العمل بكل جد وإخلاص ونشاط. ولم يطل بي الأمر حتى جاءني العديد من الأخوة الذين يصلون في المسجد كل منهم يطلب أن يكون الأخ عبد الله خطيبا ثابتا في مسجدهم. فقد كانوا يحبون الاستماع إلى خطبته التي تعتمد في موضوعاتها على الدليل من الكتاب والسنة ، كما كان صوته الرخيم وتلاوته العذبة تجذبهم إليه. وكنا نجمع من التبرعات في اليوم الذي يخطب فيه فوق ما كنا نجمع في الأيام الأخرى ، وهذا والله أعلم من علامات القبول والتوفيق له.

وقد كان من عادتي في المسجد أن أُعَرِّفُ بمن يقوم بالخطبة فيه إن لم يكن معروفا من قبل، وهذه أول مرة يخطب فيها في مسجدنا. وعندما عرفت المصلين به ، بعد أول خطبة جمعة له ذكرت في كلمتي كيف أسلم ، وتحدثت عن حرصه ، والتزامه وسلوك ابنه، وكيف أنه يحضر مع أبيه كل يوم لصلاة الفجر. وكان ذلك اجتهادا مني لتعريف جماعة المسجد بخطيبهم ، غير أن ذلك كان له أثر سيئ على نفسه، حيث غادر بصمت . ثم أبلغني أحد الأخوة فيما بعد أنه تضايق جدا من ذلك، لأنه اعتبره ثناءًا ؛ وثناء الرجل على أخيه في وجهه وأمام الملأ أمر قد نهى رسول صلى الله عليه وسلم عنه . فأخبرته أنه يجب عليه أن ينظر في الحديث الآخر الذي يحث على إعطاء الناس حقوقهم، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أثنى على بعض الصحابة وبعض القبائل بما هو حق لبيان فضلهم

والحث على الخير؛ و إني قلت ذلك اجتهادا مني. و لم أذكر إلا بعض ما فيه من الخير الذي علمته عنه. وشرحت ذلك فيما بعد لعبد الله نفسه ، ويبدو أنه اقتنع بذلك وزال ما كان في نفسه. كما أخبرته بأن على المرء أن ينظر في مجموع الأوامر المتعلقة بتصرف ما، ولا يأخذ بحديث واحد فقط. ويعممه على جميع حالات الموضوع محل النزاع. كما أوضحت أنه من حق الجماعة أن تعرف عن خطيبها الجديد، وأن نعرّفهم بما فيه من خصال الخير ليولد ذلك قناعة لديهم به.

وفي المرة اللاحقة وبعد نهاية الصلاة ، قمت مرة أخرى وأوضحت للحضور: أن ما ذكرته عن خطيبهم ليَس من باب المدح، وإنما للتعريف به. وأصبح الأخ عبد الله مع أحد الأخوة هما المسؤولين عن المسجد وتسيير أموره في غيابي، و قد قاما بهذه المسؤولية خير قيام.

وذات مرة جاء عبد الله إلى المسجد مع أحد الأخوة بعد انقضاء صلاة الفجر، وخروج جميع المصلين ، وكنت جالسا أقرأ القرآن ، وبعد أن صليا ، قمت وسلمت عليهما حيث كانا قادمين من الحج. ودعوتهما إلى منزلي لتناول الإفطار وأخذ أخبار الحج منهما. فاعتذر عبد الله عن ذلك قائلا: إنه لم يذهب إلى أهله بعد ، وإنما قدم إلى المسجد مباشرة بعد عودته من السفر ليصلي فيه متبعاً سنة رسول الله ﷺ ، حيث كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقصد المسجد عند عودته من السفر قبل أن يذهب إلى بيته. وتساءلت حينذاك مَنْ منَّا نحن الذين ولدوا في الإسلام يفعل هذه السنة اقتداء برسول الله ﷺ وإحياءاً لها ؟؟

وقد بدأ عبد الله يدرس اللغة العربية بشكل نظامي في إحدى كليات المجتمع التي يُدَرِّس فيها أحد طلبة العلم المسلمين، وهو الآن يتحدث العربية ، ويعرف بعض قواعدها، كما يحفظ قدرا لا بأس به من القرآن الكريم ، و يتعلم الأحاديث ، ويخطب الجمعة مرتين في الشهر، ويدعوا إلى الإسلام في أوساط غير المسلمين. لقد استطاع هذا الفتى الذي لم يتعد تعلميه الثانوية العامة القيام بكل هذه الأعمال ، بالهمة العالية والعزيمة والعمل الجاد والمثابرة.

جيمس أبيبا (JAMSABIBA)
(فتى أمريكي اعتنق الإسلام)

كان من أمره عندما كنت مدرسا للرياضيات في إحدى المدارس الثانوية في مدينة "فورت ميد" (Fort Meat) بولاية ميرلاند (Maryland) في أمريكا، وكنت أتولى تدريس خمسة فصول مختلفة في تلك المدرسة بين السنة التاسعة والثانية عشر(الثالث المتوسط والثالث الثانوي). يضم كل فصل منها حوالي أربعين طالباً . و ذات يوم استأذن الطالب "جيمس" لمقابلتي و لم يكن طالبا في أي من هذه الفصول، وإنما طلب الإذن عن طريق أحد تلاميذي. وعندما قابلته في مكتبي سألني بعض الأسئلة الأولية عن الإسلام، فأجبته عليها باختصار، ثم عاد فيما بعد بالمزيد من الأسئلة، فسألته"هل هذه الأسئلة تتعلق بمادة العلوم الاجتماعية التي تدرسها ؟" ولكنه أجاب بأنه قرأ كتابا عن الإسلام في مكتبة المدرسة مما بعث الفضول في نفسه عن الإسلام.

ولما كان القانون الأمريكي يفصل بين الدين والدولة، فقد أخبرته بأن المدرسة الحكومية ليست المكان المناسب للحديث بتوسع في هذه الأمور، ودعوته لتناول وجبة خفيفة في أحد المطاعم القريبة. وبعد حديث طويل عن الإسلام والتوحيد ، بدا أنه استفاد كثيرا من لقائنا.

كان جيمس آنذاك في السادسة عشر من عمره. وراودتني في تلك الفترة عدة خواطر، أولها أنه مجرد مراهق وإن علم أبواه باهتمامه بالإسلام وأحاديثي معه فقد يضايقانه. كما أن مدينة فورت ميد ليست سوى قاعدة عسكرية مجاورة لدائرة الأمن القومية (الأمريكية)، وتساءلت إذا كان ذلك سيسبب لي بعض الحرج حيث إن أباه يعمل في تلك الدائرة.

ورغم ذلك التقيت به عدة مرات في ذلك المطعم، وفي كل مرة يزداد الحديث صراحة وفائدة له. ثم أبدى رغبته في أن يزور المسجد الذي يصلي فيه

المسلمون ، فأخذته إلى مسجد في مدينة لوريل (Laural) المجاورة . وكان ذلك المسجد عبارة عن بيت قديم غيّره المسلمون هناك ليناسب الغرض. وهناك شرحت له كيفية الصلاة في الإسلام، فانجذب إليها بشوق، وأعجبه أنها صلةٌ مباشرة بين المرء ورب العالمين سبحانه وتعالى.

ثم أخبرني جيمس برغبته في الدخول في الإسلام، وسأل ماذا عليه أن يفعل، فأخبرته بسهولة ذلك وأنه قراره، ورغم حماسه أخبرته أن أسوأ ذنب يلقى المرء به ربه هو أن يرتد عن الإسلام بعد الدخول فيه، ولذا فعليه أن يعرف المزيد عن الإسلام وعما يجب عليه تجاه ربه من التوحيد والعبادة ليدخل الإسلام عن قناعة ومعرفة.

وبعد عدة أيام جاء برغبته واختياره ونطق الشهادتين بفضل الله ومنته. أخذت بعد ذلك اصطحبه بسيارتي مرة في الأسبوع للصلاة في المسجد وحضور الدروس التي تعقد فيه، وبدأت أعلمه خلال ذلك الحروف العربية، فأتقنها بسهولة، ثم تدرج في تعلم تلاوة القرآن من المصحف حتى استطاع ذلك، ثم أبدى رغبته في تعلم الأذان، فتعلمه وحرص على أن يؤذن في المسجد كلما أتى إليه، وظهر تأثره بالآذان، وتأثيره فيه عندما يؤذن.

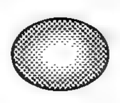
وذات مرة مررت بمنزله لأصحبه إلى المسجد فخرج لابسا ثوبا بدلا من لباس الأمريكان، فاستغربت لذلك خصوصا أن من حوله كانوا يلاحظون ترددي على منزله واصطحابي له إلى المسجد بغير عين الرضا. فذكرت له ذلك قائلا أن الأمر قد لا يحتمل لفت الأنظار بلبس الثوب، فالمسلم يمكن أن يصلي بالقميص والبنطال، وبعد أن أنهيت ملاحظتي نظر إلي وقال بكل بساطة "يا أستاذ أحمد ..إن إيمانك ضعيف". فسألته إن كان والداه يضايقهما لبسه للثوب فذكر أنهما لا يمانعان وأنهما متفهمان لرغبته واختياره، وذكر أن أمه تطبخ له اللحم الحلال لوحده، وتقديرا لعدم رغبته في أكل اللحم الذي قد يكون لحم خنزير أو لحم ميتة، فارتحت لذلك كثيرا.

وبعد فترة وبينما هو لا يزال في الثانوية جاءني بطلب آخر. فقد ذكر أنه يريد أن يغير اسمه، وأن يستبدل به اسما مسلما. قلت له إنه غير ملزم بذلك مادام اسمه الحالي ليس فيه محظور، كما أن اختيار اسم غريب على أقرانه الأمريكيين قد لا يساعد في دعوته إياهم إلى الإسلام، فقد يظن أحدهم أن عليه أن يترك اسمه لكي يدخل في الإسلام ، و أنهم قد يتجافون عنه إذا علموا بذلك. ولكنه رد بنفس الأسلوب السابق "يا أستاذ أحمد ..إن إيمانك ضعيف". وأصبح اسمه بعد ذلك "جيمس علي أبيبا" ، ويبدوا أن الاسم الأخير أفريقي حيث يحرص كثير من الأمريكان السود على أن يستخدموا مثل هذه الأسماء.

وبعد نجاحه في الثانوية العامة أخذ يبحث عن عمل في إجازة الصيف، فاستطعنا أن نجد له وظيفة استقبال في إحدى العيادات الطبية لطبيبة مسلمة. وكان يقضي كثيراً من الوقت في القراءة حيث إن العيادة كانت جديدة ولم يكن العمل فيها يشغل إلا قليلا من وقته .

وذات مرة وفقت إلى أداء العمرة خلال شهر رمضان، وقد كانت أول مرة أقضي فيها شهر رمضان المبارك كله بين مكة المكرمة ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع فرحتي بقضاء العيد في مكة مع المسلمين فقد كنت قلقا على ذلك الفتى ، وكونه وحيدا هناك . وقد كنت أسأل بعض الأخوة في المسجد عن حاله، فذكروا لي محافظته وانتظامه، بل إنهم ذكروا أنه اعتكف العشر الأواخر من رمضان في المسجد . وعندما قابلته فيما بعد وسألته عن أخباره وما فعله لم يذكر شيئا عن اعتكافه .

وبعد ذلك التحق بالجامعة وتخصص في دراسة التاريخ الإسلامي ، وعلمت أنه تزوج فتاة مسلمة من الهند، وكان له نشاط في اتحاد الطلبة المسلمين في الجامعة ، وعندما تخرج عمل مدرسا في إحدى المدارس الإسلامية في شيكاغو (Chicago) ، ثم انقطعت أخباره عني لسنين طويلة.



كـاثــــــــــــــي (KATHY)
(مسلمة أمريكية اهتدت بنسخة من ترجمة معاني القرآن)

بعد أن تركت التدريس في المدارس الأمريكية، عملت مديرا لإحدى المدارس الإسلامية الناشئة في ولاية واشنطن (Washington) ، وقد لفتت انتباهي تلك السكرتيرة الأمريكية التي كانت مثالا للحشمة والوقار والجدية في المرأة المسلمة. وذكرتها لزوجتي مقارنا سلوكها بما عليه العديد من المسلمات ممن ولدن في الإسلام حيث إنهن لا يلتزمن بالحجاب ولا الآداب الإسلامية في التعامل مع الرجال الأجانب عنهن. عند ذلك أخبرتني بقصة إسلامها الغريبة جدا؛ وهذه هي كما روتها عنها، تقول :

"عندما كنت أدرس في الابتدائية كانت والدتي تصطحبني إلى مكتبة الحي العامة. وقد اعتادت المكتبات العامة أنه عندما يجتمع لديها نسخ مكررة من كتب يقل عليها الطلب أو نسخ تالفة من بعض الكتب فإنها لا ترمي هذه النسخ بل تبيعها بأسعار رمزية. وفي إحدى المرات بينما كانت المكتبة تعرض مثل هذه الكتب اشتريت أحدها بخمسة أو عشرة (سنتات) من مصروفي الخاص بدافع حب التملك وأن أحصل على شئ خاص بي، ولم أكن أدري ما فيه، فوضعته في مكتبتي في الغرفة. ثم أخذ طريقه إلى أحد الكراتين مع غيره من الأغراض الذي تتكدس ونسيته.

وكان أن مرت الأيام وأنهيت الابتدائية ثم المتوسطة وتخرجت من المرحلة الثانوية. وكنت محظوظة أن وجدت قبولا في إحدى الكليات الجامعية. واقتضت حكمة الله أن أنضم إلى قسم الآداب واختار تخصص علم الأديان المقارنة، حيث كان التركيز كبيرا على الأديان الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام. ولما لم يكن أحد من الأساتذة في القسم من المسلمين فقد كانت الصورة النمطية المشوهة عن الإسلام هي السائدة عند الحديث عنه ولذا لم أهتم به. ولم أجد صعوبة في اجتياز المقررات الدراسية لأتخرج من الكلية وأحصل على الشهادة الجامعية.

ثم بعد ذلك بدأت رحلة البحث عن عمل. ولما كان تخصصي من التخصصات التي يقل الطلب عليها، فضلا عن قلة فرص العمل بشكل عام في المنطقة التي أقطنها، فسرعان ما أصبت بالإحباط والملل من عدم الحصول على وظيفة. وصرت أقضي جلّ وقتي في المنزل بدون أي شغل؛ ورحت أقلب مقتنياتي الخاصة وأعيد ترتيبها مرة بعد أخرى لكي أقضي على الفراغ وأشغل وقتي. وبينما كنت كذلك عثرت على ذلك الكتاب الذي اشتريته في طفولتي وقد علاه الغبار. ولكونه من مقتنيات الصبا التي دفعت قيمتها من مالي الخاص، فقد صار أثيرا عندي، وكأنه قطعة أثرية.

أخذت الكتاب ونظفته وبدأت أطالع فيه، فإذا هو ترجمة بالإنجليزية لمعاني القرآن الكريم. بدأت أقرأه بتأثر وتمعن، وانجذبت إليه بشدة. وقد وجدت أن ما فيه يخالف بالكلية ما تعلمته في الجامعة عن الإسلام ، ويقدم صورا مغايرة لما كان يقوله أساتذتي في الكلية عن هذا الدين وعن القرءان. وصرت أتساءل: هل كان أساتذتي في الجامعة بهذا الجهل، أم أنهم كانوا يكذبون في وصفهم للإسلام والقرءان؟ ثم مضيت في مطالعتي وقراءتي فيه مع اقتناع وشغف بما فيه من التعاليم والهدى، وعندما أنهيته قررت أنه مادام هذا هو الإسلام فيجب أن أدخل فيه وأصبح مسلمة.

اتصلت بعدها بأحد المسلمين وسألت عن كيفية الدخول في الإسلام، فدهشت من البساطة والوضوح فيها، فاعتنقت الإسلام – ولله الحمد – ثم تزوجت شابا مسلما من أفغانستان، وهانحن الآن عائلة من ضمن عائلات المجتمع المسلم في هذه المدينة نسأل الله أن يتقبل منا ويثبتنا على دينه".



ريحانه (REHANA)
(أطفال مسلمون غيروا مواقف آبائهم بأخلاقهم)

توصف أمريكا بكثرة تنقل مواطنيها بين المدن والولايات، حيث تذكر بعض الإحصائيات أن متوسط إقامة العائلة الأمريكية في المكان الواحد هو خمسة سنوات، وقد كنت وعائلتي قريبين جدا من هذا المتوسط، فقد انتقلنا من مدينة "سياتل"(Seattle) في ولاية "واشنطن"(Washington) إلى "لوس انجليس"(Los Angeles) في "كاليفورنيا"(California) بعد بضع سنين من إقامتنا، وكان أقرب جيراني من المسلمين في الضاحية التي أسكن بها أخ من شبه القارة الهندية اسمه عبد الوهاب.

وكنا كثيرا ما نتزاور في البيوت فضلا عن لقائنا اليومي في المسجد، وذات مرة ذكر عبد الوهاب الصعوبات التي كان يواجهها من زوجته الأمريكية قبل اعتناقها الإسلام، وقد ذكر لي القصة كما يلي:

"عندما تزوجت (ريحانه) لم أكن ملتزما بالإسلام ، كما أنها لم تكن ملتزمة بدينها النصرانية، فقد كنت قلما أذهب إلى المسجد كما أنها لم تكن تذهب مطلقا إلى الكنيسة. وبعد فترة من زواجنا رزقنا الله بعدة أطفال. ومع نموهم وبلوغهم مراحل التمييز بدأت أقلق على مصيرهم عندما يكبرون وكيف أربيهم على الإسلام وأمهم غير مسلمة. لذلك عرضت على زوجتي أن ترافقني إلى المسجد ولكنها رفضت بشدة، وزادت دهشتي منها عندما بدأت بالذهاب إلى الكنيسة، وصارت كلما حدثتها عن زيارة المسجد يزداد ذهابها إلى الكنيسة، وأخيرا لم أر بدا من أن أعرض ما قد يظهر أنه تنازل لها وذلك بأن نذهب أسبوعا إلى المسجد جميعا، وأسبوعا إلى الكنيسة. وأمام هذا العرض العادل لم تجد مناصا من الموافقة على مضض. وكان هدفي من وراء ذلك أن أعطيها الفرصة للتعرف على الإسلام وتعاليمه. ولما كانت هذه هي نيتي فقد عزمت على أن أتمسك

بالإسلام وتعاليمه أكثر من ذي قبل وأن تعكس تصرفاتي وأفعالي شخصية الرجل المسلم في البيت وخارجه مع كل من حولي، راجيا أن يجعلها ذلك تتعرف إلى ما في هذا الدين من محاسن. وكان علي أن أتغير حقيقة لا أن أتظاهر بذلك فقط فأخلاق وطباع الزوجين الحقيقية لا يستطيعان إخفاءها عن بعضهما مهما حاول أحدهما ذلك.

ورغم الصعوبة التي واجهتني في البداية إلا أني ولله الحمد والمنة بدأت ألاحظ تأثير ذلك في حياتي، وبدأت زوجتي تتفهم الإسلام ومزاياه وتعاليمه بالتدريج وتقبل على التعرف عليه، وتتفاعل مع ما تراه من خير في البيت ومع المجتمع الذي يحيط بنا. ثم انتهى بها الأمر إلى أن وفقها الله وشرح صدرها فأعلنت إسلامها ولله الفضل والحمد والشكر.

وبقدرة العزيز الحكيم أصبحت ريحانة امرأةً أخرى حيث أخذت نفسها بعزائم هذا الدين منذ البداية فالتزمت بالحجاب، وأخذت تبدي عظيم دهشتها حين ترى كثيرا من النساء المسلمات –من العالم الإسلامي- لا يرتدين الحجاب بل ويخرجن متبرجات أمام الرجال، وأصبحت تربي أبناءنا على تعاليم هذا الدين وتحثهم على الالتزام به، وهي التي كانت فيما مضى تقاوم محاولاتي لعمل نفس هذا الذي تعمله هي الآن بنفسها. بل إنها أصرت على أن ننقل أولادنا إلى مدارس إسلامية، وطلبت مني أن أقوم بتسجيل الدروس الفقهية والمحاضرات التي يلقيها إمام المسجد فيه وأحضرها لها لكي تستمع إليها".

وبهذا انتهت مشكلات عبد الوهاب بينما كانت مشكلات ريحانة في بدايتها، فقد عانت العديد من الصعوبات في تعلم الدين والالتزام به فقد كانت حريصة على تطبيق كل ما تتعلمه والعمل به ﷺ ولعل هذا يذكر المرء بما ورد عن بعض الصحابة أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يبادروا إلى ما بعدها حتى يعلموا ما فيها من العمل ويعملون به فتعلموا العلم والعمل[١]. فكانت تتعلم الإسلام وتطبقه بنفس مطمئنة وواثقة وراضية. وكانت زوجتي عندما تقابلها

وتتحدث إليها تشعر بالفرق العظيم بينها وبين الكثير من المسلمات اللاتي ولدن من عائلات مسلمة، و مع الأسف لا يحملن من قيم الإسلام وخلقه وهديه إلا القليل. وكانت كثيرا ما تذكر لزوجها فضله – بعد الله – بأن كان السبب في دخولها الإسلام وأنه بذل ما في وسعه لدعوتها إليه .

ومن جهة أخرى كان لخبر إسلامها وقع الصاعقة على والديها المقيمين بعيدا في شيكاغو. فقد كان أبوها غليظا جافيا ولم يقبل فكرة إسلامها بأي حال. لذا فقد قطعا ما كانا عوداها عليه من الزيارة بين الحين والآخر احتجاجا على إسلامها، ولكنها رغم ذلك رأت أن من حقهما عليها أن تصلهما برّا بهما وطمعا في أن يهديهما الله للإسلام. وقد كانت تتحمل عناء السفر مع أطفالها من لوس أنجلس إلى شيكاغو لزيارتهما والإحسان إليهما ، ثم تعود منهوكة بعد كل زيارة. وقد ظهر تأثير هذه الزيارات على الوالدين وإعجابهما بأخلاق أحفادهما وسلوكهم الإسلامي؛ فاضطرا إلى الإقرار ولو بلسان الحال أن الإسلام ليس ذلك الرعب الذي توقعاه من قبل. ولذا فقد قررا زيارة ابنتهما في منزلها كما كانا يفعلان سابقا. وعندما وصلا إلى لوس أنجلس كان هناك تطلع كبير ورجاء أن تكون هذه الزيارة فرصة مناسبة لدعوتهما إلى الإسلام، وأثناء مقامهما في لوس أنجلس لدى ابنتهما وزوجها دعوتهما لطعام العشاء مع عائلة ابنتهما كما دعوت أحد الأخوة وزوجته التي هي الأخرى أمريكية حديثة عهد بإسلام وملتزمة بالحجاب والآداب الإسلامية. وقد كان الاجتماع إلى المائدة مفيدا في تعريفهما بالإسلام ودعوتهما إليه، ولكنهما غادرا لوس انجلس بعد فترة وجيزة دون أن يظهر منهما رغبة في الدخول فيه رغم جهد ابنتهما في ذلك.

وبعد فترة ذكرت لي زوجتي أن ريحانة حزينة جدا لدرجة أنها تراها تبكي وذلك لأن أمها مريضة جدا، وهي تخشى عليها من أن تموت وهي كافرة فتكون من أهل النار. ومع الأسف فقد حدث ذلك وماتت أمها على الكفر. وأصبح الحديث إلى الأب بعد ذلك أشد صعوبة، ومع ذلك ازدادت محاولات ريحانة

وزوجها لدعوته، فقد سافرت إليه في "شيكاغو"(Chicago) عـدة مـرات ولكـن دون جدوى. كما قد تحدثت إليه بالهاتف عدة مرات ، وبعد انتقالي إلى ديـترويت اتصلت به ودعوته لزيارتي في ديترويت (Detroit)، ولكنه رفض ذلـك واعتـذر مازحا عن زيارة ديترويت لما لها من سمعة سيئة كمـا ذكـر. ولا يـزال علـى هـذه الحال، وابنته تحاول دعوته .نسأل الله أن يهديه للحق وأن يثبتنا عليه جميعا.



سراج وهاج (SIRAJ WAHAJ)
(مسلم أمريكي نموذج للمسلمين)

كان النشاط الدعوي الفعال للمسلمين قبل بضعة عقود يتركز في التجمعات الطلابية. حيث كانت اتحادات الطلاب المسلمين أو ما يسمى اختصارا (MSA) هي مراكز تجمع الطلبة المسلمين المغتربين الذين قدموا للدراسة في الولايات المتحدة من سائر أرجاء العالم الإسلامي ، ومن الأقليات المسلمة في العالم كله. فقد كان لهؤلاء نشاط كبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية لهم ولمن يستقر في هذه البلاد أو يسلم فيها، وذلك بتبني مختلف النشاطات الدعوية وبناء المساجد وعمارتها بالعبادة والتعليم . وبعد أن أنهى هؤلاء الشباب دراستهم عمل قسم منهم في أمريكا واتخذوها مسكنا لهم بدلا من أوطانهم الأصلية لأسباب ودوافع شتى. وقد واصل هؤلاء جهدهم في الحفاظ على هويتهم ومحاولة بناء بيئة مسلمة تكون مناسبة لهم ولعائلاتهم ، والحفاظ على حقوقهم في هذه البلاد. وظهرت الحاجة لوجود مؤسسات على مستوى الولايات تصب فيها هذه الجهود وتكون منبرا للتنسيق والتعاون بين المسلمين في شتى مدن وولايات تلك البلاد.

وقد شرفت ـ في فترة ماضية ـ بأن أكون عضوا في المجلس التنفيذي في إحدى الجمعيات الإسلامية على مستوى الولايات المتحدة، وكان الإمام سراج وهاج أمريكياً من أصل أفريقي عضوا في المجلس أيضا. وكنت ألتقي به أثناء اجتماعات المجلس التي تعقد بين الحين والآخر. ولكن جدول الأعمال يكون عادة مليئا بالموضوعات والمناقشات، مما لا يتيح لنا الحديث في غير الأمور العامة التي اجتمعنا من أجلها. وذات مرة سنحت لي الفرصة للقاء به خارج النطاق الرسمي حيث كنت معه خلال فترة الغداء رأيت أن أسأله سؤالا طالما دار في ذهني وهو عن كيفية دخوله في الإسلام. فسرد لي قصته كما يلي:

كنت فيما مضى ـ قبل فترة طويلة ـ عضوا فيما "يسمى حركة المسلمين السود"، وهي حركة بدعية مختلفة تماما عن أهل السنة من حيث الاعتقاد والشعائر. وذات مرة عقدت الجمعية الإسلامية في أمريكا الشمالية (MSA) مخيما صيفيا في مدينتنا وحدث أن حضرت هذا المخيم . وقد بدئ الحفل بتلاوة آيات من القران الكريم تلاها أحد الأخوة من السودان ، وكان يرتل القرءان بصوت رخيم ترتيلا مؤثرا جدا . ورغم أني لم أكن أعرف العربية آنذاك إلا أنني تأثرت تأثرا بليغا بتلاوته. وكان كلما استمر في التلاوة ازداد تأثري وبدأت أبكي بشدة مع استمراره بالتلاوة، وأخذت الدموع تنحدر على خدَّيَّ وتُبلل ثيابي. كل ذلك وأنا لا أعرف كلمة واحدة مما تلاه. وبعد أن هدأت قلت لنفسي أن هذا الذي سمعته أيا كان مصدره فلا بد أن يكون حقا. وكانت هذه بداية هدايتي للإسلام والسنة ولله الحمد.

ثم أقبل على تعلم اللغة العربية وأتقن تلاوة القران وقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل نشاط وهمة. وخلال فترة وجيزة أصبح إمام مسجد التقوى في مدينة نيويورك. ومن استمع إلى خطبه في أيام الجمعة يعلم أنه خطيب مفوه فقد كانت خطبه مؤثرة جدا تسحر السامعين وتخلب ألبابهم، وقد دخل إلى الإسلام على يديه ـ بفضل الله ـ العديد من النساء والرجال . وبدأ المجتمع الإسلامي حول مسجده ينمو ويتوسع يوما بعد يوم، وأصبح من كبار دعاة الإسلام و المسلمين على مستوى الولايات المتحدة، و كان يثق به ويتبعه العديد من المسلمين خصوصا المسلمين السود في ولاية نيويورك وغيرها، كما أصبح عضوا في عدد من الجمعيات العاملة على مستوى أمريكا كلها.

وسألته في مجلسنا ذاك عن رأيه في نشاط المسلمين في الدعوة بشكل عام. فكان رده :" مع الأسف إن أغلب المسلمين أصابهم الوهن والكسل، وإن إنتاجهم وثمرة أعمالهم في مختلف نشاطاتهم قليلة جدا، بينما ترى الآخرين على باطلهم يسعون بكل همة ونشاط لدعم معتقدهم وما يؤمنون به. لقد كنت

فيما مضى قبل أن يمن الله علي بالهداية عضوا في جمعية المسلمين السود، وكنت أقوم ببيع الجرائد لصالح الحركة، وكنت أقف على قدمي الساعات الطوال لبيع جميع ما كان بحوزتي منها، حتى أني كنت أحيانا أسقط من الإعياء برغم الشباب والفتوة ؛ وأنت ترى المسلمين ـ مع الأسف ـ يتكلمون كثيرا ولا يعملون إلا قليلا." وعندما أنهى كلمته تلك كانت استراحة الغداء قد انتهت فاضطررنا للمغادرة والعودة للاجتماع مرة أخرى.

ويقع مسجد التقوى الذي يؤم جماعته الإمام سراج وهاج في أحد الأحياء العتيقة في مدينة نيويورك. وفي فترة ما كان هذا الحي موئلا لتجارة المخدرات، حيث كانت تتم تجارة المخدرات في وضح النهار هناك. وكانت لعصابات المخدرات وزعمائها نفوذ قوي وثراء فاحش مما يمكنهم من السيطرة على هذه الأحياء. كما كانوا خطرين جدا بحيث تنتشر جرائم القتل خصوصا بينهم وبين أعدائهم أو من يحاول التعرض لنشاطهم. وعندما طفح بالمسلمين الكيل من الجرائم والفساد المنتشر بين هؤلاء وتأثيرهم على السكان، أخذ سراج وهاج يستقصي معلومات وافية عن هؤلاء المجرمين خصوصا من المسلمين الجدد الذين كانوا قبل ذلك يتعاملون معهم . ثم جمع بضع مئات من أشداء المسلمين من أهل حيه وممن حولهم ثم أخذوا في زيارة زعماء عصابات المخدرات واحدا واحدا يبلغونهم رسالة واحدة هي: يجب أن تترك هذا الحي مع الغد وإلا فسوف نحاربك جميعا حتى نحطمك. وعندما كان قائد هؤلاء الفجرة يقول: "لماذا تحاربنا وتمنعنا من عملنا الذي اعتدنا عليه دون أن نعتدي عليك؟" كان الجواب يأتيهم أنه لا مكان للمخدرات في أحياء المسلمين وبينهم. وعندما رأى أولئك الأوغاد الجدية والحزم عند سراج وأتباعه اضطروا للانسحاب والمغادرة واحداً تلو الآخر وأصبحت أحياء المسلمين نظيفة من المخدرات. وهكذا حقق المسلمون هناك بقيادة إمامهم سراج مالم تستطع حكومة نيويورك والولايات المتحدة تحقيقه مع كل ما لديها من الأموال والرجال والعتاد والأساليب الحديثة. وكان هذا الإنجاز

مثار إعجاب العديد من الأوساط هناك حتى أن إحدى القنوات التلفزيونية الرئيسية على مستوى أمريكا عملت تحقيقا عن الموضوع وقابلت سراجا ليسأله مذيعها ضمن أسئلته: كيف استطعتم عمل مثل هذا الإنجاز ولماذا تكبدتم العناء في سبيله؟ فكان رد سراج: أن الإسلام لا يمكن أن يرضى بتجارة المخدرات أو يتعايش معها، ولا يمكن أن يسكت المسلمون على هذا الفساد الذي يدمر حياة العامة على أيدي تجار المخدرات. لقد كانت الإرادة القوية والإخلاص هما سلاحنا لتحقيق هذا الحدث النبيل.

وينشط الإمام سراج بشكل واضح في مساعدة المسلمين في كافة أنحاء أمريكا وكندا في جمع التبرعات لبناء المساجد والمدارس؛ حيث إن أسلوبه الحماسي وصدق لهجته لهما أثر كبير في حث الناس على المسارعة بالصدقة والمساهمة في عمل الخير وبذل التبرعات لهذه الأهداف الخيرية. ودائما ما تراه وهو ممسك بالقرآن أو بأحد كتب الحديث يقرأ فيه استثمارا لوقته وحفظا له من الضياع فيما لا فائدة فيه، وذلك في أي مكان كان فيه، في الطائرة أو صالة الانتظار أو غيرها. كما أنه يحظى بالاحترام بين المسلمين حتى خارج أمريكا. وأذكر أنني عندما اعتمرت آخر مرة قابلت مجموعة من الإخوة الأمريكان الذين قدموا للعمرة فسألتهم من معهم فذكروا الإمام سراج ، وأخبروني أنه قد دعي لمناسبة غسل الكعبة وكسوتها مع كبار الشخصيات المسلمة.

أما آخر مرة استمعت فيها إلى خطبة الإمام سراج وهاج فقد كانت أيام حمى الانتخابات الأمريكية التي لا تمر عادة على الناس دون أن تشغلهم صباح مساء. فقد كان مسلسل الشتائم والاتهامات المتبادلة في ذروته بين مرشحي الرئاسة بيل كلينتون وجورج بوش و روس بيرو، وقد كان هناك محاولات من بعض الجمعيات الإسلامية لتوجيه المسلمين للتصويت لواحد ضد الآخر، وكان الناس يتطلعون إلى حديث الخطباء وقادة المجتمعات المحلية المسلمة. وعندما صعد

سراج على المنبر بدأ خطبته بعد الحمد والثناء والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعبارة التالية:

"لقد كنت البارحة أقرأ القرآن ، وقد تعجبت عندما قرأت فيه عن جورج بوش.. نعم بل وجدت فيه شيئا عن بيل كلينتون وثالثهما روس بيرو...لقد وجدت القرآن تحدث عن هؤلاء الثلاثة جميعا : لقد ذكرهم في أوائل ما يقرؤه القارئ فيه.. ولعلكم تتساءلون أين ذكر القرآن هؤلاء... ؟ إنها في قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ ....أنه حال هؤلاء القوم ، فآذانهم لا تستطيع سماع الحق سماع إجابة وطاعة ، وألسنتهم لا تنطق بالحق ولا تقوله ، وأعينهم لا ترى الحقيقة ولا تجدها...فكيف يرجى من هؤلاء أن يقودوا أحدا إلى الصلاح والخير؟؟!!)

إن مثل هذا الرجل يحتاج إلى كتاب مستقل للحديث عن جهوده وقدراته وما وهبه الله من المواهب الفذة والعمل الجاد. نسأل الله أن يوفقه للخير والصلاح والإصابة في جهوده وعمله للإسلام.

ســـــــــوزان (SUZAN)
(الأم و أولادها يطبقون الإسلام في حياتهم اليومية)

كان الأخ عبـــد القادر أحـــد الإخوة المسلمين من بورما مقيما في ولاية ميرلاند (Maryland) ،حيث يعمل مديرا لأحد محلات الأحذية، وكان متزوجا من امرأة نصرانية تدعى سوزان. وكان يصلي معنا أحيانا في مسجـــد مدينـــة (لوريل) (Laural) خصوصا يوم الأحد الذي يقام فيه الدرس الأسبوعي.

وذات يوم جاءني يطلب عونا في مشكلته حيث إنه رزق من زوجته بطفلتين توأم، وهو قلق بشأن مستقبلهما لكون زوجته نصرانية. وذكر أنه حاول مرارا إقناعها بالقدوم إلى المسجد وسماع شيء عن الإسلام، ولكنها كانت ترفض رفضا تاما زيارة المسجد. وكان حائرا فيما ينبغي أن يعمله، فعرضت عليه أن يأتي هو وزوجته لزيارتنا في منزلنا حيث ستلتقي بزوجتي ولعلها تشعر بشيء من الارتياح ، وتتعرف على الإسلام عن طريقها. وبحمد الله نجحت هذه الفكرة، فأقبلت زوجته على الاستماع لما يذكر لها عن الإسلام ووافقت أخيرا على الحضور إلى المسجد وسماع الحلقات والدروس التي تكون فيه.

وفي إحدى زياراتها للمسجد كان هناك درس في التفسير حيث كنت أقوم بشرح بعض الآيات؛ فسألت زوجته سؤالا، وقبل أن أجيب عن سؤالها بادر أحد الحضور بالرد بأسلوب بدا لها جافا. فتأثرت هذه المرأة بالرد ظانة أنه غضب من سؤالها خصوصا أنها تسمع صوته وهي مع النساء في مكانهن، وبدأت تبكي واضطرب الحضور وأخذها زوجها من المسجد وذهب بها إلى منزله. وعندما قابلته فيما بعد سألته عن سبب بكاء زوجته، فذكر أنها أحست أن من رد عليها بدا غاضبا من سؤالها وأنها لا تريد إغضاب أحد أو الدخول في مشاكل معهم ولذا فهي لن تأتي للمسجد مرة أخرى .

ويظهر أن هذه المرأة لم تتعود على الاستماع لأسلوب بعض الشعوب في الحديث خصوصا أولئك الذين هم مثلي من شبه القارة الهندية، حيث إنني أعلم أن الأخ لم يكن غاضبا عندما أجاب على سؤالها. لذا قلت لعبد القادر "أرجو أن تخبر زوجتك أن هذا هو أسلوبنا في الحديث نحن الذين من الهند أو باكستان، حيث نبدو صارمين وحادين أكثر من المعتاد بحيث يظن الآخرون أننا نتحدث بغضب، وأن الأخ الذي تحدث إليها لم يكن لديه أي شعور عدواني أو غضب تجاهها". ويبدو أنها اقتنعت بذلك فعادت تحضر الدروس مرة أخرى، ثم انتظمت فيها، وأصبحت تستغلها لطرح العديد من الأسئلة التي تخطر ببالها مما كان له أكبر الأثر في معرفتها الكثير عن الإسلام. كما تعرفت على العديد من الأخوات المسلمات اللاتي يحضرن للصلاة في المسجد، وكن يشجعنها على تعلم المزيد ويوافينها بما ترغبه من معلومات.

أعجبها نمط الحياة الجديد تحت ظل الدين الإسلامي ، و عزمت أن تعتنق الإسلام . هيأت لها كل شيء لتنطق بالشهادتين بكل احترام و نشاط ، فأصبحت مسلمة أختاً في الإسلام. بعد ذلك قمت بإعادة عقد الزواج بينهما على الشريعة الإسلامية في نفس اليوم . بدأت سوزان تعيش حياةً هنيئة سعيدة في رحمة واسعة غشيتها بعد الإيمان بالله و الدخول في هذا الدين الخالد .

في أثناء حفل الزواج بينت لهما بأن للزوجة على زوجها صداقاً. و يجوز أن يكون نقوداً أو شيئاً آخر. كما بينت لهما بأن المهر ملك تام للزوجة، و لها حق التصرف فيه كما تشاء ، و لا يجوز للزوج أن يحول دونها البتة. رضى عبد القادر أن يدفع لها المهر بكل ارتياح .

تعجبت سوزان من تكريم الإسلام المرأة ومحافظته على حقوقها ، مما زاد طمأنينتها في استمرار الحياة على الإسلام. و كان هذا في ولاية "مري لند" **(Maryland)**.

يسرني في هذا الصدد أن أحكي لكم رواية أخرى تشبه ما سبق وقعت في ولاية "ميشيغان" (Michigan) قبل بضع سنين.

كان من مسؤوليتي أن أقوم بمعاقدة الزواج على المسلمين و ألقي الخطبة كإمام في :"مسجد التوحيد" في هذه الولاية . ذات يوم طلب مني شاب مسلم أن أقوم بالمعاقدة بينه و بين فتاة . فبينت لهما حقوق الزوج على زوجته ، و حقوق الزوجة على زوجها في الإسلام . أملأ كلاهما استمارة عقد الزواج ، كما وقعا على استمارة دفع و تسلم المهر. وقد قلت لهما قبل الاتفاق على شروط الزواج:

هل من سـؤال عندكما ؟

قالت الفتاة : لا سؤال عندي .

"عندي سؤال مهم أسألك يا سيدي" ، قال الشاب :

و هو "لقد عرفت بأنه يجب عليَّ أن أعطي لها المهر، و هو لها ملك تام. ألا تدفع لي زوجتي المهر كما أدفع لها ؟!

قلت له : في الشريعة الإسلامية يجب على الزوج أن يدفع المهر لزوجته فقط ؛ فالمهر حق لها ؛ لا عليها . فلا تسأل عن مدى دهشة الشاب عندما علم هذا.

تعجبت الفتاة من تكريم الإسلام المرأة و محافظته على حقوقها ، كما تعجبت "سوزان" من قبل ، و كانت تهتز فرحاً من حوارنا.

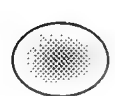
وشاء الله سبحانه وتعالى لها الهداية فدخلت في دين الله ، ولله الحمد، وعاشت بعد ذلك مع زوجها حياة إسلامية واختارت لنفسها اسم "سعيدة" تعبيراً عن شعورها بالسعادة لما من الله عليها من الهداية.

ولما كان إسلامها عن قناعة وعلم فقد كانت تلتزم بكل ما تتعلمه من دين الله. فكانت تحرص على ارتداء حجابها كلما خرجت من بيتها غير عابئة بمن حولها من الجيران الكفار وغيرهم. كما ألبست بنتيها الصغيرتين اللتين تدرسان في المرحلة الابتدائية الحجاب بالرغم من انهما لم تتجاوزا العاشرة. وعندما قيل لها إنهما لا تزالان صغيرتين ولم يفرض عليهما الحجاب بعد، وأن الأطفال الآخرين

قد يسخرون منهما ويستغربون لباسهما، أجابت بثقة: بأنها يجب أن تعودهما على الحجاب منذ الصغر حتى تكبرا معه وتتعودا عليه، بحيث تستمران عليه عندما تكبران، وأن الالتزام بالإسلام وآدابه ينشأ مع الطفل ويكبر معه.

وقد أصبحت سعيدة وابنتاها مميزات جدا عندما يخرجن جميعا أو يكن في السوق بلباسهن الإسلامي و عليهن الحشمة والوقار الظاهر عليهن . فقد كانت على هذه الدرجة من الالتزام، بينما كان زوجها يعترف لي بأنه يخجل من نفسه وضعف التزامه ، ويخبرني بشعوره أننا نحن الذين ولدنا مسلمين لا نلتزم بديننا لأننا نظنه أمرا هينا ومضمونا لنا ، ولذلك فإن إيماننا ضعيف ومهزوز . بينما أولئك الذين عرفوا قيمته بعد الضياع الذي كانوا فيه فإنهم يقدرون أهمية ما هم عليه من الهداية، وهنا لا يملك المرء إلا أن يردد المقولة التي وردت عن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول:

(لا يعرف الإسلام من لم يعرف الجاهلية)



الـــدكـــتور / نـجـــــات (DR. NAJAT)
(كيف أسلم دكتور هندوسي و خدم المجتمع الإسلامي بإخلاص)

ولد الدكتور نجات ونشأ وتلقى تعليمه في الهند، وبعدما تخرج مهندسا من الجامعة عمل قليـلا ثم قدم إلى (كنـــدا) (Canada) للدراسة العليا في الهنـــدسة. و نجات هو ليس اسمه الأصلي المعقـد الـذي لا أستطيع كتـــابته ولا نطقـه ، ولا أعرف عنه إلا أنه اسم تقليدي تطلقه تلك العائلات الهندوسية المتعصبـة علـى أبنائها. وقد حرصت عائلتـه علـى أن تنشئه علـى أصـول الهندوسـية، وأن تجعلـه متمسكا بها وملتزما بتعاليمها ، وبقي كذلك طـوال حيـــاته في بـلاده في تلـك البيئة المغلقة .

ولكنه عندما قدم إلى كندا وجد فيها مجتمعا تلتقي فيه مختلـف الحضـارات والأفكار. ووجد في الجامعة جوا منفتحا يمكن فيه الحديث والنقـاش حـول جميـع الأمور، ولما كان امرءا ذا عقل متفتح وقلب واع فقد بدأ يفكر في دينه الذي هـو عليه، ويتساءل عن مدى صحته وسرعان ما اقتنـع بـأن الهندوسية ديـن بـاطل في معتقداتها وشعائرها وأخذ يبحث عن بديل لها في إنجيل النصارى، حيـث إنـه أول ما يخطر على البال بحكم وجوده في بيئة نصرانية.

وفعلا اعتنق النصرانية لأنـها بـدت لـه حقـاً –مقارنـة بمـا كـان عليـه مـن الضلالة. ولكنه بعد مضي فترة وبعد أن تعرف إلى النصرانية عن كثب علم أنـها لا تحوي الحق الذي يبحث عنه، وأن ما فيها من تناقض وأمور باطلـة لا يمكـن أن تكون معها هي المذهب الصحيح. وبدأ يقرأ عـن الإسـلام ويتعـرف عليـه، وكـان ذلك في منتصف طريقه للحصول على الدكتوراه في الهندسة.

وكان للجو المنفتح في الجامعة أثر كبير في تعرف نجات على الإسلام عـن كثب، فقد كانت تعقد في الجامعة مناظرات بين اتباع الأديـان المختلفـة خصوصـا اليهود والنصارى والمسلمين، وذلك في جو صحي وبصورة هادئة بدون انفعالات

أو تجاوزات ، وعندما بدأ يقارن بين الأديان تبين له التناقض في أن يتخذ المرء ثلاثة آلهة (في النصرانية) بل أكثر في الهندوسية، وبعد ذلك عن الفطرة السليمة التي تقبلها النفس والعقل في أن يدعو المرء إلها واحدا سميعا بصيرا محيطا بعلمه كل شئ، كل ما سواه مخلوق وهو الواحد الأحد المنفرد بالعبودية . ولم تستمر معاناته وتفكيره طويلا ، حيث استقر قلبه وعقله على اختيار الإسلام ودخل فيه طائعا مختارا ، ثم غير اسمه الهندوسي إلى اسم مسلم حيث تسمى باسم "نجات" ليكون دليلا على نجاته من الكفر إلى الإيمان .

وسرعان ما أدرك نجات أن الدخول إلى الإسلام سهل لكن الالتزام به يتطلب أكثر من ذلك من الإصرار والمصابرة. وأدرك أن عليه أن يتزوج في أقرب وقت ممكن لكي يحفظ نفسه ويستقر في حياته، واختار فتاة من أسرة مسلمة محترمة في مدينة وينزر، وتمت وليمة الزفاف في مسجد المدينة، واكتملت سعادته بمناقشته لرسالة الدكتوراه ، وحصوله على الدرجة العلمية التي كان يطمح لها. ثم حصل على وظيفة في شركة فورد المصنعة للسيارات في مدينة ديترويت الأمريكية ، وانتقل إلى مدينة قريبة منها حيث يوجد المسجد الذي نصلي فيه، وكان في هذا المسجد بداية لقائي به وتعرفي عليه.

وبعد عدة لقاءات بيننا سألته عن قراءته للقرآن فصعقت عندما علمت أنه لا يستطيع قراءة القرآن ، بالرغم من كونه حريصا وقادرا. والحق أن هذه مشكلتنا نحن المسلمين فنحن نتحدث وننتقد كثيرا، ونسهب الحديث عما يجب وما لا يجب ولكننا لا نعمل إلا أقل القليل هذا إن عملنا. فعلى الرغم من معرفة العديد من الأخوة لهذا المسلم الجديد فلم يهتم أحد بأمره وينظر في حاله. وسألت زوجته موبخا لها" لَم لم تعلمي زوجك قراءة القرآن بالأحرف العربية بالرغم من زواجك منه منذ فترة ؟ ولكنها لم تعطني جوابا . غير أن لسان الحال الذي ينطق بالإهمال واللامبالاة يجيب عنها وعن كثير من المتخاذلين والمقصرين مع الأسف.

فأخبرت نجات بأن عليه أن يخصص لي فقط ثمانية أيام من أيام العطلة الأسبوعية، لكي أجعله يقرأ القرآن الكريم بإذن الله. وأصبحنا نلتقي في صلاة الفجر ونجلس بعد الصلاة في أيام العطلة الأسبوعية لعدة ساعات، ولم تنته المدة المحددة إلا وهو يقرأ القرآن، وحدث أن أخبرت عن درسنا هذا بعض الأخوة فأخذوا يشاركوننا في الدرس بعد ذلك. وأصبح كل متعلم يتكفل به أحد الأخوة الذين يعرفون القرآن ليعلمه تلاوته باللغة العربية، وأصبح من المعتاد كل صباح سبت وأحد من كل أسبوع أن يلتقي الأخوة لدرس القرآن ثم تنتهي الجلسة بطعام الإفطار المشترك للجميع في المسجد.

ولما تحسن مستوى نجات وأصبح يستطيع قراءة جميع سور جزء عم. تكفل بتدريسه من هو أقدر مني وهو أخ كبير السن من سورية ، فتحسن نطقه للأحرف العربية وتلاوته للقرآن ، و ازدادت حماسته هو ومدرسه للدروس وأصبحا يلتقيان يوميا بعد صلاة الفجر ، فكان نجات يخرج من بيته كل يوم قبل صلاة الفجر، ثم يصلي في المسجد ويجلس بعدها مع مدرسه حتى يحين موعد عمله في الشركة، فيذهب للعمل مباشرة دون العودة للبيت. كما كان يحضر أهله للصلاة في المسجد كل عشاء. وكان نجات ومدرسه جزاه الله خيرا يحافظان على هذا الدرس، حتى في شدة البرد وكثرة الثلوج والعواصف في أيام الشتاء القارسة . وكان هذا الأخ السوري فخورا بتلميذه، وكان يداعبني بقوله "إن نجات الآن أصبح ينطق العربية ويتلو القرآن أفضل منك" بل أصبح يمكنه قراءة القرآن نظرا من أي موضع ، وكان مع تعلمه لقراءة القرآن يقرأ معانيه بالإنجليزية، ويزداد فهمه وتعمقه فيه ، كما بدأ يحفظ بعض السور حتى استطاع أن يحفظ نصف جزء عم تقريبا.

ومن قُدِّر له العمل في مساجد المسلمين في الغرب يعلم أنه من الصعب القيام على أمورها، حيث لا توجد جهات إسلامية رسمية تتكفل بها، بل يجب على جماعة المسجد العناية به والمحافظة عليه وحمايته. وأغلب هذه المهام تقوم على

التطوع حيث لا توجد موارد مالية لهذه المساجد إلا ما يتبرع به أهله في الغالب، ومن الصعب جدا أن يتوفر الإخوة المتطوعون الذين يعملون بجد وإخلاص وتفان دون حصول مشاكل واعتراضات. فالكثير من المسلمين القادمين من شتى أنحاء العالم الإسلامي عندما يأتي إلى الغرب فإنه يحمل معه أمراض الكسل وقلة العمل مع كثرة الانتقاد للآخرين فيما يعملونه، وهو أمر نجيده بقدرة فائقة.

إلا أن د.نجات تطوع للمساعدة في رعاية أمور المسجد دون طلب من أحد. كان غالبا هو الذي يفتح المسجد لصلاة الفجر، لأنه يأتي قبلنا بالرغم من كونه أبعدنا سكنا عنه. وكان يقوم بتنظيف الممرات التي تؤدي إلى مدخل المسجد من الثلج المتراكم في أيام الشتاء، ويرش الملح لإذابة الجليد لكي لا ينزلق أحد فيصاب، ومثل هذا العمل في غاية الأهمية ليس فقط لحماية من يمر من الإصابة بل أيضا لحماية المسجد من أن يصاب أحدهم – ولو كان مارا عرضا بالمسجد – فيرفع عليه قضية أمام المحاكم للمطالبة بالتعويض، وهذا الأمر وارد جدا في مثل هذه البلاد. كما كان نجات يساعد في تسيير أمور مدرسة المسجد الإسلامية التي تعمل في نهاية الأسبوع . فقد كان يفتح المسجد قبل صلاة الظهر ويزيل الثلج ويرش الملح قبل دخول الطلاب والمدرسين . كما كان يقوم بالمهمة الصعبة وهي جمع الرسوم الدراسية من آباء الطلاب المسجلين في المدرسة. وكان يقوم بشراء الوجبات الخفيفة للطلاب وتنظيف المطبخ والثلاجة بشكل منتظم، إنك تحس وأنت تراه يعمل وكأنه يقوم بذلك في منزله الخاص.

كما كان يقوم بأعمال تنظيف الحديقة المحيطة بالمسجد ورعايتها، فكان يشتري السماد من ماله الخاص كما كان يشتري الملح ، ويسمد الحديقة ويزيل النباتات والحشائش الضارة، وكان يفعل ذلك بكل جد وهمة كما كان يعمل مع بعض الأخوة الآخرين على إزالة الأشجار الكبيرة القديمة حول المسجد.

وكان حاله كذلك في رمضان حيث يتولى بنفسه أحيانا إحضار الإفطار من بيته مثله مثل الآخرين الذين يتبرعون بوجبة الإفطار حيث يتم الإفطار في

المسجد بشكل يومي . كما كان يساعد الآخرين في ترتيب وإعداد الطعام كل يوم تقريبا. وكان يؤدي عمله بنفسه وبكل هدوء وصمت، ودون أن يأمر الآخرين أو يطلب منهم المساعدة. أما في الأعياد فكان ممن يقوم بإعداد مستلزمات حفل العيد وخدمة الحضور بعد صلاة العيد. كما كان مشهودا له بدعوة العديد من العائلات لبيته بعد صلاة العيد واستضافتهم فيه وأصبحت تلك عادته كل سنه.

وذات مرة سألت نجات" الآن بعد أن عرفت الإسلام وقرأت القرآن... كيف تشعر؟" فقال: "أصدقك القول أني لا يمكن أن أقارن ما أنا فيه من الهدى والخير في الإسلام، بما كنت عليه من القلق والضياع في الهندوسية أو النصرانية، كما أن للقرآن أثرا كبيرا على النفس والقلب عندما أسمعه يتلى).

ومؤخرا صار نجات يصلي بالجماعة أحيانا إذا لم يوجد من هو أقرأ منه. وهو أمر وإن كنا قد تعودنا عليه فقد أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤم القوم أقرؤهم إلا أنه يوضح معنى ساميا من معاني هذا الدين ذكره الله سبحانه في كتابه بقوله: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، فهذا الرجل الذي كان فيما مضى هندوسيا بعد أن هداه الله للإسلام والحق ، يؤم الجماعة بنفسه. فأكرم القوم عند الله أتقاهم له ومقدمهم هو أقرؤهم لكتاب الله بغض النظر عن أصله أو لونه أو بلده. نسأل الله لنا وله الثبات على الحق والاستزادة من الخير.



جيم (JIM)

(جيم وصديقته البوذية دخلا في الإسلام)

على الرغم من تسارع وتيرة الحياة في الغرب ، وكثرة المشاغل فإن العمل التطوعي هو أساس مهم لرعاية وتشغيل المساجد والمراكز الإسلامية في هذه البلاد. وكثيرا ما تساعد المساجد والمراكز المتقاربة بعضها البعض عندما توجد بعض الأعمال التي تستدعي عددا كبيرا من الرجال لتنفيذها. وصباح ذات يوم من أيام العطلة الأسبوعية ذهب مجموعة من جماعة مسجدنا لمساعدة الأخوة في مسجد قريب في قطع بعض الأشجار الكبيرة ، حيث انطلقنا بعد صلاة الفجر بسيارتي في مشوار يستغرق حوالي ثلاثة أرباع الساعة. وحيث ضمني الطريق مع الأخ "جيم" ، فقد كانت فرصة مناسبة لتزجية الوقت أن أسأله عن كيفية دخوله في الإسلام ، فقد كان جديداً على جماعة المسجد.

كان أول ما ذكره أنه نشأ في عائلة نصرانية تحافظ على الشعائر في الكنيسة كل أسبوع " لقد تعود أبواي أن يدفعا ما مقداره عشرة في المائة من دخلنا للكنيسة لكي نتمكن من الاشتراك في الكنيسة وحضور الشعائر، وكان ذلك مرهقا جداً لميزانيتنا المحدودة ، وبعد فترة قرر والداي أن يغيرا الكنيسة التي نصلي فيها لأن والدي لم تعجبه ممارسات القائمين عليها. ولذا فقد انتقلنا إلى كنيسة أخرى تأخذ فقط ثمانية في المائة من الدخل ، وهو ما قبلنا به حيث أن أغلب الكنائس تعمل بهذه الطريقة . ولكنني شخصيا لم استسغ فكرة أن ندفع ثمن مقاعدنا في الكنيسة عن طريق اشتراك إجباري ، ولذا ما إن ملكت زمام أمري حتى توقفت عن الذهاب إلى الكنيسة بشكل نهائي .

وبعد أن أنهيت الثانوية التحقت بالجامعة وهناك تعرفت على عدد كبير من الطلاب المسلمين من دول مسلمة مختلفة ، وكثيرا ما كنا نتبادل المعلومات عن معتقداتنا وأدياننا بدون حرج."

وقد يكون المفيد هنا ذكر ما للجو الدراسي في الجامعات في الغرب من فوائد للطلاب، ففي هذه البيئة يتسنى للطلاب من مختلف المشارب الالتقاء وتبادل الأفكار في جو صحي يتسم بالصراحة والبساطة والتزام آداب الحوار مما يفقده الكثير منا. فالطلاب يتبادلون المعلومات والأسئلة والإجابات بحرية، وعقليات ناضجة في غالب الأحيان، رغم وجود بعض الحالات الشاذة التي تسمي استغلال هذه الحرية المتاحة. وقد استفاد الطلاب المسلمون كثيرا من هذه الأجواء للدعوة وكسب التعاطف مع كثير من القضايا الإسلامية (سواءً الخاصة بهم أو العامة).

تابع جيم "وكان من ضمن ما سألتهم عنه أثناء حديثنا ذلك الموضوع الذي كان يضايقني كثيرا من الكنيسة وهو دفع المال مقابل السماح بالصلاة، فسألت أحدهم عما إذا كان يجب أن يدفع المسلم اشتراكا لكي يصلي في المسجد؟ فكان رده النفي القاطع مع دهشة من سؤالي. وأضاف " إن الجميع يحق لهم دخول المسجد والصلاة فيه دون تفضيل لأحد."

وقد راقت هذه الفكرة لجيم كثيراً، حيث إنه مما يقتضيه المنطق والعقل أن لا يدفع المرء مالاً لكي يعبد الله، وقادته إلى أن يطلب المزيد من المعلومات عن هذا الدين.

" كانت صديقتي التي أقيم في الشقة معها تعتنق البوذية، حيث كانت تماثيل بوذا تملأ أرجاء الشقة دون اهتمام فيها ، حيث أن كلانا لم يكن متعلقا بدينه بشدة، وقد لاحظت من أحاديثي معها اهتمامي بالدين والتدين مؤخرا . وكان عيد الكرسمس قريبا حيث يتم فيه عادةً تبادل الهدايا بين الجميع ، حتى إن بعضا ممن هم على أديان أخرى مثل اليهود يتبادلون فيه الهدايا . ونظرا لاهتماماتي الأخيرة فقد اختارت لي صاحبتي كتابا ذا صبغة فلسفية ـ كما ظنته ـ لتهديه لي بمناسبة العيد. وحين أخذته منها وبدأت أقرأ فيه وجدت أنه نسخة من معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية ، ومع القراءة تعلقت بهذا الكتاب

ووجدت فيه العديد من الإجابات على الأسئلة التي في ذهني، كما ظهرت لي أسئلة أخرى عنه أخذت أبحث عن إجابتها من الطلبة المسلمين الذين معي في الجامعة. وكانت جميع إجاباتهم منطقية ومعقولة مما زاد قناعتي بالإسلام، حتى جاءت اللحظة التي قررت فيها الدخول فيه، فاتصلت باتحاد الطلبة المسلمين في الجامعة ودخلت على أيديهم في الإسلام.

وكان أول ما تعلمته هو الصلاة، حيث بدأت أصلي بعض الصلوات في الجامعة وبعضها في المنزل، ولذا طلبت من صاحبتي أن تزيل التماثيل التي في الشقة لأني لا أستطيع الصلاة في المكان الذي توجد فيه، ورغم رفضها لذلك إلا أنها أذعنت لطلبي مكرهة، ومع زيادة معرفتي بالإسلام أدركت أنه لا يجوز لي الإقامة مع تلك المرأة. وحينما ذكرت لها ذلك تضايقت واحتجت قائلة إنها بذلت كل شئ لترضيني واستجابت لطلباتي بينما أنا أتحاشاها وأهملها. فأخبرتها أني أصبحت مسلما ولا يجوز لي الإقامة معها بحال. وكانت تعلم أني لا أقول ذلك لأتخلص منها ، وإنما هو أمر أنا مقتنع به. عند ذلك سألتني ما الذي يمكن أن تعمله لكي تبقى معي ؟ فأخبرتها أن عليها أن تسلم لكي نستطيع أن نتزوج ، وعند ذلك سألتني عن الإسلام فشرحته لها بإيجاز. ورغم عدم إحاطتها وقناعتها الكاملة بالموضوع ، إلا أنها استجابت لي وأسلمت لكي تبقى معي.

وبعد أن تزوجنا وصرنا نتردد على المسجد القريب منا، ومع مضي الوقت لاحظت أنها لا تؤدي الصلاة بانتظام. فذكرت لها ذلك، وأن على المسلم أن يقيم الصلاة في وقتها، ولكن اعتذرت وقالت إنها تحاول ذلك ولكنها تنسى أحيانا، فزجرتها عن التهاون في الصلاة، وكثرت خلافاتنا بسبب ذلك، وشددت عليها في هذا الأمر. فكان أن أخبرت بعض النساء المسلمات ممن يأتين إلى المسجد، وبعد أن علم إمام المسجد وبعض الأخوة بخلافاتنا، انتخبوا رجلاً وامرأةً عاقلين منهم ليحكموا بيننا، فذكراني أن امرأتي لازالت حديثة عهد بالإسلام وأن علي أن لا أغلظ عليها في الأمر والنهي، وأن أترفق بها حتى يتمكن

الإسلام من قلبها ، وأن اللين والحلم والتدريج يبلغ مالا يبلغه ضده من الشدة والجفاء . وقد خففت حدتي عليها بسبب ذلك شيئا ما.

وقد كنت قبل إسلامي أقضي وقتا مع أقراني من حيّنا، وكنا عندما نجتمع نتحدث بصخب وإزعاج ، فترى الجميع يتحدثون في وقت واحد ، دون أن يبدي أحداً اهتماما بما يقوله الآخرون في مشهد مضحك عندما أتذكره الآن. وعندما زرتهم بعد إسلامي لاحظوا كثرة صمتي وأني لا أتحدث إلا عندما يصغي الآخرون لي، واستغربوا هذا التغير في تصرفاتي. وبعد عدة زيارات رأيت أنه ليس بإمكاني الاستمرار في زيارة هذه المجموعة ، حيث لا أخرج إلا بضياع الوقت سدى دون فائدة، وقررت أن أنقطع عنهم.

كما كانت علاقتي مع والدي صعبة أيضا، نظرا لأنهما لازالا متشبثين بالنصرانية، ولم يتقبلا فكرة إسلامي وشعرت أنه لم يعد بوسعي الإقامة في المكان الذي أنا فيه نتيجة هذه الضغوط، فقررت أن أذهب إلى حيث أجد معونة على تعلم الإسلام والعمل به، فتركت بلدتي حيث أهلي وزملائي وجئت إلى ديترويت حيث يسكن زميل لي من أيام الجامعة، وهو أحد النشطاء في منظمة المسلمين الاندونيسيين والماليزيين في أمريكا الشمالية، ورغم أني جئت هنا معدما، إلا أنه أسكنني معه، وتولى مساعدتي في جميع ما أحتاجه، ولذا تراني كثيرا ما آتي إلى المسجد معه".

وقد ساعد الإخوة في جماعة المسجد أخاهم جيم فيما يحتاجه واستقر بسرعة في ديترويت ثم بدأ يبحث عن عمل ، ولكنه بعد فترة تركه لأن رئيسه في العمل لم يكن يأذن له بالذهاب لصلاة الجمعة ، وربما حدث ذلك لأنه كان جديداً في عمله، حيث إن الكثير من أرباب الأعمال يسمحون لموظفيهم المسلمين بالاستئذان لصلاة الجمعة بزيادة الوقت المخصص لاستراحة الغداء قليلاً.

وقد سألت "جيم" مرة عن حسن تلاوته للقرآن ، وهل علمه ذلك زميله " أحمد" الذي أسكنه عنده؟ فأجاب بأنه إنما تعلم ذلك بواسطة الحاسب الآلي باستخدام القرص المدمج(CD) الذي يحوي تلاوة للقرآن الكريم.

وجاءني مرة يطلب فيها أن يشتري نسخة من معاني القرآن بالإنجليزية، وعندما سألته عما يريده بها، أخبرني أنه يريد أن يعطيها لأمه مؤملاً أن يهديها الله للإسلام ، فأخبرته أن النسخ الموجودة يمكن أخذها بدون مقابل مادام ذلك للدعوة .

وبينما هو كذلك إذ تعرف على مجموعة من الإخوة من جماعة الدعوة والتبليغ . والحق أنه برغم ما قد يلاحظ على الإخوة في التبليغ بعض الملاحظات في المنهج والنشاط إلا أنهم يقومون بجهد مميز في دعوة المسلمين وتذكيرهم بالله ، كما كانوا يوفرون بيئة ممتازة للمسلم الجديد يعلمونه فيها . ثم بعد فترة رحل عنا مع هؤلاء الإخوة ليشاركهم في الدعوة إلى دين الله ضمن رحلاتهم الدعوية ورغم أنه استقر في مكان آخر إلا أنه كان يزورنا بين الحين والآخر في رحلاته تلك . أسأل الله أن يفقهه في الدين وأن يرزقنا وإياه البصيرة ويتقبل منا جميعا.

انتهت القصص

هذا ولعل المطلع عليها يجد فيها من العبر والفوائد ما هو جدير بالتدبر والاستفادة منه . ومن هذه العبر على سبيل المثال :

١. عظمة هذا القرآن ، وإعجازه الخالد على مر الدهر، ذاك الكتاب الذي قال الله تعالى فيه :

﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾ (العنكبوت : ٥١) . هذا كما وجدت - فيما سبق - تأثير القرءان الكريم فيمن قرءواه أو تلي عليهم ، وإن كانت قراءتهم لمعانيه بغير العربية.

٢. علوّ همة نفوس بعض البشر، وطلبها المعالي ، ممن قد بحث عن الحق حتى هداه الله إليه ، ثم لم يكتف بذلك ، بل أخذ على نفسه أن يزداد منه ، ويوصله لغيره ، بهمة ودأب عجيبين. يذكر معها المرء قول الصادق المصدوق ﷺ :
«الناس معادن ، خيارهم في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا»
(البخاري كتاب الأنبياء ٤/١٢٢ .)

٣. حكمة الله سبحانه واختياره من يشاء للهداية، وأنها بيده وحده سبحانه، فكم من مدعو لم يؤمن، وكم من باحث عن الهداية حتى وجدها ، دون أن يحدثه أحد عن الإسلام .

٤. حاجتنا إلى الدعوة إلى دين الله بكافة الوسائل والسبل، فما أكثر من يبحثون عن الحق ، استجابة لنداء الفطرة التي فطرهم الله عليها، ممن لا يعرفون شيئا عن الإسلام ، وإن عرفوا شيئا فمعلومات خطؤها أكثر من صوابها .

٥. ضرورة تعاهد المسلمين الجدد والاهتمام بتربيتهم وتعليمهم ليكونوا قوةً للإسلام ، وعدم تركهم فريسة لأهل الأهواء الذين تعج بهم البلاد الأجنبية والكثير من البلاد المسلمة مع الأسف .





الفصل الثاني

الآيات والأحاديث الواردة في فضل الدعوة إلى الله

قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يونس : (٢٥)

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ الجمعة : (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا فَلا تُطِعْ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ . الفرقان : (٥١-٥٢) .

وقال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ النحل : (١٢٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الذاريت : (٥٥) .

وقال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ المدثر : (١-٣) .

وقال تعالى : ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء : (٣) .

وقال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة : (١٢٨) .

وقال تعالى : ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ الفاطر : (٨) .

وقال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ

لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلا فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلا فِجَاجًا﴾ نــوح : (١-٢٠) .

وقال تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الشعراء : (٢٣-٢٨) .

وقال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي لا يَنسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾ طه : (٤٩-٥٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ إبراهيم : (٥) .

و قال تعالى : ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ الأعــراف : (٦٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ غافر : (٣٨-٤٥)

وقال تعالى : ﴿ يَابُنَيَّ أَقِمْ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ لقمان : (١٧)

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الأعراف : (١٦٤-١٦٥)

وقال تعالى ﴿فَلَوْلا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلا قَلِيلا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود : (١١٦-١١٧)

وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ سورة العصر .

وقال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران : (١١٠) .

وقال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة :(٧١) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة : (٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت : (٣٣-٣٥) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم : (٦) .

وقال تعالى : ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَءاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ الحج : (٤١) .

وقال تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ الحج : (٧٨).



الأحاديث الواردة في فضل الدعوة إلى الله

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ لعمِّه: قل:لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة ، قال : لو لا أن تُعـتيِّرني قريش يقولون : إنّما حمله على ذلك الجزع لأقررتُ بها عينك ، فأنزل الله : ﴿ إنك لا تهدي من أحببتَ ولكنّ الله يهدي من يشاء ﴾ الآية (رواه مسلم ، باب الدليل على صحة إسلام ... رقم : ١٣٥) .

٢ - عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : خرج أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يريد رسول الله ﷺ ، وكان له صديقاً في الجاهلية ، فَلَقِيَهُ ، فقال : يا أبا القاسم ، فُقِدتَ من مجالس قومِكَ ، واتّهموك بالعيب لآبائها وأمّهاتها ، فقال رسول الله ﷺ : إنّي رسول الله ، أدعوك إلى الله فلمَّا فرغ من كلامه أسلم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فانطلق عنه رسول الله ﷺ وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومضى أبو بكر فراح لعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فأسلموا ، ثم جاء الغد بعثمان ابن مظعون وأبي عبيدة بن الجراح وعبدالرحمن بن عوف وأبي سلمة بن عبد الأسد والأرقم ابن أبي الأرقم ، فأسلموا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. (البداية والنهاية : ٨٠/٣) .

٣ - عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالت : (في قصة إسلام أبي قحافة) : فلمّا دخل رسول الله ﷺ (مكة يوم الفتح) ودخل المسجد أتى أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنه بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هلاّ تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يارسول الله ! هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشيَ إليه ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلِم ، فأسلم ، ودخل به أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله ﷺ ورأسه كأنّها ثغامةٌ فقال رسول الله ﷺ : غيِّروا هذا من شَعره . (رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات ، مجمع الزوائد : ٢٥٤/٦) .

٤ – عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : لما أنزل الله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أتى النبيّ ﷺ الصّفا فصعدَ عليه ، ثم نـادى : يـا صباحـاه ، فـاجتَمع الناس إليه بين رجل يجيءُ إليه وبين رجل يبعثُ رسولَه ، فقال رسـول الله ﷺ : يا بني عبد المطّلب ، يا بـني فِهرٍ ، يـا بـني كعب ، أرأيتـم لـو أخبرتكم أنّ خيـلا بسَفح هذا الجبل تريد أن تُغيرَ عليكم صدّقتموني ؟ قالوا : نعم ! قال : فإني نذيرُ لكم بين يدي عذابٍ شديد ، فقـال أبو لهب : – لعنه الله – تبّا لك سائر اليوم ! أما دعـوتنا إلا لهـــذا ؟ وأنـزل الله عـز وجـل ﴿تبـت يـدا أبي لهـب وتـب﴾ . (أخرجه الإمام أحمد ، البداية والنهاية ٣/٨٨) .

٥ – عن منيب الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهليّة وهـو يقـول: يـا أيـها النـاس قولـوا : لا إلـه إلا الله تُفلحـوا، فمنـهم مـن تفـل في وجهه* ، ومنهم من حثا عليه التراب ، ومنهم مـن سبّه حتى انتصف النـهار ، فأقبلت جاريةُ بِعُسٍ من ماء ، فغسل وجهه ويديه ، وقال : يا بنيّةُ ! لا تخشَى على أبيك غيلةً ولا ذلة ، فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله ﷺ وهي جاريةٌ وضيئةٌ . (رواه الطبراني وفيه منيب ابـن مـدرك ولم أعـرف ، وبقيـة رجالـه ثقات مجمع الزوائد ٦/١٨. وفي الحاشية منيـب ابـن مـدرك ترجمـه البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً) .

٦ – عن محمد بن عثمان بن حوشب عن أبيه عـن جـده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال : لّما أن أظهرَ الله محمداً أرسلتُ إليه أربعين فارساً مع عبدُ شرٍّ فقدموا عليـه بكتـابي فقال له : ما اسمك ؟ قال : عبد شرٍّ : قال : بل أنت عبد خيرٍ ، فبايعه علـى الإسـلام وكتب معه الجواب إلى حواشب ذي ظليم فـآمن حوشب . (الإصابة ١/٣٨٢) .

٧ – عن أبي سعيد الخـدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقـول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فـإن لم يستطع فبقلبـه ، وذلـك أضعف الإيمان : (رواه مسلم . باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .. ، رقم : ١٧٧٩).

---

* انظر القصة تحت تفسير قوله تعالى : ﴿والنجم إذا هوى﴾ في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٩/٥٦ .

٨ – عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاه وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا . (رواه البخاري ، باب هل يقرع في القسمة والإستهام فيه ؟ رقم : ٢٤٩٣) .

٩ – عن العرس بن عميرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله لا يعذب العامّة بعمل الخاصة حتى تعمل الخاصّة بعمل تقدر العامة أن تغيّره ، فذاك حين يأذنُ الله في الهلاك العامة والخاصة . (رواه الطبراني ورجاله ثقات . مجمع الزوائد : ٥٢٨/٧) .

١٠ – عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (في حديث طويل – عن الرسول ﷺ قال : ألا هل بلغت ؟ قلنا : نعم ، قال : اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فإنه ربّ مبلّغ يبلّغه من هو أوعى له . (رواه البخاري . باب قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفارا ... ، رقم : ٧٠٧٨)

١١ – عن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : والذي نفسي بيده لتأمرُنّ بالمعروف ولتنهوُنّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم . (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . رقم : ٢١٦٩) .

١٢– عن زينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : قلت يا رسولَ الله ! أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخَبَثُ ؟ (رواه البخاري باب يأجوج ومأجوج رقم : ٧١٣٥)

١٣ – عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : أسلم ، فنظر

إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطـع أبا القاسم ﷺ ، فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار . (رواه البخـاري ، باب إذا أسلم الصبي فمات ... رقم : ١٣٥٦) .

١٤ - عـن سهل بـن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قـال : إنّ هـذا الخير خزائن ، ولتلك الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر ، مغـلاقاً للخير. (رواه ابن ماجة ، بـاب من كان مفتاحا للخير ، رقم : ٢٣٨) .

١٥- عن جرير رضي الله عنه قال : ولقد شكوت إلى النبي ﷺ أنّي لا أثبـتُ على الخيل ، فضرب بيده على صدري وقال : اللهم ثبّته واجعلـه هاديا مـهديا . (رواه البخاري ، باب من لا يثبت على الخيل : ١١٠٤/٣ طبع دار ابن كثير دمشق) .

١٦ - عـن أبي سـعيد رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : لا يحقـر أحدكم نفسه قالوا : يا رسول الله ! كيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أمـراً لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيامـة : مـا منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإيّاي كنتَ أحقَّ أن تخشى) (رواه ابن ماجة ، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، رقم : ٤٠٠٨) .

١٧- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ : إنّ أول ما دخل النّقص على بني إسرائيل كان الرجلُ يلقى الرجلَ فيقول : يا هـذا ! اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحلُّ لك ، ثمّ يلقاهُ من الغـد ، فـلا يمنعـه ذلـك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلمّا فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثمّ قال : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ﴾ إلى قولـه ﴿ فاسقون ﴾ المائدة : ٧٨-٨١ ، ثـمّ قـال : كـلاَّ والله ! لتـأمرنّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذنّ على يد الظالم ، ولتأطرنّه على الحق أطراً ولتقصرُنّه على الحق قصراً (رواه أبو داود ، باب الأمر والنهي ، رقم : ٤٣٣٦)

١٨ - عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : يا أيها الناس ! إنكم تقرءون هذه الآية ﴿ يا أيها الذين ءامنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ﴾ المائدة :١٠٥ ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه . (رواه الترمذي وقال : حديث صحيح باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر . رقم : ٢١٦٨)

١٩- عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عُوداً عوداً ، فأيُّ قلب أُشرِبَها نُكتَ فيه نكتةٌ سَوداء ، وأيُّ قلب أنكرها نُكِتَ فيه نكتةٌ بيضاء ، حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا ، فلا تضرّه فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخرُ أسود مرباداً كالكوز مُجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرب من هواه .

(رواه مسلم في صحيحه ، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب .. ، رقم : ٣٦٩) .

٢٠ - عن أبي أمية الشعباني رحمه الله قال : سألتُ أبا ثعلبة الخُشَنيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فقلتُ : يا أبا ثعلبة ! كيف تقول في هذه الآية : ﴿ عليكم أنفسكم ﴾ قال : أما والله لقد سألتَ عنها خبيراً ، سألت عنها رسول الله ﷺ فقال : بل ائتمِروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر ، حتى إذا رأيت شُحّا مُطاعاً ، وهوًى متّبعاً ، ودنيا مؤثرةً ، وإعجاب كلِّ ذي رأي برأيه ، فعليك يعني بنفسك ودع عنك العوام ، فإن من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيه مثل قبضٍ على الجمر ، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله فقال (أبو ثعلبة) : يا رسول الله ! أجر خمسين منهم ، قال : أجر خمسين منكم . (رواه أبو داود ، باب الأمر والنهي رقم : ٤٣٤١) .

٢١ - عن أبي سعيدٍ الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال : إيّاكم والجلوس بالطرقات فقالوا : يا رسول الله ! ما لنا من مجالسنا بد نتحدّث فيها ،

فقال : فإذا أبيتم إلا المجالس فاعطوا الطريق حقه قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غضُّ البصر ، وكف الأذى ، وردّ السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . (رواه البخاري ، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ (رقم ٦٢٢٩) .

٢٢- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن غريب ، باب ما جاء في رحمة الصبيان.رقم ١٩٢١).

٢٣ - عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تُكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . (الحديث ... رواه البخاري باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، رقم : ٧٠٩٦) .

٢٤ - عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال رسول الله ﷺ : أوحى الله عزّ وجل إلى جبريل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها قال : يا ربِّ ! إن فيهم عبدك فلاناً لم يعصك طرفة عينٍ ، قال : اقلبها عليه وعليهم ، فإن وجهه لم يتمعّر في ساعة قط . (مشكاة المصابيح رقم : ٥١٥٢ .)

٢٥ - عن درة ابنةِ أبي لهب قالت : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال : يا رسول الله ، أي الناس خير ؟ قال : خير الناس أقرؤهم وأتقاهم ، وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر ، وأوصلهم للرحم . (رواه أحمد وهذا لفظه ، والطبراني ورجالهما ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر ، مجمع الزوائد : ٧/٥٢٠) .

٢٦ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبّار يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ . (رواه مسلم ، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار ... رقم : ٤٦٠٩)

٢٧- عن العرس بن عميرة الكندي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كان كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها . (رواه أبو داود ، باب الأمر والنهي ، رقم : ٤٣٤٥ .)

٢٨ - عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها ، وهو يذُبُّهنَّ عنها ، وأنا آخذ بحُجَزِكم عن النار ، وأنتم تفلّتون من يدي . (رواه مسلم ، باب شفقته ﷺ على أمته .. ، رقم : ٥٩٥٨) .

٢٩- عن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. (رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء رقم: ٣٤٧٧).

٣٠ - عن هند بن أبي هالة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ متواصلَ الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة طويل السكت لا يتكلم في غير حاجة . (وهو طرف من الرواية) الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ، رقم :٢٢٦ .

٣١ - عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قالوا : يا رسول الله ! أحرقَتْنا نِبال ثقيف فادع الله عليهم فقال : اللهم اهد ثقيفاً . (رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، باب في ثقيف وبني حنيفة ، رقم : ٣٩٤٢) .

٣٢ - عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ تلا قول الله تعالى في إبراهيم عليه السلام ﴿ رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني﴾ إبراهيم : ٣٦ الآية ، وقال عيسى عليه السلام : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفرهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ المائدة : ١٨، فرفع يديه وقال : اللهم أمتي أمتي ، وبكى فقال الله عز وجل : يا جبريل ! إذهب إلى محمد ، وربك

أعلم فأسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام ، فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، وهو أعلم ، فقال الله : ياجبريل ! اذهب إلى محمد فقل : إنا سنُرضيك في أمتك ولا نسوءكَ . (رواه مسلم باب دعاء النبي ﷺ لأمته ... ، رقم : ٤٩٩) .

٣٣ – عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلتُ : يا رسول الله ! ادع الله لي ، قال : اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ، وما أسرّت وما أعلنت ، فضحكت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك ، فقال رسول الله ﷺ أيسرّك دعائي ؟ فقالت : ومالي لا يسرني دعاؤك . فقال : والله إنّها لدعوتي لأمتي في كل صلاة . (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة ، مجمع الزوائد : ٣٩٠/٩) .

٣٤ – عن عمرو بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : إنّ الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنّتي . (وهو بعض الحديث) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ، باب ما جاء إن الإسلام بدا غريباً ... ، رقم : ٢٦٣٠) .

٣٥ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قيل : يا رسول الله ! أدع على المشركين ، قال : إنّي لم أبعث لعّانا وإنّما بعثتُ رحمة . (رواه مسلم ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، رقم : ٦٦١٣).

٣٦ – عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يسِّروا ولا تعسروا وسكّنوا ولا تنفّروا . (رواه مسلم ، باب في الأمر بالتيسير ...، رقم : ٤٥٢٨)

٣٧ – عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : ما من رجل ينعَشُ لسانه حقاً يُعمل به بعده إلاّ أجرى الله عليه أجره إلى يوم القيامة ثمّ وفّاه الله عز وجل ثوابه يوم القيامة . (رواه أحمد : ٢٦٦/٣) .

٣٨ – عن أبي مسعود البدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله . (وهو جزء من الحديث) . (رواه أبو داود ، باب في الدال على الخير . رقم : ٥١٢٩) .

٣٩ – عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً . (رواه مسلم ، باب من سن سنة حسنة ... ، رقم : ٦٨٠٤) .

٤٠ – عن علقمة بن سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : خطب رسول الله ﷺ ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ، ثم قال : ما بال أقوامٍ لا يفقّهون جيرانهم ، ولا يعلّمونهم ، ولا يعِظُونَهم ، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلّمون من جيرانهم ، ولا يتفقّهون ولا يتّعظون ، واللهِ ليعلّمَنَّ قومٌ جيرانَهم ، ويفقّهونهم ويعِظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليَتعَلّمنَّ قومٌ من جيرانهم ، ويتفقّهون ويتّعظون ، أو لأعاجلنّهم العقوبة ، ثم نزل فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء ؟ قالوا : الأشعريِّين ، هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياهِ والأعراب ، فبلغ ذلك الأشعريّين ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ! ذكرت قوما بخير ، وذكرتنا بشر ، فما بالنا ؟ فقال : لَيُعلِّمنَّ قوم جيرانهم ، ويتَّعظون ، ويتفقّهون أو لأعاجلنهم العقوبة في الدنيا ، فقالوا : يا رسول الله ! أنفطِّنُ غيرنا ، فأعاد قوله عليهم وأعادوا قولهم ، أنفطِّنُ غيرنا ، فقال ذلك أيضاً ، فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ليفقهوهم ، ويعلموهم ، ويعظوهم ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ﴾ الآية . (رواه الطبراني في الكبير عن بكير بن معروف عن علقمة ، الترغيب ١٢٢/١ بكير بن معروف صدوق فيه لين ، تقريب التهذيب) .

٤١ – عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : يجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتابُه في النار فيدور كما يدور الحمار برَحاه ، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : يا فلان ! ما شأنك ؟ أليس كنتَ تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنتُ آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن المنكر وآتيه . (رواه البخاري ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، رقم : ٣٢٦٧).

٤٢ – عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : مررت ليلة أُسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار قال : قلتُ من هؤلاء ؟ قالوا : خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالمعروف وينسون أنفسهم وهو يتلون الكتاب أفلا يعقلون . (رواه أحمد ٣/١٢٠) .



بعض الآداب والأعمال في الدعوة إلى الله

الآيات المباركة في ذلك

قال الله تعالى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ، اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ، قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ، قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ طه : (٤٢-٤٦) .

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لا انْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران : (١٥٩) .

وقال تعالى : ﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنْ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ الأعراف : (٢٠٠).

وقال تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا﴾ المزمل : (١٠) .

الأحاديث الواردة في ذلك

٤٣ – عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زوجِ النبي ﷺ حدّثتْ أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله ! هل أتى عليك يومُ كان أشد من يوم أُحد ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومكِ ، وكان أشدّ ما لقيتُ منهم يوم العقبة إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليلَ بن عبدِكُلال ، فلم يجبْني إلى ما أردتُ ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي ، فلم استفقْ إلا بقرن الثعالب ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتْني ، فنظرت

فإذا فيها جبرائيل عليه السلام فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك ، وقد بعث إليك مَلَكُ الجبالِ لتأمره بما شئتَ فيهم ، قال : فناداني ملَكُ الجبال وسلّم عليَّ ، ثم قال : يا محمد ! إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال وقد بعثني ربُّك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئتَ ؟ (إن شئتَ) أطبقْتُ عليهم الأخشبَين ، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يُخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا . (رواه مسلم ، باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، رقم : ٤٦٥٣) .

٤٤ – عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا قال له النبي ﷺ : أين تريد ؟ قال : إلى أهلي قال : هل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟ قال : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، قال : من شاهد على ما تقول ؟ قال : هذه الشجر ، فدعاها رسول الله ﷺ ، وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخدُّ الأرض خداً حتى جاءت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت أنه كما قال ، ثم رجعتْ إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال : إن يتبعوني آتيك بهم وإلا رجعت إليك فكنت معك . (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، ورواه أبو يعلى أيضا والبزار ، مجمع الزوائد : ٥١٧/٨).

٤٥ – عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال لعليّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) يوم خيبر : انفذ على رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله ! لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم . (وهو جزء من الحديث) . (رواه مسلم ، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رقم : ٦٢٢٣)

٤٦ – عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال : بلغوا عني ولو آية .(الحديث) . (رواه البخاري ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، رقم ٣٤٦١).

٤٧ – عن عبد الرحمن بن عائذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كان النبي ﷺ إذا بعث بعثاً قال : تألّفوا الناس ، وتأنَّوا بهم - أي ترفقوا بهم - ولا تُغِيْرُوا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا وأن تأتوني بهم مسلمين أحب إليّ من أن تقتلوا رجالهم ، وتأتوني بنسائهم . (المطالب العالية :٢/١٦٦، وذكر صاحب الإصابة بنحوه : ٣/ ١٥٢) .

٤٨ – عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم . (رواه أبو داود ، باب فضل نشر العلم ، رقم :٣٦٥٩).

٤٩ – عن الأحنف بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : بينا أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذ جاء رجل من بني ليث وأخذ يدي فقال : ألا أبشِّرك ؟ قلت : بلى ! فقال : هل تذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك بني سعد فجعلتُ أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه فقلتَ أنت أنكَ تدعو إلى الخير ، وتأمر بالخير ، وإنه ليدعو إلى الخير ، ويأمر بالخير ، فبلَّغت ذلك إلى النبي ﷺ فقال : اللهم اغفر للأحنف ابن قيس ، فكان الأحنف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : ما من عملي شئ أرجى لي منه . (رواه الحاكم في المستدرك ٣/٦١٤).

٥٠ – عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : أرسل رسول الله ﷺ رجلاً من أصحابة إلى رأس من رؤوس المشركين يدعوه إلى الله ، فقال : هذا الإله الذي تدعو إليه أمِنْ فضة هو ؟ أم من نحاس هو ؟ فتعاظم مقالته في صدر رسول رسول الله ﷺ فرجع إلى النبي ﷺ فاخبره فقال : ارجع إليه فادعه إلى الله ، فرجع فقال له مثل مقالته فأتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : ارجع إليه فادعه إلى الله ، ورسول الله ﷺ في الطريق لا يعلم ، فأتى النبي ﷺ فأخبره أن الله قد أهلك صاحبه ونزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ و ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله﴾ (رواه أبو يعلى وإسناده حسن : ٣/٥١٣).

٥١ – عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين بعثه إلى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله (ﷺ) فإن هم أطاعوا لك بذالك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لك بذالك فاخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذالك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب . (رواه البخاري ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء ... ، رقم ١٤٩٦).

٥٢ – عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه ، ثم أن رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأمره أن يقفل خالداً إلا رجلا كان ممن مع خالد فأحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، قال البراء : فكنت فيمن عقب مع علي ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ثم تقدم فصلى بنا علي ثم صفّنا صفاً واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً ، فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال : السلام على همدان ، السلام على همدان . (قال البيهقي : رواه البخاري مختصراً من وجه آخر عن إبراهيم بن يوسف ، البداية والنهاية : ١٠١/٥).

٥٣ – عن عبد الله الخطمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان النبي ﷺ إذا أراد أن يستودع الجيش قال : استودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم . (رواه أبو داؤد ، باب في الدعاء عند الوداع ، رقم ٢٦٠١)

٥٤ – عن علي بن ربيعة رحمه الله قال : شهدت علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأتي بدابّة ليركبها ، فلمّا وضع رجله في الركاب قال : بسم الله ، فلمّا استوى على ظهرها

قال : ﴿ سبحان الذي سخّرلنا هذا وما كنا له مقرنين وإنّا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ثم قال : سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفرلي إنّه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك ، فقيل : يا أمير المؤمنين ! من أيِّ شيء ضحكت . قال : رأيت رسول الله ﷺ فعل كما فعلت ، ثم ضحك فقلتُ : يا رسول الله من أيّ شيء ضحكت ؟ قال : إنّ ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال : اغفرلي لي ذنوبي ، يعلم أنّه لا يغفر الذنوب غيري . (رواه أبو داود ، باب ما يقال الرجل إذا ركب ، رقم : ٢٦٠٢) .

٥٥ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر ، كبّر ثلاثا ، قال : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ اللهم ! إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى ، اللهمّ ! هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم ! إني أعوذ بك ومن وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل ، و إذا رجع قالهن ، وزاد فيهن : آئبون تائبون ، عابدون ، لربنا حامدون . (رواه مسلم باب استحباب الذكر ركب دابته .... رقم :٣٢٧٥) .

٥٦ – عن أبي مروان الأسلمى عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : خرجنا مع الرسول ﷺ إلى خيبر ، حتى إذا كنا قريباً ، وأشرفنا عليها ، قال رسول الله ﷺ للناس : قفوا ، فوقف الناس ، فقال : اللهم رب السماوات السبع ، وما أظللن ، ورب الأرضين السبع ، وما أقللن ، ورب الشياطين ، وما أضللن ، فإنا نسألك ، خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شر هذه القرية ، وشر أهلها ، وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله الرحمن الرحيم . (البداية والنهاية لابن كثير : ١٨٣/٤) .

٥٧ – عن خولة بنت الحكيم السلمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما

خلق ، لم يضره شيء ، حتى يرتحل من منزله ذلك . (رواه مسلم باب في التعوذ من سوء القضاء .... رقم : ٦٨٧٨) .

٥٨ – عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قلنا : يوم الخندق يا رسول الله ! هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر قال : نعم ! اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال : فضرب الله عز وجل وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله عز وجل بالريح . (رواه أحمد : ٣/٣) .

٥٩ – عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : أفضل دينارٍ دينارٌ ينفقه الرجل على عياله ، ودينار ينفقه على فرسه في سبيل الله ، ودينار ينفقه الرجل على أصحابه في سبيل الله . (رواه ابن حبان وإسناده صحيح) ٥٠٣/١٠) .

٦٠ – ويروى عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : ما رأيت أحداً أكثر مَشُورَةً لأصحابه من رسول الله ﷺ . (رواه الترمذي ، باب ما جاء في المشورة رقم : ١٧١٤) .

٦١ – عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قلت يا رسول الله ! إن نزل بنا أمرٌ ليس فيه بيان أمر ولا نهي فما تأمرنا ؟ قال : شاوروا فيه الفقهاء والعابدين ، ولا تمضوا فيه رأي خاصّة . (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله موثقون من أهل الصحيح ، مجمع الزوائد : ٤٢٨/١) .

٦٢ – عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ الآية ، قال رسول الله ﷺ : أما إن الله ورسوله غنيّان عنهما ولكن جعلها الله رحمة لأمتي ، فمن شاور منهم لم يعدم رشداً ، وإن ترك المشُوْرَة منهم لم يعدم عناءً . (رواه البيهقي : ٧٦/٦) .

٦٣ – عن ابن عائذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج رسول الله ﷺ في جنازة رجل فلما وضع قال عمر بن الخطاب (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : لا تصلّ عليه يا رسول الله ! فإنه رجل فاجر ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى الناس فقال : هل رآه أحدٌ منكم على عمل

الإسلام ، فقال رجل : نعم يا رسول الله ، حرس ليلة في سبيل الله ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وحثّى التراب عليه وقال : أصحابك يظنّون أنّك من أهل النار ، وأنا أشهد أنّك من أهل الجنة، وقال : يا عمر ! إنّك لا تُسأل عن أعمال الناس ، ولكن تسأل عن الفطرة . (رواه البيهقي في شعب الإيمان ٤٣/٤) .

٦٤ – حدثنا سعيد بن جُمهان قال : سألت سفينة عن اسمه ، فقال : إني مخبرك بإسمي ، سماني رسول الله ﷺ سفينة، قلت: لم سمّاك سفينة ؟ قال : خرج ومعه أصحابه ، فثقل عليهم متاعهم فقال : أُبسط كساءك فبسطته فجعل فيه متاعهم ، ثم حمله عليَّ فقال : احمل ما أنت إلاّ سفينةٌ قال : فلو حملتُ يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستةٍ ، ما ثقل عليّ . (حلية الأولياء : ٣٦٩/١ وذكره في الإصابة بنحوه : ٢٥٨/٢٥) .

٦٥ – عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : كنّا يوم بدر كلُّ ثلاثةٍ على بعير قال : فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلَىْ رسولِ الله ﷺ ، قال : فكانت إذا جاء عُقبة رسول الله ﷺ قالا : نحن نمشي عنك ، قال : ما أنتما بأقوى مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما . (رواه البغوي في شرح السنة (إسناده حسن) : ٣٥/١١) .

٦٦ – عن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : سيد القوم في السفر خادمهم ، فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل إلا الشهادة . (رواه البيهقي في شعب الإيمان : ٣٣٤/٦) .

٦٧ – عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : الجماعة رحمة والفرقة عذاب . (وهو بعض الحديث) رواه عبد الله بن أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات ، مجمع الزوائد : ٩٢/٥).

٦٨ – عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال : لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلمُ ما سار راكب بليل وحده . (رواه البخاري ، باب السير وحده ، رقم : ٢٩٩٨) .

٦٩ – عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال : الرّاكب شيطان ، والراكبان شيطانان ، والثلاثة ركبٌ . (رواه الترمذي وقال : حديث عبد الله بن عمرو حسن ، باب ما جاء في كراهية أن يسافر وحده رقم : ١٦٧٤) .

٧٠ – عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : إثنان خير من واحد ، وثلاث خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة ، فعليكم بالجماعة فإن الله عز وجل لن يجمع أمتي إلا على هدى . (رواه أحمد ١٤٥/٥) .

٧١ – عن عرفجة بن شُريح الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : فإن يد الله على الجماعة ، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض . (وهو بعض الحديث رواه النسائي ، باب قتل من فارق الجماعة ...، رقم : ٤٠٢٥) .

٧٢ – عن أبي وائل رحمه الله أن عمر استعمل بشر بن عاصم على صدقات هوزان فتخلّف بشر فلقيه عمر ، فقال : ما خلّفك ، أما لنا عليك سمع وطاعة ، قال : بلى ! ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : من وُلّي من أمر المسلمين شيئاً أُتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جهنّم . الحديث . (أخرجه البخاري من طريق سويد ، الإصابة : ١٥٢/١) .

٧٣ – عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمّي ، فقال أحد الرجلين : يا رسول الله ! أمِّرنا على بعض ما ولاّك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال : إنا والله لا نولّي على هذا العمل أحدا سأله ، ولا أحدا حَرِصَ عليه . (رواه مسلم باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ، رقم : ٤٧١٧) .

٧٤ – عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان رسول الله ﷺ يتخلّف في المسير فيزجي الضّعيف (أي يسوق مركبه) ويردف ويدعوا لهم . (رواه أبو داود باب لزوم الساقة) .

٧٥ – عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : إذا خرج ثلاثةٌ في سفر فليؤمّروا أحدهم . (رواه أبو داود ، باب في القوم يسافرون ... رقم : ٢٦٠٨).

٧٦ – عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من فارق الجماعة واستذلّ الإمارة لقي الله ولا وجه له عنده . (رواه أحمد ورجاله ثقات ، مجمع الزوائد : ٥/٤٠١) .

٧٧ – عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله سائل كلّ راع عمّا استرعاه أحفظ أم ضيّع . (رواه ابن حبان) وإسناده صحيح على شرطهما : ١٠/٣٤٤) .

٧٨ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كلّكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولةٌ عن رعيّتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته . (رواه البخاري باب الجمعة في القرى والمدن ، رقم : ٨٩٣) .

٧٩ – عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال : لا يسترعِي الله تبارك وتعالى عبداً رعيَّة قلّت أو كثُرتْ إلاّ سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة أقام فيهم أمر الله تبارك وتعالى أم أضاعه ، حتّى يسأله عن أهل بيته خاصّة . (رواه أحمد : ٢/١٥) .

٨٠ – عن أبي ثعلبة الخشنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : وكان النّاس إذا نزل رسول الله ﷺ منزلا تفرّقوا في الشّعاب والأودية ، فقال رسول الله ﷺ إنّ تفرُّقكم في هذه الشّعاب والأودية إنّما ذلكم من الشيطان ، فلم ينزل بعد ذلك منزلا إلاّ انضم بعضهم إلى بعض حتّى يقال : لو بُسط عليهم ثوب لعمّهم . (رواه أبو داود باب ما يؤمر من انضمام العسكر وسعته ، رقم : ٢٦٢٨) .

٨١ – عن صخر الغامدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ - أنه قال - : اللهم بارك لأمتي في بكورها وكان إذا بعث سريّة أو جيشا بعثها من أوّل النهار ، وكان صخرٌ رجلاً تاجراً ، وكان يبعث تجارته من أول النهار ، فأثرى وكثر ماله. (رواه أبو داود ، باب في الابتكار في السفر ، رقم : ٢٦٠٦) .

٨٢ – عن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال : لأكثم بن الجون الخزاعي : يا أكثم ! اغز مع غير قومك يحسن خُلُقك ، وتكرم على رفقائك ، يا أكثم ! خير الرفقاء أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلّة . (رواه ابن ماجة ، باب السريا ، رقم : ٢٨٢٧) .

٨٣ – عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ ، إذ جاءه رجل على راحلة له ، قال : فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا ، فقال رسول الله ﷺ : من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ، قال : فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنّه لا حقّ لأحد منّا في فضل .(رواه مسلم ، باب استحباب المواساة بفضول المال ، رقم : ٤٥١٧) .

٨٤ – عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا حدّث عن رسول الله ﷺ أنه أراد أن يغزو قال : يا معشر المهاجرين والأنصار ! إنّ من أخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة ، فليضمّ أحدكم إليه الرّجُلين أو الثلاثة (الحديث) (رواه أبو داود ، باب الرجل يتحمل بمال غيره يغزو ، رقم : ٢٥٣٤) .

٨٥ – عن المُطعم بن المقدام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : ما خلّف عبد على أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً . (رواه ابن شيبه ، حديث ضعيف كما في الجامع الصغير ٤٩٥/٢ ، ورد عليه صاحب الاتحاف ، وملخص كلامه : أن الحديث ليس بضعيف ، ينظر لذلك أتحاف السادة : ٤٦٥/٣) .

٨٦ - عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفّروا . (رواه البخاري ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة ... ،رقم :٦٩).

٨٧ - عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما أنّ رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبّر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ويقول : لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آئبون تائبون عابدون ساجدون لربّنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . (رواه أبو داود ، باب في التكبير على كل شرف في المسير ، رقم : ٢٧٧٠) .

٨٨ - عن عمرو بن مرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ دعاه إلى الإسلام وقال له : يا عمرو بن مرة : أنا النبي المرسَل إلى العباد كافة أدعوهم إلى الإسلام وآمرهم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيام شهر رمضان من اثنى عشر شهراً ، فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار ، فآمن بالله يا عمرو ! يُؤَمِّنْكَ الله من هول جهنم قلتُ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسولُ الله ، وآمنتُ بكل ما جئتَ به بحلالٍ وحرامٍ ، وإن أرغم ذلك كثيراً من الأقوام ، فقال النبي ﷺ : مرحباً بك يا عمرو بن مُرّة فقلتُ : يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ، إبعثني إلى قومي لعل الله أن يمنّ بي عليهم كما منّ بك عليَّ ، فبعثني إليهم فقال : عليك بالرفق والقول السديد ، ولا تكن فظاً ولا متكبّراً ولا حسوداً ، فأتيتُ قومي فقلتُ : يا بني رفاعة ! يا معاشرَ جهينة ! إني رسولُ رسول الله ﷺ إليكم ، أدعوكم إلى الجنة وأحذّركم النار ، وآمركم بحقن الدماء ، وصلة الأرحام ، وعبادة الله ، ورفض الأصنام ، وحج البيت ، وصيامِ شهر رمضانَ ، شهرٍ من اثنى عشر شهراً فمن أجاب فله الجنة ، ومن عصى فله النار، يا معشر جهينة ، إن الله - عز وجل - جعلكم خيار من أنتم منه ، وبغّض إليكم في جاهليتكم ما حبّبَ إلى غيركم ، مِن

أنهم كانوا يجمعون بين الأختين ، ويخلُفُ الرجل منهم على امرأة أبيه ، والغزاة في الشهر الحرام ، فأجيبوا هذا النبي المرسَل من بني لؤيٍّ بن غالب ، تنالوا شرف الدنيا وكرامةَ الآخرة ، وسارعوا في ذلك تكن لكم فضيلة عند الله ، فأجابوا إلا رجلاً واحداً .

(رواه الطبراني) مختصراً من مجمع الزوائد : ٨/٤٤١) .

٨٩ – عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهاراً في الضحى ، فإذا قدم بدأ بالمسجد ، فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه (رواه مسلم ، باب استحباب ركعتين في المسجد .. رقم الحديث : ١٦٥٩) .

٩٠ – عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول : فلمّا أتينا المدينة قال : (لي رسول الله ﷺ) : إئت المسجد فصل ركعتين . (رواه البخاري باب الهبة المقبوضة وغير المقبوضة ...، رقم : ٢٦٠٤) .

٩١ – عن شهاب بن عباد رحمه الله أنه سمع بعض وفد عبد القيس وهم يقولون : قدمنا على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم بنا ، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا ، فرحّب بنا النبي ﷺ ودعا لنا ، ثم نظر إلينا ، فقال : من سيدكم وزعيمكم ؟ فأشرنا بأجمعنا إلى المنذر بن عائد ، فقال النبي ﷺ : أهذا الأشجّ ؟ فكان أول يوم وُضعَ عليه هذا الاسم بضربة لوجهه لحافر حمار ، قلنا : نعم يا رسول الله ! فتخلّف بعد القوم ، فعقل رواحلهم ، وضمّ متاعهم ، ثم أخرج عيبته فألقى عنه ثياب السفر ولبس من صالح ثيابه ، ثم أقبل إلى النبي ﷺ وقد بسط النبي ﷺ رجله واتكأ ، فلما دنا منه الأشج أوسع القوم له ، وقالوا : ههنا يا أشج ، فقال النبي ﷺ - واستوى قاعداً وقبض رجله - : ههنا يا أشج ! فقعد عن يمين النبي ﷺ ، فرحّب به وألطفه ، وسأله عن بلاده وسمى له قريةً قريةَ الصفا وغير ذلك من قرى هَجَرَ ، فقال : بأبي - أنت - وأمي يا رسول الله ! لأنت أعلم بأسماء قرانا منا ، فقال : إني قد وطئتُ بلادكم وفُسح له فيها ، قال : ثم أقبل على الأنصار ، فقال : يا معشر الأنصار! أكرموا

إخوانكم فإنهم أشباهكم في الإسلام ، أشبه شيئاً بكم أشعاراً وإبشاراً ، أسلموا طائعينَ غير مكرَهينَ ولا مَوتُورينَ إذ أبى قومُ أن يُسلموا حتى قُتلوا ، قال : فلما أن أصبحوا قال : كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم وضيافتَهم إياكم ؟ قالوا : خيرُ إخوانِ ألانُوا فراشنا وأطابوا مَطعمنا ، وباتوا وأصحبوا يعلّموننا كتابَ ربّنا تبارك وتعالى ، وسنة نبينا ﷺ ، فأعجبتِ النبي ﷺ وفرح بها ، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً ، فعرضنا عليه ما تعلّمنا وعُلّمنا ، فمنا من عُلِّمَ التحيات ، وأم الكتاب ، والسورة والسورتين والسنن . (الحديث) رواه أحمد : ٣/٤٣٢) .

٩٢ – عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : نهى رسول الله ﷺ إذا أطال الرّجل الغيبة ، أن يأتي أهله طروقاً (أي ليلاً). (رواه مسلم باب كراهة الطروق ... رقم : ٤٩٦٧) .

٩٣ – عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عليكم بالدلجة ، فإن الأرض تطوى بالليل . (رواه أبو داود ، باب في الدلجة ، رقم : ٢٥٧١) .

٩٤ – عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : إنّ أحسن ما دخل الرجل على أهله إذا قدم من سفر أوّل الليل . (رواه أبو داود ، باب في الطروق ، رقم : ٢٧٧٧) .



١٠٣ - وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بعد العصر ، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا ذكره ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه ، وكان فيما قال : إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ ، وإن الله مستخلفكم فيها ، فناظرٌ كيف تعملون ؟ ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء . وذكر : إن لكل غادر لواءً يوم القيامة بقدر غدرته في الدنيا ، ولا غدر أكبر من غدر أمير العامة ، يغرَز لواءه عند استه – أي دبره– . قال : لا يمنعنّ أحداً منكم هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه .

وفي رواية : إن رأى منكراً يغيّره ، فبكى أبو سعيد وقال : قد رأيناه فمنعتنا هيبة الناس أن نتكلم فيه . ثم قال : ألا إن بني آدمَ خُلقوا على طبقات شتى ، فمنهم من يولد مؤمناً ، ويحيى مؤمناً ، ويموت مؤمناً ؛ ومنهم من يُولد كافراً ، ويحيى كافراً ، ويموت كافراً ؛ ومنهم من يولد مؤمناً ، ويحيى مؤمناً ، ويموت كافراً ، ومنهم من يولد كافراً ، ويحيى كافراً ويموت مؤمناً .

قال : وذكر الغضب : فمنهم من يكون سريع الغضب سريع الفيْءِ فإحداهما بالأخرى ؛ ومنهم من يكون بطيء الغضب بطيء الفيءِ فإحداهما بالأخرى ، وخياركم من يكون بطيء الغضب سريعَ الفيءِ ، وشراركم من يكون سريع الغضب بطيء الفيء .

قال : اتقوا الغضب ؛ فإنه جمرة على قلب ابن آدم ، ألا ترونَ إلى انتفاخ أوداجه ؟ وحمرة عينيه ؟ فمن أحس بشيء من ذلك فليضطجعْ واليتلبد (أي يلتزق) بالأرض . قال : وذكر الدَّين فقال : منكم من يكون حسن القضاء ، وإذا كان له أفحشَ في الطلب ، فإحداهما بالأخرى . وخياركم من إذا كان عليه الدين أحسنَ القضاء ، وإن كان له أجمل في الطلب ؛ وشراركم من إذا كان عليه الدَّينُ أساء القضاء وإن كان له أفحش في الطلب . حتى إذا كانت الشمس على رؤوس النخل وأطراف الحيطان فقال : أما إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه . (رواه الترمذي كما في المشكاة رقم الحديث : ٥١٤٥) .

١٠٤ - وعن أبي البختري عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لن يهلك الناس حتى يُغدروا من أنفسهم . (رواه أبو داود كما في المشكاة رقم الحديث : ٥١٤٦) .

١٠٥ - وعن عدي بن عدي الكندي قال : حدثنا مولى لنا أنه سمع جدي (هو عميرة الكندي الحضرمي رضي الله عنه) يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكِروا ؛ فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة . (رواه في شرح السنة كما في المشكاة رقم الحديث : ٥١٤٧) .

١٠٦ - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ولما وقعت بنوا إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهو ، فجالسوهم في مجالسهم ، وآكلوهم وشاربوهم ، ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، فلعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون . قال : فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئا فقال : لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم أطرا . (رواه الترمذي وأبو داود ، وفي روايته قال : كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر ، ولتأخذنَّ على يديِ الظالم ولتأطرُنَّه على الحق أطراً ، ولنقصرنَّه على الحق قصراً ، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعننّكم كما لعنهم . (كما في المشكاة رقم الحديث : ٥١٤٨) .

١٠٧ - وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: رأيت ليلة أُسريَ بي رجالا تُقرضُ شفاهم بمقاريض من نار ، قلت : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم . رواه في شرح السنة ، والبيهقي في شعب الإيمان ، وفي روايته قال : خطباء من أمك الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون . (رواه أحمد بإسناد ضعيف ، كما في هامش مشكاة المصابيح) .

١٠٨ – وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً ، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردةً والخنازير . (رواه الترمذي كما في المشكاة رقم الحديث : ٥١٥٠) .

١٠٩ – عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنه نصيب أمتي في آخر الزمان من سلطانهم شدائد لا ينجو منه إلا رجل عرفَ دين الله ، فجاهد عليه بلسانه ويده وقلبه ، فذلك سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدّق به ، ورجل عرف دين الله فسكت عليه ، فإن رأى من يعمل الخير أحبّه عليه ، وإن رأى من يعمل بباطل أبغضه عليه ، فذلك ينجوا على إبطانه كله . (رواه البيهقي في الشعب كما في المشكاة رقم : ٥١٥١)

١١٠ – وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام ، أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها قال : يا رب ! إن فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين ، قال : فقال : أقلبها عليه وعليهم فإن وجهه لم يتمعَّر – أي لم يتغير – في ساعة قط . (رواه البيهقي في الشعب كما في المشكاة رقم الحديث ٥١٥٢) .

١١١ – وعن أبي موسى الأشعري ، قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده إن المعروف والمنكر خليقتان – أي مخلوقتان – تنصبان للناس يوم القيامة ، فأما المعروفُ فيبشّر أصحابه ويوعدهم الخير ، وأما المنكرُ فيقول : إليكم إليكم ، وما يستطيعون له إلا لزوماً . (رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان ، كما في المشكاة رقم الحديث ٥١٥٤) .

الفصل الثالث



ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله من أحسن الأعمال وأحسن الأقوال قال رب العزة والجلال : ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ فصلت : ٣٣ .

والدعوة إلى الله سبحانه من الأهمية بمكانة لا تدرك ، وكيف لا ؟ والله تعالى يدعوا إليها بنفسه ويقول : ﴿والله يدعوا إلى دار السلام﴾ يونس : ٢٥ وهي وظيفة النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين ، فهل للإقتداء موضع أرفع من هذا ؟ لا والله ، وألف لا .

ويجب أن لا يغتربعمل دعوته أحد من الدعاة نظراً إلى رفعة شأنه وعظمة مكانته عندالله سبحانه ، فإغترار الرجل بعمله الصالح ليس من سمات الصالحين حتى قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

« . . .إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» (طرف من الحديث أورده البخاري في كتاب المغازي من صحيحه) .

قال العلماء : ففيه التحذير من الاغترار بالأعمال ، فحذار من الوقوع في ذلك .

✪ وقد اثنى الله تعالى على قوم في كتابه لأنهم عندما يعملون عملاً صالحاً بتوفيق منه سبحانه لا يفرحون بذلك ولا يغترون به ، بل هم خائفون وجلون أن لا يتقبل منهم وهذا كما ذكره ابن كثير : ٣ / ٢٤٩ مفسراً لقوله تعالى : ﴿ والذين يُؤتُون مآ ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ● أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ المؤمنون : ٦٠-٦١ و قال :

✪[قوله : ﴿ والذين يُؤتُون مآ ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ أي يعطون العطاء وهم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء ، وهذا من باب الإشفاق والاحتياط كما قال الإمام أحمد : ... عن عائشة رضي الله عنه أنها قالت : يا رسول الله ﴿ الذين يؤتُون مآءاتوا وقلوبهم وجلة ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : «لا يا بنت أبي بكر ، يا بنت الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهويخاف الله عز وجل .

وهكذا رواه الترمذي وابن أبي حاتم ... وقال : «لا يا ابنة الصديق ولكنهم الذين يصلون ويصومون ويتصدقون وهم يخافون ألا يتقبل منهم .] الخ ما ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى .

✪ وذكر القرطبي في تفسيره : ١٢ / ٨٨ بعد ذكر حديث الترمذي المذكور وقال :[قال الحسن : لقد أدركنا أقواماً كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا فيها»] . انتهى .

✪ ✪وهذا سيد الأنبياء والمرسلين وإمام المتقين والمخلصين صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين يأمره ربه ويقول : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ النصر : ٣ .

قال القرطبي في تفسيره : ٢٠ / ١٥٩ : [فإن قيل : ماذا يغفر للنبي ﷺ حتى يؤمر بالاستغفار ؟

✪ قيل له : كان النبي ﷺ يقول في دعائه «ربِّ اغفرلي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفرلي خطيئتي وعمدي وجهلي وهزلي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفرلي ما قدّمتُ وما أخّرتُ وما

أعلنْتُ وما أسررتُ ، أنت المقدِّم وأنت المؤخر ، إنك على كل شيئ قدير» .

✪ فكان صلى الله عليه وسلم يستقصر نفسه لعظم ما أنعم الله به عليه ، ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوباً .

✪ ويحتمل أن يكون المعنى : كن متعلقاً به ، سائلاً راغباً ، متضرعاً على رؤية التقصير في أداء الحقوق ؛ لئلا ينقطع إلى رؤية الأعمال ....

✪ وإذا كان عليه الصلاة والسلام وهو معصوم يؤمر بالاستغفار ، فما الظن بغيره ؟] انتهي قول القرطبي .

✪ ثم عليك أيها الداعية إلى الله : التفكر في قول رسول الله ﷺ حيث قال : «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» . رواه أبو داود في سننه «باب في الاستغفار» .

✪ قال بعض المحققين قوله : «ليغان على قلبي» على بناء المفعول من الغين ، وأصله الغيم لغة ، وحقيقته بالنظر إلى قلب النبي ﷺ لا ندري ، وإن قدره ﷺ أجلُّ وأعظم مما يخطر في كثير من الأوهام فالتفويض في مثله أحسن .

✪ نَعم ! القدر المقصود بالافهام مفهوم وهو أنه ﷺ كان يحصل له حالة داعية إلى الاستغفار فيستغفر كل يوم مائة مرة فكيف بغيره ﷺ ؟ .

✪ قال القاضي : المراد فترات وغفلات في الذكر الذي شأنه الدوام عليه فإذا فتر أو غفل عنه عده ذنبًا واستغفر . كذا ذكره القاري وقال في آخرها : المختار أنه من المتشابه الذي لا يخاض في معناه ، والله أعلم . من التعليق المحمود على سنن أبي داود (باب في الإستغفار) .

✪قال أبو طلحة : **ما أحسن ما أجاب به الداعية** الكبير الشيخ محمد إلياس رحمه الله في هذا الباب حيث قال : [«مع أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون ومحفوظون من جميع الأوساخ الشركية والكفرية والبدعية ، ويتلقون العلوم والهدايات وجميع الإرشادات من رب البريات ، لكنهم لما يخالطون الناس المختلفين من المسلمين ووفود الكفار والمشركين والفجار والمنافقين وذلك لأداء حق الرسالة ولإخراجهم من الظلمات إلى النور ، إذ لا بد

في إرشاد الخلق من مخالطتهم فتتأثر بها قلوبهم المنورة والمطهرة حينئذ بهذه الطباع والهيئات المختلفة وذلك بسبب غدرات هؤلاء وفجراتهم وأوساخهم الشركية والكفرية والنفاقية والبدعية .

✪ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن شبيب بن أبي رَوح عن رجل – هو أغر الغفاري رضي الله عنه – من أصحاب رسول الله ﷺ أن رسول الله ﷺ صلّى صلاة الصبح ، فقرأ الروم ، فالتُبس عليه فلما صلَّى قال : «**ما بال أقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور ، وإنما يلبِّسُ علينا القرآن أولئك**» . رواه النسائي في سننه ١ / ١٥١ ورجاله ثقات إلا أن عبد الملك بن عمير كان تغير حفظه .

وقال في المرقاة ١ / ٣٣٠ : رواه النسائي قال ابن حجر : بسند حسن . اهـ

✪ قوله صلى الله عليه وسلم : « **يصلون معنا لا يحسنون الطهور**» قال في المرقاة ١ / ٣٣٠ : [وفيه إشارة إلى أن السنن والآداب مكملات للواجب يرجى بركتها ، وفي فقدانها سد باب الفتوحات الغيبية ، وأن بركتها تسري إلى الغير كما أن التقصير فيها يتعدى إلى حرمان الغير .

✪ **تأمل أيها القارىء** ! إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثر من مثل تلك الهيئة فكيف بالغير من صحبة أهل البدعة أعاذنا الله ورزقنا صحبة الصالحين»] انتهى ما ذكره صاحب المرقاة .

✪ فلذلك كان صلى الله عليه وآله وسلم يداوم على الإستغفار والعبادة وبقيام الليل .

✪ ويؤيد ذلك ما أمر الله تعالى به رسوله ﷺ أن يترك التزمل وهو التغطي في الليل وينهض إلى القيام لربه عزوجل فقال : ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا﴾ المزمل : ١-٤ .

✪ وكان ﷺ ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى : ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك ...﴾ الآية .

✪ ثم قال ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلا﴾ المزمل : ٧ ، أي تقلباً وتصرفاً في مهماتك ، وإشتغالا بشواغلك ، فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة ، فعليك بها في الليل ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره ليلا ونهاراً بأي وجه

كان من تسبيح وتهليل وتحميد وقراءة القرآن ودراسة علم ﴿وتبتل إليه تبتيلا﴾ والمعنى انقطع إلى ربك إنقطاعاً تاماً ، بالعبادة وإخلاص النية ، والتوجه الكلي» من تنوير الأذهان ٤ / ٤٣٢-٤٣٣ .

✪ وقال تعالى : ﴿فإذا فرغت﴾ أى من التبليغ أو من المصالح المهمة الدنيوية ﴿فانصب وإلى ربك فارغب﴾ الشرح : ٧-٨ ، أى فاجتهد في العبادة واتعب ، شكرا لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية ، (وأخلص إلى ربك النية والرغبة) قاله صاحب تنوير الأذهان وابن كثير .

✪ قال أبو طلحة : **فعلم مما ذكر أن الإنسان وإن كان مشغولا في الدعوة إلى الله طوال النهار وإرشاد الخلق إلى الحق** ، فلا بد له من الإستغفار والإنقطاع إلى ربه إنقطاعاً تاماً بالعبادة وإخلاص النية والتوجه الكلي إلى الله حتى تزول عنه الأوساخ والأقذار الطارئة على القلب بإختلاطه بالطبائع المختلفة .

✪ أيها القاري الكريم ! إذا كان نبينا ﷺ مأموراً بالتبتل والجهد في العبادة مع أنه معصوم ويحفظه سبحانه مع ذلك خاطبه سبحانه خاصة فقال :

﴿وتوكل على العزيز الرحيم ○ الذي يراك حين تقوم ○ وتقلبك في الساجدين ○ إنه هو السميع العليم ○﴾ الشعراء : ٢١٧-٢٢٠ ، وكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ويستغفر ربه في كل يوم مائة مرة يغسل به قلبه الذي يغان عليه من مخالطة الناس عند أداء الرسالة ، فما بالك بقلوبنا وهي مملوءة بظلمات الدنيا وأقذارها وأوساخها ، ومحبوسة بالظلمات البشرية من جوانبها الأربعة ؟ إلا ما رحم ربي ، ألسنا نحن أولى من أن نستغفر ربنا ونتوب إليه ونقوم الليل ونتبتل إليه انقطاعاً تاماً بالعبادة وإخلاص النية والتوجه الكلي ، **فهل من مجيب وهل من مدكر** ؟؟ .

✪ **ألا ترى أن الحجر الأسود** مع صلابته وقساوته قد تأثر بذنوب بني آدم وخطاياهم ، وكان عند نزوله من الجنة أشد بياضاً من اللبن ، فسوَّدته خطايا بني آدم . كما ورد ذلك في الحديث المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد

بياضا من اللبن فسـوَّدتـه خـطايـا بنـي آدم» . رواه أحمد والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح كما في المشكاة «باب قصة حجة الوداع والطواف» .

✪ قوله ﷺ : **فسوَّدته خطايا بني آدم»** : ذكر في «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» ٣ / ٥٢٥ : [قال في المرقاة : أي صارت ذنوب بني آدم الذين يمسحون الحجر سببا لسواده ، والأظهر حمل الحديث على حقيقته إذ لا مانع نقلا ولا عقلا ، وقال بعض الشراح ... : والمعنى : أن الحجر الأسود لما فيه من الشرف والكرامة وما فيه من اليمن والبركة شارك جواهر الجنة فكأنّه نزل منها ، وأن خطايا بني آدم تكاد تؤثر في الجماد فتجعل المبيض منه أسوداً فكيف بقلوبهم . أو لأنه من حيث أنه مكفر للخطايا محاء للذنوب كأنه من الجنة ، ومن كثرة تحمله أوزار بني آدم صار كأنه ذو بياض شديد فسودته الخطايا .

✪ ومما يؤيد هذا أنه كان فيه نقط بيض ثم لا زال السواد يتراكم عليها حتى عمها ، وفي الحديث : «إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا أذنب نكتت فيه نكتة أخرى وهكذا حتى يسود قلبه جميعه ويصير ممن قال فيهم : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ المطففين : ١٤ .

✪ والحاصل أن الحجر بمنزلة المرآة البيضاء في غاية من الصفاء ويتغير بملاقاة ما لا يناسبه من الأشياء حتى يسود لها جميع الأجزاء ، وفي الجملة الصحبة لها تأثير بإجماع العقلاء . انتهى كلام القاري .

✪ قال الحافظ ابن حجر : واعترض بعض الملحدين على هذا الحديث فقال : كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد ؟ وأجيب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله لكان ذلك ، وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ على العكس من البياض .

✪وقال المحب الطبري : في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة . فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد فتأثيرها في القلب أشد ، قال وروي عن ابن عباس إنما غيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة ، فإن ثبت فهذا هو الجواب . قال الحافظ ابن حجر : أخرجه الحميدي في فضائل مكة بإسناد ضعيف]. انتهى ما ذكره في «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» رقم الحديث : ٨٧٨ .

✪ قوله ﷺ «**إن العبد إذا أذنب ذنباً ...**» الحديث أخرجه أحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه ولفظه : «إن العبد إذا أذنب ذنباً نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإن تاب ونزع فاستغفر صُقل قلبه ، وإن عاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله ...» ينظر الدر المنثور ٦ / ٣٢٥ .

✪ أخي في الله ! إذا كان هذا حال الحجر الصلد الصلب مع حجارته وقساوته يتأثر من خطايا بني آدم فكيف بمضغة لحم لا تتأثر من الأوساخ الشركية والبدعية وبخطايا بني آدم ولا يغان عليها ؟ فكيف لا يحتاج إلى غسله وذهاب أوساخه بالإستغفار والتوبة إلى الله وفقنا الله لذلك آمين .

✪فإذا كان النبي المعصوم ﷺ يداوم على الاستغفار كما قال ﷺ : «وإنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة » فغيره من الدعاة أولى بذلك .

✪وقد [قال الحسن البصري رحمه الله : «استغفارنا يحتاج إلى استغفار» قال القرطبي : هذا يقوله في زمانه ، فكيف في زماننا هذا ؟ الذي يُرى فيه الإنسان مكباً على الظلم ، حريصاً عليه لا يقلع ، والسُبحة في يده زاعماً أنه يستغفر من ذنبه ، وذلك استهزاء منه واستخفاف ، ومن أظلم ممن اتخذ آيات الله هزواً ؟ فيلزم حقيقة الندم ، واعلم أن الله إذا أراد بعبد خيراً اصطفاه لنفسه ، وجعل في قلبه سراجاً ، يفرق بين الحق والباطل ، ويبصره عيوب نفسه ، حتى يترك الدنيا وحطامها ، ويُلقى عليها زمامها] (ما بين القوسين من تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ١ / ٣٢٣) .

حاصل ما ذكرناه : أن على الداعية أن لا يغتر بدعوته بل عليه أن يستصغر عمله هذا ويستغفر ربه خوفاً من أن لا يتقبل منه ، وهذه هي صفات الصالحين المخلصين لرب العالمين ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ .

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ومع ذلك يأمره سبحانه في نهاية أمره : ﴿واستغفره إنه كان تواباً﴾ النصر : ٣ .

هــذا : وأحمده سبحانه وتعالى وأثني عليه ، إذ هو الذي أعانني على إتمام هـذا الكتاب ، الذي أوردت فيه معظم موضوعات الدعوة التي توضح عمل الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ، ويبين كيف يجب أن يكون عليه عمل أتباعهم من دعوة إلى الله على بصيرة بأصول الدعوة ومناهجها وأساليبها ومشكلاتها .

وأيضاً فهذا الكتاب دعوة إلى المسلمين أجمعين : حكاماً ومحكومين، أن يشارك كلٌ بنصيبه في إنجاح الدعوة إلى الله ، فالداعية لوحده لا يكفي وكلامه حينئذ سيكون كأذان في الصحراء ، وصرخة في واد لا تسمن ولا تغني من جوع ، فلا بد أن يكون مع الداعي من ينصره ، ويحفظه من مخالفة الظالمين وعدوان المعتدين .

لذا فإنني أنصح اخواني المسلمين أن يكونوا مع الدعاة قلباً وقالباً وأن يبذلوا ما يستطيعون من الجهد والسعي في الدعوة الإسلامية الحقة ونشرها في أرض الله الواسعة ، وإفهام العالم بأن الدعوة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة ، وأن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الدين الحق الذي لا يقبل من أحد سواه ، كما قال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ آل عمران : ٨٥ .

وأسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الذين يدعون إلى الله على بصيرة ، وأن يتقبل منا ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل ، وأن يحسن خاتمتنا في الأمور كلها ، وأن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم . وأن يرزقنا شهادة في سبيله .

﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ آل عمران : ٨ . آمين يا رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

أبو طلحة

فهـــرس الكـــتاب

